الواطي

رواية

محمد غزلان

الواطي / رواية

محمد غزلان

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٥٢٣٩

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-٢٨-٩

الـواطي

رواية

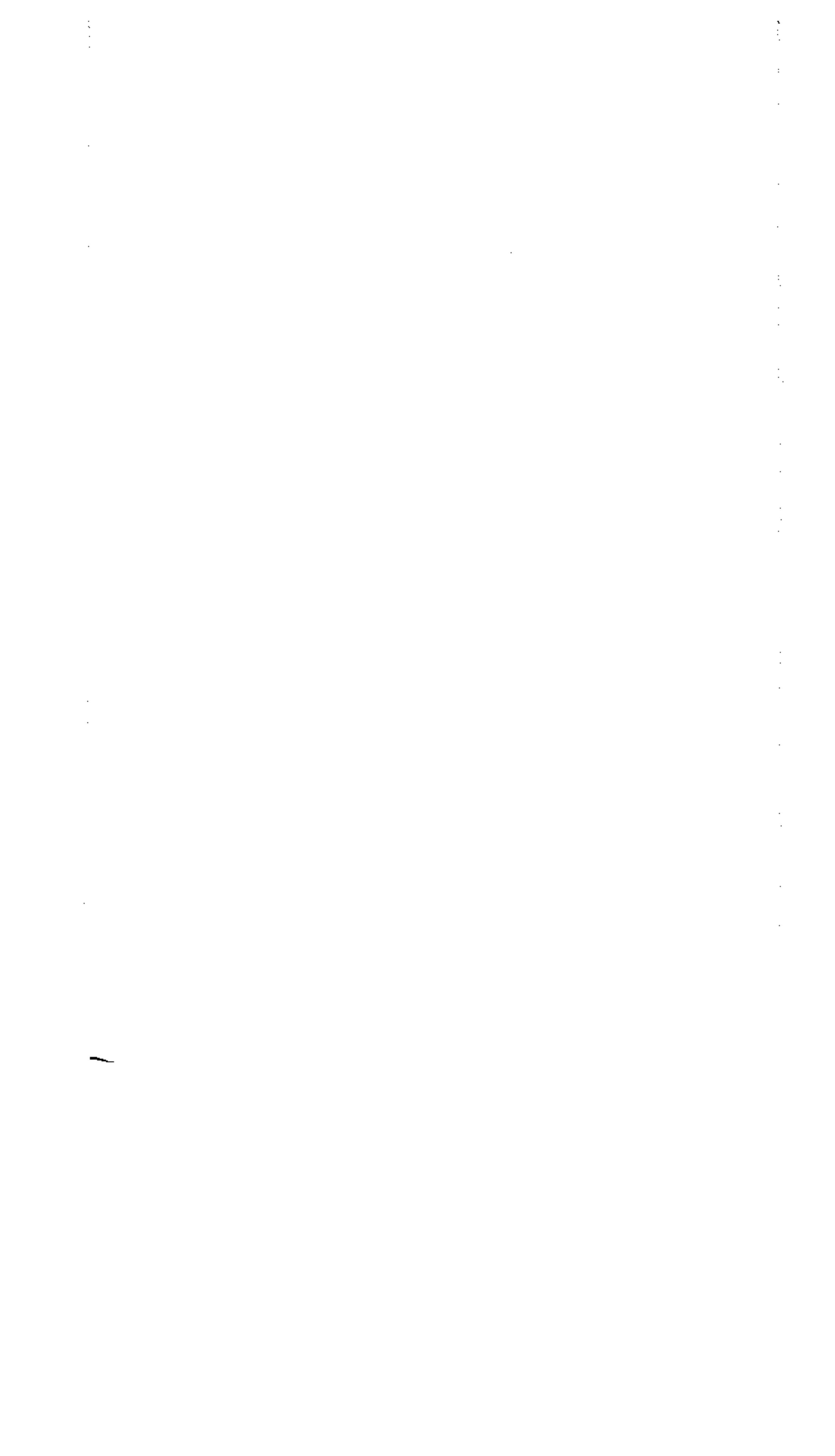
محمد غزلان

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى روح الصحفي والروائي فتحي غانم صاحب رواية " زينب والعرش " .. وإلى الزملاء الذين عانوا وصمدوا وقاوموا ولم ينحنوا في بلاط صاحبة الجلالة .



الأيام القادمة

المكان هادئ هدوء المقابر.. لا صوت لسيارات أو مارة أو باعة أو عامل بوتاجاز يدق على أنابيبه.. حفيف خفيف لأوراق الشجر ورذاذ ماء ناعم يأتي من النافورة التي تتوسط الحديقـــة. أنزل في الصباح.. كل صباح لأجلس في الحديقة وحدي طوال اليوم.. قبل نزولي من المترل الذي يدعي البعض أنه قصراً يكون الجنايني قد أنهى عمله وجمع الأوراق الجافـــة وقـــام بتـــشغيل النافورة.. منضدة من الخيرزان الاندونيـــسي وأربعـــة مقاعـــد تتوسط الحديقة.. ابدأ بشرب الشاي وقراءة العناوين الرئيسية في الجرائد الحكومية أولاً ثم أطالع عنـــاوين الجرائـــد الحزبيـــة أو المستقلة. ما يقتلني كل صباح اسم الشخص الذي احتل مكاني وأصبح اسمه مكان اسمي بل زاد بكتابة اسمه **ببنط أكبر**.. هدوء المكان يقبض صدري ولم يعد لي رغبة في الخروج أو التجوال، فلا شيء يطمأن في هذا البلد بعدما أصبح التشفي هو الـــسلاح الوحيد. سلاح يجيد استخدامه السفلة و"الواطيين".

الحديقة رغم اتساعها. تضيق كل يوم عليَ وأفكر في خفض السور بعض الشيء لأرى ما أستطيع رؤيته.. هذا السور العالي طلبت بنفسي تشيده بالمواصفات التي وضعتها.. ارتفاع السور أربعة أمتار ونصف المتر تتوسطه البوابة الرئيسية مـــن الحديـــد

الكريتال.. صورة طبق الأصل من بوابة قصر عابدين إلا أنها لا تفتح إلا إلكترونياً بريموت كنترول.. البوابة يصعب اقتحامهـا والسور لا يشجع أحد على مجرد الاقتراب منه.. مركب فوقـه كاميرات تليفزيونية، أنا الوحيد الذي يعلم أنها لا تعمل ولكنها ترهب من يفكر في الاقتراب. أفكر في خفض السور أو هدمـه وبنائه من جديد.. ارتفاع متر واحد فقط من الأسمنت المسلح وثلاثة أمتار ونصف من القضبان الحديدية القوية، لتسمح لي برؤية الفيلات والقصور التي حولي ويسكنها عليـة القـوم أو الذين يظنهم عامة الناس كذلك وأثبت الأيام العكـس، فهـم أيضاً مجموعة من "الواطيين". مساحة الأرض الفعليـة ألفـان واربعون متراً، سرقني المسئول الكبير الذي خصص قطعة الأرض في ثلاثين متراً. خطاب التخصيص الذي معي يقول إن مساحة الأرض ٢٠٧٠ متراً. طول الواجهة أربعون متراً وعمقهـا ٥١ متراً.

بنيت على مساحة ثلاثمائة متر فقـط طبقـاً للتـصميمات المطلوب الالتزام بها.. فيلا صغيرة من دورين وحديقة رئيسية لا تقل مساحتها عن ثمانمائة متر. في الوسط نافورة وعلى يـسارها بيرجولا كبيرة، قطر مظلتها عشرة أمتار وتحتها المنضدة الخيزران والمقاعد الأربعة. على المنضدة تليفون أرض واحـد وتليفـون محمول واحد. كان لدى ست تليفونات محمولـة يحملـها لي السكرتير والسائق الخاص.. كانت التليفونات الستة لا تتوقف

عن الرنين وتكفي إشارة من أصبعي للسكرتير أو للسائق كي يخبر المتحدث أن الباشا في اجتماع والآن أتمنى أن يرن التليفون ولو مرة واحدة أو أسمع صوتاً لزميل قديم أو مرؤوس سابق أو مسئول حالي أو حتى سابق.. أتمنى أن أسمع صوتاً غير صوت الجنايني أو السائق أو الخادمة الفليبينية أو صوت أنثوي غير صوت زوجتي التي تكرر جملة واحدة كل صباح وبنبرة واحدة لم تغيرها.. "أنا خارجة ويمكن أتأخر".. وينطلق بها السائق ولا تعود إلا مع حلول الليل. تتركني طوال اليوم مع الخادمة الفليبينية الشابة وتخرج لزيارة أبنائها.. أبناؤنا.. تنتقل من مترل هذا إلى مترل تلك وتعود في نهاية اليوم.

لا تسألني كيف قضيت يومي وإذا كنت خرجت أم لا .. وتنهي يومها بجملة أخرى.. تصبح على خير.. وتدخل حجرة نومها وتغلقها على نفسها من الداخل. أربعة تواريخ أرغب في حفرهن على شاهد من الرخام مثل الذي ينتصب في مقابر المسيحيين.. يوم مولدي ويوم تعييني في الجريدة ويوم أصبحت رئيساً لمجلس إدارتها ورئيس تحرير ويوم خروجي من منصبي. يوم مولدي تحكي عنه أمي. ولدت في بؤنه.. عز الصيف.. كنت لا أحتاج ملابس لارتدائها وحتى وإن كنت ولدت في الشتاء، فلم يكن لدى أبي وأمي مالٌ لشراء ملابس جديدة للمولود الجديد. في بلدتنا يتبادل الناس ملابس الأطفال التي لا

تزيد عن جلباب صغير وقطع أصغر من القماش .. "كوافيل".. بامبرزز الزمن القديم.. خالتي ظلت تعايرني طوال حياتي بأن أول جلباب لبسته كان جلباب ابنها وأول حذاء وضعت فيه قدمي كان حذاء ولدها القديم وأول "مريلة" ذهبت بها إلى المدرسة كانت "مريلة" ابنها.. لو عرف "الواطيين" هذه القصة لكتبوها في صحفهم الصفراء التي تهاجمني كل صباح.

يوم تعييني في الجريدة بعد حصولي على الثانوية العامة والتحاقي بكلية الآداب "انتساب"، جاء بي ابن خالتي إلى الجريدة.. قابلنا شخصاً قدمه لي ابن خالتي على أنه "بلك"، بلدياتنا يعمل في الجريدة وسيبحث لي عن فرصة عمل. لم ينس ابن خالتي أن يذكره بأن ظروفنا صعبة وأن أبي لا يجد "اللضى" وكله بثوابه. طلب مني أن أمر عليه بعد شهر. مررت عليه ما يزيد عن عشر مرات.. استغرق المرور عليه سنة كاملة. طلب مني صورة من شهادة الثانوية العامة والتحقت بالجريدة موظفاً بمكافأة عشرة جنيهات شهرياً .. يوم أصبحت رئيساً للتحرير ومجلس الإدارة كان يوماً مشهوداً. تطوع أحد الصحفيين الأثرياء بذبح عجلين قبل دخولي إلى المؤسسة ويوم خروجي من المؤسسة، سمعت من يسبني بأبي وأمي ويدعو عليَ بخراب بيتي وتوالى السباب والدعاء حتى الآن.

دخلت الكثير من المعارك وخرجت منتصراً.. كنت محصناً.. هذه المعركة أدخلها عارياً ولا أعلم كيف سأخرج منها. من كانوا معي، أصبحوا ضدي ومن كنت أظنهم سنداً أصبحوا من المحرضين ومن رفعتهم يحاولون الآن أن يخسفوا بي الأرض. لم أحاول أن أقابل أحداً منهم، فهم يتهربون من الرد على مكالماتي. فكيف أذهب إليهم وأنا أعلم ماذا تفعل السكرتارية في الضيف غير المرغوب فيه. كيف "تلطعه" بالساعات ثم يعتذر المسئول لانشغاله في مقابلات أكثر أهمية، مع اناس في قلب السلطة أو على رأسها.

جرائد الصباح أتى بها السائق.. سبع جرائد.. أربعة حكومية وثلاثة بين حزبية ومستقلة. ألقى السائق بتحية الصباح وألقى بالجرائد على المنضدة الخيرزان وأنصرف.. جاءت الخادمة الفليبينية بشاي الصباح وجلست على مقعد مجاور تصب الشاي. جلست بعد أن كانت تؤدي هذه المهمة من قبل وهي واقفة.. منذ خروجي من السلطة والأبهة.. اعتادت أن تجلس.. فهي تعلم أن "المدام" قد خرجت وتعلم أيضاً أنني خرجت من المنصب رغم عدم معرفتها بكلمة واحدة من اللغة العربية، إلا أن الأمر لا يحتاج معرفة لغات، عرفت بالمشاهدة.. لقد أختفى الحرس فجأة وسحبت المؤسسة السيارات التي كانت مخصصة لي

ولأسرتي. طلبت منها تحضير الإفطار.. إفطار كل يوم.. عصير وخس وجبنه بيضاء وزيتون وعيش توست.

طالعت الصحف وعناوينها.. خبر موحد في ست جرائد من السبعة.. أعلم اللعبة ومن ورائها "مطالبة النائب العام بالتحقيق في مخالفات رؤساء مجالس الصحف السابقين، الخبر هذه المـــرة على ثلاثة أعمدة.. بدأ بصياغة مختلفة عما سبق وكأن هنـــاك مخالفات أرتكبها بالفعل رؤســـاء مجـــالس إدارات الـــصحف السابقين.. في الصيف كان الخبر.. نفس الخبر على عمود واحد في صفحة داخلية.. في الخريف أصبح نفس الخبر على عمودين وفي صفحة داخلية أيضاً.. في الشتاء أصبح على ثلاثة أعمـــدة وفي الصفحة الأولى. تحقيق أخر على صفحة كاملة يـــستعرض من كتبه ما يظنه أنه مخالفاتي طوال عشرين سنة.. ناديت علـــى الخادمة الفليبينية والسائق.. طلبت مـــن الـــسائق أن يـــشتري مجموعة من الملفات البلاستيكية وطلبت من الخادمـــة إحـــضار مقص.. جاءت بالمقص.. طلبت منها أن تقص الخـــبر الـــذي وضعت عليه علامة وأن تقطع الصفحة الكاملة التي بها التحقيق الخاص بما يظن ويعتقد كاتبه أنه مخالفات. هذا الأمر لا يقلقـــني على الإطلاق، فأنا على يقين بأن لا تحقيق سيفتح ولا مـــساءلة ستتم ولن يجرؤ أحد على المساس برؤســـاء مجـــالس الإدارات السابقين وأنا منهم بالطبع. الأمر مجرد "تهويش" بهدف أن نظل

في الظل وألا نفتح أفواهنا بكلمة حتى ولـــو نهـــش "هـــؤلاء الواطيين" أجسادنا وأعراضنا وتاريخنا وتعرضوا لأبنائنا وبناتنا. التعليمات الشفوية الصادرة لنا "لا تنطق بكلمة ولا ترد".

أغلق المسئولون هواتفهم وأطلقوا علينا كلابهم. كلاب غير مدربة، تنقصهم الخبرة. كلب واطيين من هؤلاء الكلاب كـــان يفضل الجلوس تحت أقدامي ويستعرض أمامي خبراته وقراءاتـــه. صدع رأسي بمقولة "إن الكلاب التي تنبح لا تعض" إلا أنه بدأ العض والنهش، وصلت أنيابه القذرة إلى العظام ولا أحد مـــن المسئولين العظام يطلب منه الكف عن أفعاله أو كتاباته. أشـــار إلي بالاسم والرسم بأنني السبب في فساد المؤسسة وفساد الذمم وأنني ارتكبت كل الموبقات والآثام بين جدران المؤسسة وأنـــني لا علاقة لي بالصحافة أو الكتابة. لم أكن أتوقع منه ذلك. نجح في خداعي حتى اللحظة الأخيرة وجلس على المقعـــد الجديـــد بتزكية مني، ولكن ماذا أفعل في "قلة الأصل"، الكل أصبح يسير على نفس الوتيرة ويغني نفس الأغنية.. الكل أصبح حريصاً على الوطن والمؤسسة والمال العام. كل من غرف من أموال الـــوطن والمؤسسة يطالب بالقصاص من الفسدة وكلما زاد غرفه، أرتفع صوته في محاولة للتخلص من ماضيه الذي يؤلمه وللحاق بقطـــار القيادة الجديدة. كل منهم يريد مكاناً متميزاً بجوار السائق ليرى الطريق.

ما يقرب من ستة شهور على خروجي من منصبي، اكتشف كل يوم شيئاً جديداً. رأيت الناس على حقيقتها ورأوني عارياً.. بلا بطانه.. بلا حرس يسبقني ويسير على جانبي، سرت مجــرد شخص، رئيس مجلس إدارة سابق و لم أعد حتى أسمــع كلمــة "ريس" التي كان البعض يلحنها عند مناداتي. الوحيد الذي مــا زال يناديني بــ "الريس" سيد السائق وهو الوحيد أيضاً الــذي يؤدي ما يطلب منه بنفس الهمة والحماس قبل أن أغادر منصبي. ورغم قسوتي عليه في فترات كثيرة من عمله معي إلا أنه مازال متمسكاً بجزء من الاحترام. لا يجلس أمامي أبداً حتى وإن طلبت منه ذلك.

لا يدخن أمامي.. يقف طوال الوقت ملبياً أي طلب.. لم أره في حياتي إلا واقفاً أو جالساً خلف عجلة القيادة. لم أسمع منــه كلمة سوى نعم أو حاضر وعندما سألته ذات مرة عن أخبــار المؤسسة وما يقال فيها، اكتفى بقول.. الله يسامحهم.

أحضر سيد مجموعة الملفات البلاستيكية التي طلبتها ومجموعة من أقلام الفلوماستر الملونة، ناديت على "جوانــا " الفليبينيــة، جاءت مسرعة. وقفت برهة ثم اختارت مقعداً لتجلس عليــه.. هذا هو الفارق بينها وبين سيد الذي رشقها بنظــرة وكأنــه يطلب منها أن تقف عن مخاطبة "الريس". طلبت مــن ســيد الجلوس، تردد. أمرته أن يجلس، فجلس. أمامنا عمــل طويــل.

سأضع دوائر على الأخبار المطلوب قصها من الجرائد الصباحية. نوعان من الأخبار. النوع الأول يتطـرق إلى رؤسـاء تحريـر الصحف ورؤساء مجالس الإدارة السابقين بصفة عامـة وهـذا يوضع في ملف خاص.. كتبت عليه رؤساء التحرير السـابقين والنوع الثاني من الأخبار والتحقيقات ما يخصني أنا شخصياً وما يتعرض لحياتي المهنية والعائلية وعلاقاتي الشخصية. كتبت على الملف اسمي.. "فاروق عوض". شرحت ذلك مرتين.. مرة باللغة العربية ومرة أخرى بالإنجليزية حتى تفهم جوانا المهمة الجديـدة التي ألقيت على عاتقها. هب سيد واقفاً بعد انتهاء التعليمـات، بينما انهمكت جوانا في قص الأخبار التي وضعت عليها دوائـر أو علامات.

معرفتي بسيد تمتد لما يزيد عن خمسة عشر عاماً عندما جاءني شاكياً من رئيسه في العمل- رئيس الجراج- صفعه كفاً علـى وجهه بعد مشاجرة بسيطة. كنت أمام خيارين، إما إرسـالهما إلى الشئون القانونية للتحقيق معهما أو انتزاع حق سيد أمـام الجميع، خاصة وأن رئيسه في العمل كان يعتقد أنه فوق المساءلة وفوق القانون وموقفه هذا كان يمثل تحدياً شخصياً لي.

نزلت بنفسي إلى الجراج.. خلفي مجموعة من المحررين الذين تربوا على يدي وقمت بتعيينهم. انقلب الجراج رأسـاً علـى عقب. وقف السائقون كأن على رؤوسهم الطير.. رئيس مجلس الإدارة بشحمه ولحمه في الجراج. طلبـت سـيد ورئيـسه..

استمعت لهما وطلبت في النهاية ما جئت لأجله وهـو كـسر شوكة رئيس السائقين أمامهم. طلبت من سيد أن يصفع رئيسه كما فعل معه.. تردد سيد في البداية. هب فيه المحررون الـذين حولي.. طلبوا منه أن يفعل ما أمره به رئيس مجلـس الإدارة.. لحظات قليلة من الترقب والحذر، كنت أهم بمغادرة المكان وإذا بسيد يصفع رئيسه صفعه هزت المكان.. أخذت نفساً عميقـاً وغادرت المكان ونحيب رئيس السائقين يخترق أذني ويطـربني.. بعدها بيومين أصدرت قراراً بعزل رئيس الجراج وقمت بتعـيين شخص أخر واخترت سيد سائقاً خصوصياً لي.

لم يكن هذا الكف الوحيد في حياة سيد وإن كان أقـتص بنفسه لنفسه، ضربته زوجتي فيما بعد كفاً مماثلاً وضـربته أنـا عدة صفعات، وكل ما أخشاه أن يأتي الوقت ليقـتص لنفـسه منا.. عمل سيد معي.. أغدقت عليه المكافآت ليس لمهارتـه في القيادة ولكن مقابل حفظه لأسـرارنا.. أسـراري الشخـصية وأسرار أفراد العائلة. يعلم كل علاقاتي ومن أقابل وأين.. يخرج مع زوجتي في الأسواق والمراكـز التجاريـة يـشتري معهـا احتياجاتها وبعض احتياجات المترل.. طوله وعرضه وشاربه هي كل مؤهلاته.. سائق يليق برئيس مجلس الإدارة، لا لغيره.

عندما بدأت تنتشر أخبار قرب التغييرات الصحفية وتأكدت أنها ستطولني، كان همي الأكبر تأمين بعض رجالي حتى لا يبطش بهم من يأتي بعدي. أصدرت عدداً من القرارات بالنقل والترقية وفكرت في سيد. تأمين سيد وحمايته تأمين لي شخصياً. في المقهى الذي يحملني إليه مرة في الأسبوع لمقابلة عدد من الأصدقاء بعيداً عن العيون في أطراف القاهرة. أجلسته معي قبل موعد وصول الأصدقاء بما يقرب من ساعة. أخبرته بمخاوفي عليه بعد رحيلي من المؤسسة خاصة وأن له عداءات تاريخية وفرصتهم جاءت للانتقام منه. طلبت منه أن يقدم استقالته ويعمل معي بضعف الراتب الذي يتقاضاه من المؤسسة. رفض تماماً فكرة الاستقالة. الوظيفة في رأيه ضمان في حد ذاتها لنفسه ولأسرته. أنا لا أخشى عليه ولكن أخشى منه وأخاف أن يستغله خصومي ضدي. عرضت عليه تقديم إجازة دون راتب ويعمل معي بنفس راتبه بالإضافة إلى قيمة التأمينات وصندوق الزمالة، زائد خمسمائة جنيه.. وافق.. أحضر ورقاً من السيارة وقدم طلب الأجازة. كان طلبه أخر قرار قمت بتوقيعه وظل سيد معي. أما "جوانا " فهي هدية من صديقي رجل الأعمال الذي استكتبته في الجريدة وحولته إلى مفكر وصاحب رأي وكنت أضع صورته فوق مقاله وعرفه الناس.. كان صديقي إلا أنه اختفى مع من اختفوا وأغلق هاتفه كما فعل غيره. ذهب

كما جاء وبقيت هديته جوانا وهي وإن كانت تنتمي إلى طائفة "الواطيين" إلا أنها نوع جدير بالاحتفاظ به. قدم لي جوانا على أنها "غسيل ومكوه" ولن يزيد راتبها عن مائة وعشرين دولاراً في الشهر، من الممكن أن يرتفع إلى مائة وخمسين دولار. لم أقبل هديته في بداية الأمر. كان يلف ويدور ويتحدث عن خبراتها ويذكر مزاياها، مركزاً على أهم ميزة يراها وهي جهلها باللغة العربية وعدم قدرتها على نسج علاقات وهي بالتالي تصبح كالخزينة المغلقة، لن يكون لها مفاتيح إلا ما تحت يدي. أنظر إليها وأتذكر حديثه وهي تقص بهمة كومة الجرائد التي أمامها وتضع الأخبار في الملفات كما أمرتها وأنتظر منها بعد الانتهاء في أن تتحدث عن زيادة الراتب بعد الأعباء الوظيفية الجديدة.

في المقهى الذي نجلس فيه بعيداً عن ضغوط العمل وهو ليس مقهى بالمعنى المعروف ولكنه كوفي شوب. شقة في الدور الأرضي بمدخل خاص حولها صاحبها إلى مقهى.. خصص أحد حجراتها لنا وحدنا نجلس عنده ثلاث أو أربع ساعات يوم الثلاثاء من كل أسبوع.. اخترت الثلاثاء لأنه في منتصف الأسبوع ورواد المقهى قليلون، خاصة وأننا من المشاهير، يعرفنا العامة والخاصة. صديقي محيي ربيع أو تحديداً الذي كان صديقي، لا يأت للمقهى بأيدي فارغة، كان يصحب معه في كل مرة فتاتين مختلفتين ولا يعود بهما، يهديهما لأحد منا

وأحياناً يتصارع الأصدقاء على الهدايا. هو الذي أقنعني بضرورة تغيير سكرتيرة مكتبي وأثار عليَّ الأصدقاء. في رأيه أنها لا تليق بمكانتي والسكرتيرة في رأيه عنوان لصاحب المكتب.

في تلك الليلة ضحك محيي ربيع وأضحكنا جميعاً. سويعات من الضحك تخفف الضغوط اليومية. أخذ يصف سكرتيرتي التي يعرفها جميع الأصدقاء. يصف طريقة كلامها ودلالها البلدي وخطواتها "المفرشحة" وصبغة شعرها.. "ضاربة رأسها ماء أوكسجين" لتبدو شقراء.. لم يترك شيئاً لم يذكره وكأنني أراها لأول مرة من وصفه لها.. صدرها المترهل مثل ثدي العترة الوالدة والكل يضحك ويتهمني في ذوقي.. في النهاية اقترح أن أختار إحدى الفتاتين اللتين أحضرهما لتكون واحدة منهما سكرتيرة لي. كان من الصعب أن أتخذ قراراً في اللحظة والتو ولا أستطيع استبدال سكرتيرتي هيام فجأة بأخرى، ما لم أبحث لها عن مكان بعيداً عن المؤسسة والمكتب واستصدار قرار بنقلها.. خاصة وأنها صاحبة وجه مكشوف من الممكن أن تفضحني.

طلبت منه مهلة للتفكير وقد اخترت مبدئياً الفتاة البيضاء الطويلة.. أوضح أن عمرها أربعة وعشرين ربيعاً.. حسنة المظهر كما نرى ولها خبرة كما شاهدنا.

مشكلة هيام هي ميزتها وهي نفس مشكلة أم الأولاد. عشرة عمر. هيام معي منذ ما يقرب من عشر سـنوات.. تحفظني وأحفظها.. تفعل كل ما يطلب منها وما لا يطلب، إلا أنها كثيرة الشجار مع الصحفيات بالذات. الغيرة تقتلها وإحساسها بالدونية تجاه بعض الصحفيات المتغطرسات تقلقها. تمنع دخولهن على مكتبي بحجج واهية وأسمع شجارها معهن كل صـباح.. مشكلتها أنها تحمل دبلوم تجارة. حاولت تزويجها بكل الطـرق من أكثر من محرر من القادمين من الأرياف.. كانوا يتهربون.. وجدت حلاً.. لماذا لا تدرس مثل بقية الخلق.. أتوسـط لهـا وأحصل لها على منحة دراسية في الجامعة العمالية وبعد أن تقدم أوراقها.. أنصحها بتقديم طلب للنقل إلى أي مكان أخر للتفرغ للدراسة بدلاً من طردها بطريقة مهينة. نجحـت الخطـة.. في المقابلة الثانية أخبرت محيي ربيع بالموافقة على عمل السـكرتيرة الجديدة. أوضح أن الناس المحترمين لديهم طاقم سـكرتارية لا سكرتيرة واحدة.. نصحني بأخذ الفتاتين معاً ولن أندم.

أفهمت "جوانا " المهمة واستفسرت عن أي تكليفات أخـرى غير إعداد طعام الغداء. شكرتها وانتقلت للجانب الشرقي مـن حديقة الفيلا. حمام سباحة صغير مساحته لا تتعـدى سـبعين متراً.. منضدة صغيرة أيضاً من الخيزران وعدة مقاعـد.. مـن مقعدي أنظر إلى الحديقة والأشـجار وإلى النخيـل. معـرفتي بالأشجار وغيرها قليلة رغم أنني في الأصل فلاح وابن فلاحين.

فلاح بلا أرض وبلا زرع، لا أعرف من النباتات إلا ما يؤكل. سمعت فيما بعد عما يسمى بمغطيات التربة وهي التي تعطي التربة اللون الأخضر الجميل. فيما مضى كنت أعرف "السريس" و"الجعضيض" الذي ينبت على حواف الحقول والترع، أمسح بيدي عود "السريس" وأكله.. كان ألذ من الخس المعروف باسم أيس بيرج.

هذه الفيلا عرفتني بكل الزهور والنباتات واشتريت منها أنواعاً وألواناً، دفعت المؤسسة تكلفتها بالكامل.

على أضلاع الفيلا الثلاثة نخيل زينة، زاميا وسيكس وانيكسا بأوراق خضراء وأوراق صفراء ونخيل ملوكي ونخيل كوكس (جوز هند). عندما سألوني عن نوع النجيل الذي أفضله. كنت أرغب في نجيل فاتح اللون مثل الذي أراه في الأفلام والمسلسلات الأجنبية. أوصاني خبير الزراعة الذي جاء لرسم "اللاندسكاب" أنه من الأفضل أن يكون نجيل الممرات من النوع الأخضر الداكن المسمى بـ "باس بولم" وبقية أرضية الحديقة من النجيل الفاتح "التاواي". عندما رأيت الحديقة بعد أن انتهوا من تنظيمها وزراعتها، بهرني جمالها. الآن لا شيء يبهر ولا شيء يسر. النخيل والسور الضخم يحرمني من الاستمتاع بالأفق وأي أفق.. القادم سيء.

جاءت جوانا بصواني الطعام يساعدها سيد السائق وضعت الطعام وهرع سيد لإحضار التليفون من المنضدة المجاورة ليكون أمامي.. انصرفت جوانا وطلبت من سيد أن يجلس معي لتناول الغداء، تردد في بداية الأمر وتظاهر بالأدب إلا أنني أمرته، فجلس. أنا في أشد الاحتياج لسيد أو غير سيد، احتاج من يجلس معي، من يسمعني، من يحدثني بعدما هرب مني من كنت أظنهم بالأصدقاء. أتمنى أن يرن التليفون ولو لمرة واحدة في اليوم، أن أسمع صوتاً يسأل عن حالي وصحتي وأخباري. كان العشرات ينتظروني أمام مدخل المؤسسة.. يلتفون حولي بمجرد ترجلي من السيارة.. عشرات أمام المصعد وعشرات أمام المكتب.. الكل ذهب مع الكرسي.. ربما يفعلون الآن نفس الشيء مع رئيس مجلس الإدارة الجديدة.

بعدي عن المؤسسة التي بنيتها طوبة طوبة وانقطاع أخبارها عني يسبب لي حالة من القلق المستمر. لا أعلم ماذا يحدث فيها الآن على وجه الدقة وهل هناك من يترحم على أيامي أو الكل سعيد بالإطاحة بي. سيد على علاقة قوية بالصحفيين والإداريين ولا ينقطع رنين تليفونه المحمول. التليفون الغالي الذي أهديته له.. يتصل بهم ويتصلون به.

– سيد ما هي أخبار المؤسسة؟ وهل الناس ينتظرون رئيس مجلس الإدارة الجديد على الأبواب.؟

- انتظروه أول يوم بعد قرار تعيينه.. باركوا له، شكرهم وطلب منهم عدم انتظاره عند خروجه أو دخوله.. مكتبه مفتوح طوال اليوم لهم.

- لم يذق بعد طعم حلاوة الكرسي.

- أظن أنه سيظل كذلك.

- لا.. أنا أعرفه جيداً.. أعرفه أكثر من أي أحد.

- في آخر لقاء وعد الناس بإصلاحات وترقيات وتعديل الرواتب وإعادة النظر في الحوافز.

- عاوز يعمل بصمة لنفسه. كان غيره أشطر.. يومين ويودعوه مثلما ودعوني.

- طبعاً.. سيادتك مش هتتعوض.. هيعرفوا قيمتك.. يا ريس بعدين.. والله أنا كنت عاوز أكلمك في موضوع يخصني.

- بعدين.. يا سيد.

استمر سيد في تناول طعامه ومسحت أنا يدي وفمي بالفوطة. استأذنته للدخول إلى المترل لأنام بعض الوقت. أصبح نوم القيلولة أساسي في برنامجي اليومي منذ أن خرجت من المؤسسة، بعدما كنت لا أنام ليلاً أو نهاراً.. تحررت من ملابسي ودخلت بين طيات الأغطية.. سرير بارد منعش وحجرة خالية

من أنفاس الحريم وعطورهن. منذ انتقالنا إلى المترل الجديد هذا، خصصت حجرة نوم لي واختارت زوجتي أم العيال حجرة لهـا في الطابق العلوي. لا تريد أن تكون حجرة نومها بجوار حجرة نومي.. سعدت باختيارها و لم أعترض و لم أعلق. تكفـيني الآن جوانا وحدها بعدما بلغت أنا الثامنة والستين و لم تعد تـنفعني منشطات أو مقويات. لم أنم.. دارت الدنيا بي ودرت بها. مرت على مخيلتي شخصيات، تعاملت معها بعنف وشخصيات أخرى عاملتني بمهانة وإذلال.. رفست الأغطيـة بقـدمي ونهـضت. دخلت الحمام.. الماء البارد المندفع من الدش الإيطالي لم يخمد ما في رأسي من مخاوف. هل تجرؤ الحكومة على تقـديم رؤسـاء مجالس إدارات الصحف السابقين إلى المحاكمة؟ هـل سـنقف خلف القضبان ويتشفى فينا "الواطيين". هل نحن وحدنا الـذين أهدرنا ثروات البلد أو هربنا أموالها إلى الخارج؟ الماء ينسال على شعيرات شعر صدري العجوز الجافة. لففـت منـشفة حـول وسطي والأخرى على أكتافي وخرجت لارتـدي ملابـسي. ضغطت على الجرس وقبل أن أرفع أصبعي، كانت جوانا قـد صعدت إليَ. جففت بقايا الماء مـن علـى كتفـي ورأسـي واحضرت لي من الدولاب بدلة لونهـا اقـرب إلى الخـضرة وأحضرت لي حذاء وجورب يناسب البدلة.

ارتديت الجورب ووضعت قدمي في الحذاء. حـــذاء كـــان اشتراه لي واحد "واطي" كنت ارسلته إلى باريس، عند عودتـــه من المهمة، جاء يهديني الحذاء أمام مجموعة من زملائه يجلسون معي في مكتبي.. شكرته على الهدية.. الحذاء يبدو غالياً.. ذكر سعره ثلاثة آلاف فرنك. غالي بالفعل.. شكرته مـــرة أخـــرى وطلبت منه الجلوس معنا وتبادلنا حواراً من نوع المجاملة.

- كيف حال باريس.

- تسأل عنك وتتلهف لزيارتك لها.

- الأسعار والفنادق والوجبات في المطاعم.

- أصبحت نار.. فرنسا مثل غيرها من دول أوربا تـــستعد للانضمام إلى العملة الأوربية الموحدة اليورو.

- كيف قضيت أيامك العشرة.

- خيرك مغرقني. بدل السفر الذي صرفته لي غطى وزاد.

- أشكرك مرة أخرى على الحذاء وحمله إلى هنا.

- لو الشنطة لم تسعه.. لكنت حملته لك على رأسي!

انفجر الزملاء ضاحكين.. هذا "الواطي" كان أول من سبني عندما غادرت المنصب.. اتهمني علناً. بأنني رأس الفساد وطالب رئيس مجلس الإدارة الجديد برفع الظلم وإنـــصاف المظلـــومين

والمقهورين الذين أذاقهم رئيس مجلس الإدارة السابق من العذاب ألواناً.. واطي من الواطيين.. إجمالي بدلات سفره خلال العشرين سنة الماضية لا تقل عن خمسين ألف دولار. زملاؤه الذين ذهبوا إلى الخليج لم يدخروا مثل هذا المبلغ في رحلة غربة قد تكون مريرة وطويلة. المشكلة أن هذا الواطي استطاع بسرعة أن يتقرب من الرئيس الجديد واستطاع بما لديه من علاقات ورغبة دفينة في الانتقام مني في إمداد صحف المعارضة بما يظنه أسرار يتمنى أن تحملني إلى أروقة المحاكم والتحقيقات.

سيد ينتظرني بالسيارة أمام الباب، لا أعلم أين أذهب وماذا أفعل هذه الليلة، أتخذت قراري على وجه السرعة.. أنا هنا في التجمع الخامس منذ ما يقرب من ثلاث سنوات. لم أر المدن التي انشئت و لم أشاهد القصور التي شيدت.. فرصة أخرج مع سيد يلف بي أحياء المدينة الجديدة. سيد سائق محترف. بمجرد نزولي، ترجل من السيارة وفتح الباب الأيمن الخلفي. أغلقت الباب وفتحت الباب الأمامي لأجلس بجانبه.

- على فين يا ريس.
- جولة في المنطقة.

أكره الغروب.. أكرهه ولكني هذا المساء أجد استمتاعا في مشاهدته.. المنطقة هادئة وزجاج السيارة المغلق يعزلنا حتى عن أصوات العصافير التي جاءت للإقامة هنا مع الأثرياء.. الأشجار

والنخيل الذي جلبه سكان القصور من أماكن بعيدة، أغرى الطيور للإقامة في التجمع الخامس والتي كانت من قبل صحراء جرداء.. فيلات وقصور وشوارع واسعة وأعمدة أنارة تختلف عن أعمدة القاهرة بأسرها. فوانيس الإضاءة تبدو باريسية التصميم.. أنظر في صمت وسيد لا ينطق.. هذه القصور من هم أصحابها. أعرف صاحب قصر أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر. سيد موسوعة في هذا المجال. ذكر أسماء أصحاب هذه الفيلات والقصور عندما طلبت منه. الأغلبية منهم مسئولون سابقون خرجوا من الخدمة، بعضهم خرج بهدوء وأخرون بفضائح ولم يمسهم أحد بسوء.

الأسوار العالية هي السمة الغالبة في هذه المدينة.. أسوار بارتفاعات مختلفة إلا أنها لا تقل عن أربعة أمتار بحال من الأحوال. الكل اتفق على أن يحمي نفسه من عيون الآخرين، خوفاً من الحسد أو عيون المتلصصين.

- أرغب يا سيد في خفض سور المترل.

- ماشي يا ريس.

- عاوزك تبحث لي عن مقاول.

- من بكرة يا باشا.

- بكرة تجيب معاك المقاول.

كل القصور والفيلات متشابهة ويبدو أن أصـــحابهم أيـــضاً متشابهين. كل قصر أو فيلا ملحق به جـــراج خـــاص، إلا أن أصحاب الفيلات يعلنون عن وضعهم المالي بوضع سياراتهم أمام القصور.. مرسيدس أحدث طراز.. ســـيارة هـــامر.. أغلبيـــة السيارات المتواجدة حول الأسوار من ذوات الدفع الربـــاعي. فيلا وحيدة، السيارات الواقفة أمامها من طراز واحد.. خمـــس سيارات جاجوار.. جمرك السيارة الواحدة اثنين مليون جنيـــه. قرأ سيد ما يدور في رأسي.

- فيلا الدكتور ماهر يوسف.. صـــاحب جامعـــة النـــهار الدولية.

- خمس سيارات جاجوار!

- نعم لديه ثلاثة أولاد وسيارة له وأخرى لزوجته.

- فلنعود إلى المترل.

- كنت عاوز سيادتك في موضوع يهمني.

- بعدين.

اقتربنا من المترل.. ضغط سيد على الريموت كنترول.. فتح البوابة.. ممر مرصوف يسع سيارة واحدة ينتـــهي عنـــد بـــاب المترل.. أنزلني سيد وأدخل السيارة إلى الجراج ليأخذ ســـيارته الهونداي التي كنت اشتريتها له ليعود إلى مترله. الجرائد اليومية

على منضدة صغيرة في مدخل المترل. غيرت كثيراً من عـــاداتي اليومية.. كنت أفضل قراءة الجرائد قبل النوم.. جرائـــد اليـــوم التالي.. أصبحت أقرأها صباحاً مثل أغلب الناس حتى لا أصاب بأرق قبل النوم.. الجرائد لم تعد تحمل ما يسر، خاصة في ظـــل تزايد الحملة على رؤساء مجالس إدارات الـــصحف الـــسابقين. جوانا تسألني إذا كنت أرغب في شـــيء وتخـــبرني أن المـــدام وصلت.

- إذا رغبت في شيء.. سأنزل إليك في حجرتك كالعادة.

خلعت ملابسي ورميت حذاء "الواطي" بعيـــداً وأغلقـــت الأنوار ونمت.

* * *

الأسوار العالية

صباح بارد، لا ينفع معه فودكـا أو غيرهـا والجلـوس في الحديقة غير مناسب اليوم على الإطلاق. حذرتني جوانـا مـن الخروج خارج المنزل، فالجو مترب ومن المحتمل هطول أمطار.. تصحو جوانا وأول ما تبحث عن سماعه هـو حالـة الطقـس وتؤكد أن البي بي سي هي الأصدق وتنبؤاتها هـي الأصـح. سأقضي صباحي اليوم في لوبي المنزل وهـو مؤثـث بطريقـة الفنادق. بهو كبير فيه ست صالونات، جميعهـا وارد بـاريس، انتقيتها بنفسي عندما اصطحبت مهندسة الديكور وقضينا سوياً عشرة أيام هناك. كان ذوقها راق ومطالبها لا تنتهي.

الدور الأول به المطبخ والحمام وحجرة مكتبي وغرفة جوانا الدافئة وباقي المساحة تشغلها الصالونات ومائدة طعام حولهـا عشرين مقعداً.. في منتصف السقف تتدلى نجفة ضخمة، واحدة من النجفات الثلاثة التي اشترتها المؤسسة لمبناها الجديد الملحـق بالمبنى القديم.. النجفات الثلاثة، وقع سيد السائق باستلامهن من الشركة المنتجة، واحدة عرفت طريقها إلى منزلنـا العـامر في التجمع الخامس. وضعت جوانا الإفطار والجرائد والعصائر على طاولة الطعام.. أفضل دائماً المقعد الرئيسي بجوار النافـذة بمـا

يسمح لي برؤية المكان كله وفي الوقت نفسه يحمـــي الحـــائط ظهري .

ذوق المهندسة يحسدني عليه كل من أتى لزيارتي من كبـــار القوم. سجادة من الحرير الخالص مساحتها ثمانين متراً مربعـــاً- ثمان أمتار في عشرة، صنعها لي مصنع في السادس من أكتوبر، لا يتعامل إلا مع أمراء الخليج ولا ينسج إلا الـــسجاجيد الحريـــر، السجادة وحدها كلفتني ٢٤٠ ألفاً من الجنيهـــات. الفـــاتورة وصلت المؤسسة. وتم استخراج الـــشيك.. علـــى الحـــوائط " تابستري " من الحرير في أطر من الخشب الماهجوني من تصميم وإنتاج ويصا واصف بالحرانية.. لم أضع يدي في الطعام.. أجول بنظري في المكان. جوانا أخـــبرتني أن المـــدام خرجـــت قبـــل استيقاظي بحوالي ساعة.. قالت أنها ستغيب اليوم وقـــد تبيـــت ليلتها عند ابنتها في الربوة في ٦ أكتوبر وربما تتـــصل تليفونيـــاً لإخبارنا بذلك.

جوانا فعلاً هدية قدمها لي محي بعد فترة من الخـــصام بيننـــا وبعد أن أهدى لي السكرتيرتين. اشترطت كل واحدة شـــروطاً معينة قبل التحاقهما بالعمل.. سيارة خاصة من المؤسسة بسائق وساعات عمل لا تتجاوز السبعة وإذا عملت أحـــداهن فتـــرة أطول يصبح اليوم التالي أجازة.. وافقت وكانت المصيبة.. رغم تكتمي الشديد وحرصي على ألا تخرج خارج المؤسسة، إلا أن

الكل علم بها وتسربت إلى صحف المعارضة الصفراء. بنت منهما ظلت في المكتب بعد مواعيد دوامها وتغيبت في اليوم التالي.. ذهب إليها السائق.. لم تنزل.. صعد إلى الشقة.. أنكر السكان وجود آنسة بهذا الاسم في العمارة كلها. بعد اسبوعين فقط من التحاقها بالعمل ارتكبت جريمتها .. سرقت حقيبتي الشخصية، بها جواز السفر وخمسين ألف دولار.. كل دولار ينطح دولاراً وعقدين لشراء قطعة الأرض التي بنيت عليها الملحق الجديد. عقد أصلي وعقد مضروب. المضروب والذي كنت سأقدمه للمؤسسة مذكور فيه أن قيمة الأرض اثنتا عشرة مليوناً من الجنيهات والعقد الأصلي مذكور فيه القيمة الحقيقية وهي سبعة مليون.. الفرق ليس كبير. خمسة ملايين جنيه.

البنت فص ملح وذاب. اتصلت بمحي أخبره بما حدث وأسأله عن اسم البنت الحقيقي وعنوانها. أنكر أنه يعلم أن لها اسماً أخراً غير الذي قدمها لي به وأنكر معرفته بعنوان لها غير شارع نخلة المطيعي بمصر الجديدة.. طلب مني أن أبلغ الشرطة أو اتصل باصدقائي في الداخلية وهو يعلم أنني لن أستطيع. تقابلنا في الكوفي شوب، أقسم بأغلظ الإيمانات أنه لا يعرف شيئاً عن الفتاة غير ما أخبرني به. كنا على وشك التشاجر في المقهى.. تدخل الأصدقاء. تحدثت عن الأشياء المسروقة.. جواز السفر والخمسين ألف دولار ،اخفيت عنه موضوع العقد.. وعدني أمام الأصدقاء بالبحث عنها وأن رجاله سيقلبون مصر رأساً على عقب إلى أن يتم العثور عليها.

لم أرد على مكالمته وعندما جاءني في مكتبي رفضت استقباله.. كل ما أفكر فيه هو عقود شراء الأرض والتي صاغها محام شهير.. اتصلت بالمحامي. قال من الصعب إقناع البائع بتوقيع عقد جديد ما لم يطلب زيادة في قيمة الصفقة لن تقل عن اثنين مليون جنيه! ورطة وفضيحة كبيرة تنتظرني. في اليوم الثالث، اتصلت بي سكرتيرتي السابقة. صوت هادئ وناعم وجسور.

- الشنطة في الحفظ والصون.

- أين هي؟

- سأسلمها لك.

- فيها كل شيء.

- ليس كل شيء.

سقط قلبي وارتبكت، طلبت منها أن تحضرها وتأخذ ما تريد وكأن شيئاً لم يكن. كانت حادة وحاسمة وحازمة وقوية وكأن هناك قوى عظمى تحميها..

- الحقيبة بها جواز السفر وعقود البيع.

- كيف وأين أقابلك ؟

- في المقهى.. تأتي دون حرس أو خلافه. تأتي وحدك بسيارتك.. دون السائق.. الساعة الثانية بعد ظهر اليوم.

أمامي ثلاث ساعات.. لا أعلم كيف سأقابلها وأخـــشى أن يكون هناك كمين من أي نوع أو تكون البنت طرفاً في لعبـــة كبيرة لا أعرف خيوطها.. نزلت من المكتب ومعي ســـيد.. إلى ميدان روكسي.. نزلت من السيارة.. أخـــذت تاكـــسي إلى الكوفي شوب.. وصلت قبل موعدي بنصف ساعة.. جلـــست على مدخل المقهى.. لم أدخل حجرتنـــا المعتـــادة. أحـــضر لي الجرسون شيشة وشاياً.. لم أستطع أن أمد يدي على الشيشة أو الشاي.. جف ريقي.. شربت كوب الماء وطلبت كوباً أخـــراً. سيارة جيب شروكي سوداء اللون.. توقفت فجأة أمام مدخل المقهى.. نزل منها ثلاثة أفراد مثل أبطال المصارعة.. وقفوا على مدخل المقهى ونزلت سكرتيرتي.. لم تلق تحية أو سلام. القـــت عليَ الحقيبة وركبت السيارة.. سيارة بلا أرقام. الـــشنطة بهـــا جواز السفر وعقود البيع وورقة واحدة. فئة عـــشرة دولارات. مكتوب عليها " للذكرى الخالدة " أوقفت سيارة أجرة وعدت إلى سيد في ميدان روكسي.

قاطعت مجموعة الأصدقاء.. لم أذهب إلى المقهى لمدة تزيـــد عن الشهور الثلاثة.. توسط بعضهم لتنقية الأجواء وأقسموا أن محي خارج اللعبة وأن لا علاقة له إطلاقاً بسرقة الحقيبة.. ذهبت إليهم في الكوفي شوب.. أخرج محيي ربيع مصحفاً وأقسم عليه وعادت المياه إلى مجاريها.. بعدها بعام قدم لي جوانا. قال هدية

"غسيل ومكوه" خبيرة مساج وأمينة.. سألته إذا كان لها اسماً أخر غير جوانا وأنها من الممكن أن تكون صينية وليست فلبينية. أعتبر أن هذا المزاح يؤكد عدم صفائي له.. التحقت جوانا بالعمل واحتفظت بجواز سفرها. جوانا بالفعل هدية، طماعة بعض الشيء، إلا أن الطمع شعور إنساني عادي. تتقاضى راتباً شهرياً، تحاول كل فترة أن ترفعه وتتقاضى خمسين دولاراً لكل زيارة لي في حجرتها، هي التي حددت الأجر ومن وقت لأخر أمنحها خمسين أو مائة دولار زيادة. أنهيت تناول الإفطار ورفعت جوانا الأطباق والأكواب وجاء سيد وبدأت في قراءة الصحف فلان يدلى بأقواله أمام النائب العام" جريدة أخرى بصياغة أخرى "فتح التحقيق مع فلان. " جريدة ثالثة "فتح ملفات الفساد في المؤسسات الصحفية" الغريب أن المؤسسة التي كان يرأسها علان هذا هي الأعلى صوتاً، نبرة التشفي واضحة في الصياغة والعناوين.. يبدو أن العملية جد.. اتصلت بالمسئول الذي كان صديقي والذي أغرقته بالهدايا طوال سنوات، بدءاً بالجنيهات الذهبية وحتى السيارات.

- أنا هتصل بيك.. لا تطلب هذا الرقم مرة أخرى.

الواطي يتهرب مني.. لم يحاول أن يسمعني رغم شعوره بقلقي وخوفي من الأيام القادمة.. كل يخاف على مقعده. كل يخشى من لقب مسئول سابق. دق جرس التليفون.. ظننت أنه

عاود الاتصال بي. لم يكن هو.. المدير المالي والإداري السابق في مؤسستي السابقة. الذي خرج قبلي على المعاش بشهرين.

- أنا قريب منك على بعد مسافة عشر دقائق.

- أرغب في رؤيتك.

- حالاً سأكون عندك.

الأستاذ نعيم مطر مطر.. أستاذ الحسابات والميزانيات، لم أر مثله في حياتي.. لا أحد يستطيع أن يمسك عليه شيئاً. ورع.. مصل.. حج عشرات المرات أثناء عمله في السعودية كأمين للمخازن في إحدى الشركات. استطاع من وظيفته البسيطة تلك أن يبني عشرات العمارات في مدينة نصر وما حولها.. كان يعرضها كلها للتمليك بمجرد تشطيبها. المطر يشرع في الهطول كما تنبأت جوانا.. دخل نعيم مطر.. احتضنته واحتضني. نحن في قارب واحد ولا نعلم ماذا تخبئ الأيام القادمة. تظاهرت بالقوة والتماسك، فهو أولاً وأخيراً كان أحد المرؤوسين.. اثنى على الفيلا والذوق والأثاث وهو يعلم أن الصالونات الستة جاءت من باريس.. اشتراها مدير مكتبنا هناك وشحنها إلى القاهرة ووقع نعيم مطر بك مطر بنفسه على الشيكات التي تم إرسالها له وجددت أنا بنفسي عقد مدير مكتبنا في باريس لأربع سنوات اخرى مقابل خدماته.

تحدث نعيم مطر عن بناء الفيلا والفترات التي قضاها هنا مع العمال أثناء التشييد وأكد أنه ما زال مع وجهة نظره التي ذكرها من قبل عن السور وارتفاعه وأن السور يجب أن يكون منخفضاً بعض الشيء أو تتخلله فتحات لكسر جدار العزلة.

- قرأت جرائد الصباح واخبار التحقيقات.

- أنا بفكر فعلاً في خفض ارتفاع السور.

- أحنا مش في السور دلوقتي.

- طبعاً. طبعاً.. قرأت الجرائد .. صاحبك في النيابة اليوم ولا نعلم من سيذهب غداً. !

تماسكت وشددت ظهري إلى المقعد ووضعت ساقاً على ساق، فأنا تعلمت لعبة الحسابات من نعيم مطر هذا وعرفت بمساعدته الشيطانية كيف أحمي نفسي. لا توجد ورقة واحدة أو مستند واحد أو إذن صرف عليه توقيعي، حتى الشيكات لم أوقعها. المكافآت وغيرها من النثريات تركتها لهيام سكرتيرتي السابقة. كانت تكتب بخط يدها المبلغ المطلوب صرفه. المبلغ الذي أمليه عليها وأضع في طرف الورقة علامة √ صح بقلمي الأحمر الذي يعرفه الصرافون داخل المؤسسة.. لم يجرؤ أحد على الاعتراض أو منع الصرف. تقارير الجهاز المركزي للمحاسبات

خلال العامين الماضيين قبل خروجي من الخدمة ليس بها أية مخالفات مالية أو إدارية، كان بها بعض الملاحظات والتي كان يكلف نعيم مطر هذا بالرد عليها.

- أنت في الأمان.. يا فاروق.

فاروق مجردة.. فاروق عارية.. لا يسترها لقب أستاذ أو ريس أو يحميها من خلفها لفظ باشا. الأمور ساءت والرموز ضاعت والهيبة خرجت و لم تعد. سأتحمل هذا " الواطي " كما تحملت غيره، فأنا الآن في حاجة إلى رفيق.. إلى ونيس- إلى شخص يسأل عني ويتصل بي ويودني حتى ولو كان واطي. ليس هناك ما يدينني على الإطلاق، فانا لست فلاناً أو علاناً.. أنا فاروق عوض حتى ولو كنت من غير باشا. الأدهى والأجمل والأذكى الذي لا يعلمه نعيم مطر بك مطر أن الدورة المستندية كانت تعود لي في النهاية.. المستندات والأوراق وحوافظ الشيكات.. كانت كلها تعود إلى مكتبي في النهاية.. احتفظت بها فترة في شانون لم أعط مفتاحه لأحد.. حتى هيام التي كانت تسأل عما في هذا الشانون، كنت أخبرها أنها أوراق ليس لها أهمية.

يرشف نعيم مطر بك من كأس الويسكي الذي أحضرته جوانا.. يشرب نعيم مطر صباحاً وعصراً وليلاً ويختتم يومه

بصلاة العشاء والاستغفار. أول شخص أقابله في حياتي يشرب الويسكي بنفس طريقة شرب القهوة.. وضـع الكـأس علـى المنضدة وأشار بأصبعه إلى تابستري معلق على الحائط، معلقاً أنه أجمل اللوحات المعلقة. نعيم مطر لا يفهم في الذوق أو الفنون.. يفهم في المال وألاعيب الحفاظ على المال وأساليب الهروب من الاتهام بسوء استغلال المال.. أخذ يثني على مهندسة الـديكور التي اثثت الفيلا وعلى ذوقها.. يعلم قصتها معي وأيام بـاريس ويعلم أنها كلفتني كثيراً وكادت أن تورطني في أشياء أكثر ويعلم كيف انتهيت منها. لقد وقع بنفسه على الشيك الذي حصلت عليه. مائتان ألفاً من الجنيهات وطلب منها شخصياً بناء علـى تعليماتي بعدم الظهور مرة أخرى في المؤسسة.

أيام قضيتها معها في باريس.. أول ليلة في فنـدق ريتـز.. كانت في حالة ذهول. بعدها وفر لنا مدير مكتب الجريـدة في باريس مكاناً هادئاً بعيداً عن الفنادق ووسط باريس المـزدحم. فيلاً صغيرة في منطقة "شابل".. لا يسكنها إلا الأثرياء العرب.. لكل شيخ قصره أو فيلته، لا يأتيها إلا أسبوع أو أقل قليـلاً في العام. عشرة أيام.. قالت عنها أنها عشرة أيام في الجنة.. سـيارة بسائق تحملنا إلى وسط البلد كل عـصر. نـشاهد معـارض الأثاث.. ننتقي ما نريده.. يدفع مدير مكتب الجريدة الفواتير.. عدنا.. ووصلت الأطقم والأباجورات واللوحات.. نسقت هي

الفيلا على ذوقها.. ذوق بالفعل عالٍ يحسدني عليه الكل.. بعد أيام اشتكت من وعكة صحية، أخبرتني أنها ستجري تحاليل طبية، فهي تخشى أن تكون حاملاً.. طلبت من نعيم مطر هذا أن يعد لها شيكاً سخياً وأمراً غبياً بالطرد النهائي.

– ماذا تظن أن يقول صاحبك في التحقيقات؟

– لا يهمني.. وضعه مختلف عن وضعنا.. قامت جهات رقابية كما تعلم بتفتيش مكتبه وصادروا مستندات كثيرة.. تقول الصحف أنها تدينه. نحن ليس لدينا مستندات تدينا أو تبرأنا.. المستندات كلها التهمها حريق.. ماس كهربائي لعين أشعل النار في طابق كامل وأتى على المستندات.. المعمل الجنائي أوضح في تقريره أسباب الحريق وحصر التلفيات وأغلق المحضر وانتهى الأمر. آثار نعيم مطر بك نقطة جديرة بالملاحظة وهي أن من أهم أسباب تقديم صاحبي للنيابة أنه ظل محتفظاً بلسانه داخل فمه، ظناً منه أن الصمت قد ينفعه، إلا أنه أصابه بالأضرار في النهاية. لم يحاول أن يدافع عن نفسه حتى في جلساته الخاصة و لم يحاول أن يورط معه مسئولين كبار وعندما ضاقت عليه الحلقة لم يفكر في الفرار.. نعيم مطر من حيث لا يعلم فتح لي طريقين.. أما الحديث في الجلسات والدفاع عن نفسي أو الفرار.

- لابد أن تخرج وتقابل الناس وأن تعاود اتصالك برجالك داخل المؤسسة.. لابد أن يشعر الناس بأنك مازلت في لياقتك وقوتك.

- سأحاول.. الأمر يحتاج بعض التفكير، فأغلب رجالي طلعوا... لا داعي.

تسأل جوانا نعيم مطر بك إن كان يرغب في كأس أخر. يشكرها.. فهو مضطر للرحيل، فابن أخيه يجلس خارج المترل في السيارة.. لماذا لم يخبرني ؟.. كل ذلك الوقت وابن أخيه في الخارج!

- يا جوانا.. اندهي على الأستاذ اللي في السيارة أمام الفيلا.

- لا داعي، فأنا على سفر.. تعلم أن لدي ولد وحيد يعيش في أمريكا وقررت السفر إليه والإقامة معه وقلت مفروض أن أمر عليك وأنا في طريقي للمطار.. الطائرة أمامها ساعتين.

الواطي.. لم يخبرني من قبل عن نيته بالسفر أو الهرب. جاءني قبل موعد إقلاع الطائرة.. كيف استطاع أن يخفي خططه عني وكيف استطاع خداعي كل هذه المدة.. وقف على قدميه.. احتضنني حضن الوداع. انسابت الدموع من عيني.. سيتركني وحدي.. لولا الملامة لتركته يخرج من الفيلا واتصلت بسلطات

المطار وأمنعه من السفر حتى ولو بطريقة غير قانونية... فليسافر.. وجوده في مصر في حالة تأزم الوضع قد يصبح عبئاً عليَ.. قد يشهد ضدي إذا ما تطورت الأمور ويصبح أقوى أدلة الاتهام.. مع السلامة يا نعيم مطر.. خطوت معه خطوات حتى باب الفيلا.. ركب السيارة وأشار لي مودعاً.

دخلت الفيلا مرة أخرى.. وجدت جريدة صفراء كان نعيم مطر تركها على المنضدة.. جريدة لم أسمع عنها من قبل ورئيس تحرير لم أقرأ اسمه من قبل على خبر أو تحقيق.. "عين الصقر".. رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير "سيد فانلة". تحقيق على صفحة كاملة، صورتي بالحجم الكبير على ثلاثة أعمدة.. صورة نجاتيف وعنوان على ثمان أعمدة "عشيقات فرفور يفتحن الملفات ويطالبن بتعويضات" فرفور هو أنا فاروق.. سكرتيرتي هيام يرمز لها بالحروف الأولى ، تتحدث عن علاقتي بها وكيف أجبرتها على توقيع إقرار بعدم الزواج لمدة خمس سنوات قبل تعيينها في المؤسسة وكيف تعاملت معها كجارية ومحاولة تزويجها لأحد المحررين القادمين من الأرياف.. السكرتيرة الثانية الحرامية تحكي كيف هربت مني بعد أن حاولت اغتصابها في حجرة النوم الملحقة بالمكتب وأنني حاولت أن أضع لها أقراصاً منومة في كوب العصير.. مهندسة الديكور تحكي عن أيام باريس والهدايا التي اشتريتها لها والفواتير التي دفعتها المؤسسة

وصورة زنكرافية للشيك الذي تسلمته وصورة لطفل تؤكد أنني تهربت من نسبه الىَ.. سيد فانلة هذا وقع و لم يسم عليه أحـــد. خطأ فادح من الديسك، ترك اسم هيام كاملاً.. من الممكـــن التقدم ببلاغ للنيابة وتقديمه للمحاكمة وإغلاق الجريدة.

- جوانا.. سيد.. جوانا.. سيد..

ناديت بأعلى صوتي عليهما.. الجريدة لم يتركها نعيم مطـــر الواطي سهواً ولكنه تركها عمداً.. ليقول لي أشرب لوحدك.. يا فاروق.. كل رجالي طلعوا.... اندفع سيد وجوانا إلى البهو. طلبت من سيد أن يتصل تليفونياً بهيام ويخبرهـــا بالمنـــشور في جريدة عين الصقر وأن تذهب إلى الشهر العقاري لعمل توكيل لمحامي ذكرت له اسمه وطلبت منه أن يتصل من التليفون الثـــاني بنجيب أو عبده سليم ويأتوني بكل التفاصيل عن الواد ســـيد فانلة ومع من يعمل ومن يحركه وأين كان يعمل قبل أن يفتـــتح هذه الجريدة ومن يمولها؟. في ظرف ساعة على الأكثر أريـــد أن تكون المعلومات كلها أمامي. لابد من الضرب.. من الفضح.. من الدفاع.. لن أترك هؤلاء الواطيين يقضون عليَ.. لن اسكت بعد اليوم .

المطر توقف.. لابد من الخروج من المترل واستنشاق الهواء.. لابد من التفكير بهدوء.. ما يتم مؤامرة.. يحرك خيوطها بعـــض

مما أعرفهم.. بعضهم داخل المؤسسة.. كانوا من المقـــربين لي.. رفعتهم درجات ودرجات.. بعضهم حولته من شحاذ معدم إلى صاحب ملايين وأراضي وعقارات وأسهم في البورصة.. واطيين منهم أعرفه.. بعد خروجي من المؤسسة، بدأ يأتي إلى الجرنـــال بسيارة مرسيدس. سأله البعض هل اشتريتها مؤخراً.. أكد أنهـــا معه منذ سنوات، إلا أنه لم يستطع أن يأتي بها إلى الجريدة ولـــو كان فاروق يعلم أن لديه سيارة مرسيدس لفصله من العمـــل.. الواطيين أكثر من واحد.. هل بينهم اتفاق أو أن كـــل واحـــد منهم يعمل بمفرده.. ما يحدث مؤامرة.. مؤامرة.. هـــل اتقـــدم بشكوى إلى نقابة الصحفيين والنقيب..؟ أسألهم عـــن ميثـــاق الشرف الصحفي وضرورة معاقبة من يـــسيئون للمهنـــة. لـــو تقدمت بطلب مثل ذلك، لمزقني "مقاطيع" النقابة أرباً وتشفوا فى وسألوني عن ميثاق الشرف الصحفي الذي لم ألتزم به طـــوال رئاستي لمجلس الإدارة وإهانة قرارات مجلس النقابـــة ومحاســـبة ومطاردة كل من يذهب إلى مبنى النقابة.

النخيل الأخضر الجميل زاده المطر اخـــضراراً والأشـــجار والنخيل في الحديقة تخلصت من الأتربة والجو أصبح أكثر نقاء.. هدأ صدري بعض الشيء. معالجة الأمور تحتاج الكـــثير مـــن

التفكير وبعض الهدوء. لن يحميك أحد بعد اليوم يا فاروق وما يحك جلدك مثل ظفرك.. فتول أنت جميع أمرك. جاءت جوانا بعصائر وزجاجات مياه معدنية.. وضعتهن على المنضدة وألقت بنفسها علـــى المقعد المجاور.

- أنت تحتاج بعض المساج.

- ليس هذا وقته.. اتركيني.. يا جوانا.. (ســـيد يـــأتي إليَ مهرولاً، ووجهه يكشف عن فشله فيما طلبته منه. يبدو أن هيام لم تستجب لما طلبته منها.. أريد أن أعرف بالـــضبط وبدقـــة الحوار التليفوني الذي دار بينهما.. ماذا قال لها وماذا قالت لـــه بكل دقة.. كنت أتوقع منها الرفض.. الواطية بنت الواطية التي قمت بتعيين كل أقاربها في وظائف مختلفة بالمؤسسة قالت لسيد ما لم أتوقعه. فاروق يريد من يحارب له معركته. لن أتدخل فيما يدور. نعم أجريت حواراً مع الأستاذ سيد فانلة.. هو ناسي أنه رماني مثل الكلبة.. هو ناسي أنه وقف حالي.. منه لله.. خليها يذوق.. يعتذر سيد بعد كل جملة ينطق بها.. أنا لـــسه هقـــول وعندي كتير هقوله.. لسة مشفش حاجة وأغلقت التليفـــون في وجه سيد بعد أن نعتته بصفة القواد.

- عبده سليم على التليفون الثاني.. يا باشا.

- حوله إلى التليفون الذي أمامي.

- ألو.. أيوه.. أيوه.. أنت فاكر التي بتقوله ده معلومات.. أنت طول عمرك حمار.. أنا مرشحتكش رئيس تحرير إلا لكونك حمار.. أنت تخبص خبصة خايبة وتطلب لنفسك أو لمراتك علاوة أو ترقية.. الدور هيجي عليك وعلى مراتك.. ما هي كانت سكرتيرتي برضه.. ابعتلي نجيب على المترل على وجه السرعة.

غبي .. هو الوحيد الذي يدعي أنه يدافع عني بعدما تخلى عني كل الواطيين.. يظن أن ما يفعله أصالة وجدعنه أولاد بلد.. قليل الحيلة ومنعدم الكفاءة. نجيب مختلف.. سيأتي لي بكل المعلومات عن الواد سيد فانلة وسأفكر معه في كيفية التعامل مع هؤلاء الواطيين.

- يا سيد قلت هتجيب المقاول عشان السور.

- تليفونه أه يا باشا.. من الممكن الاتصال به.. مكتبهم في مصر الجديدة ومصانعهم في العاشر من رمضان وممكن يصل إلينا في نصف ساعة.

وصل مهندس شركة الفورجية والكريتال في أقل من نصف ساعة.. شاب في العقد الثالث يرتدي بدلة كاملة غالية الثمن.. ليس من المفروض أن تلبس أثناء العمل.. مهذب لدرجة تثير الغيظ. يا باشا.. سعادتك.. ينطقها دون تكلف. سأل عن

المطلوب.. إزالة جزء من السور الخرساني واستبدله بفورجيه.. وضع كتالوجاً ضخماً على المنضدة وسأل عن مكان شراء طقم الخيرزان الذي نجلس عليه.. خيرزان أندونيسي.. أنهى حديث المجاملات وأنهمك في حديث العمل. لا يحفظ كلمتين مثل مندوبي المبيعات ولكنه يعرض ويصمت لسماع رأي أو لتبادل الرأي. من الأفضل أن يكون ارتفاع السور الخرساني لا يزيد عن مائة وعشرين سنتمتراً وبقية الارتفاع فور فورجيه.. علمت منه الاسم الحقيقي.. ومن الأفضل ألا يهدم السور كله لأن واجهة الفيلا عريضة.. لا تقل عن أربعين متراً.. عرفت انه يقدر المسافات وبدقة دون الحاجة إلى أخذ مقاييس.. تظل الأعمدة الخرسانية الرأسية كما هي ويترك نصف متر على الأقل من ناحية كل عمود. والباقي يصبح فور فورجيه، يعطي مجالاً للرؤية ومن الأفضل عدم زراعة نباتات متسلقة على السور حتى يظهر جماله والتصاميم التي به.. وفتح الكاتلوج وطلب مني أن أختار التصميم الذي أرغبه.

علمت منه أنه ليس مجرد مهندس بل شريك في الشركة.. أربع شبان قدموا من الخليج بعد رحلة عمل طويلة وقرروا العودة إلى مصر والعمل فيها وفي نفس تخصصهم.. بناء أسوار القصور والفيلات. فهمت منه أن العمل في مصر أكثر ربحاً من العمل لدى الغير في الخليج.. جملة واحدة منه كشفت رواج

صناعتهم وتجارتهم الجديدة هنا في مصر. المهندس خريج كلية الفنون التطبيقية، إلا أنه يعلم تاريخ هذه الصنعة تماماً ومتى ظهرت في مصر ومن جاء بها إلى القاهرة والزبائن القدامى والزبائن الجدد. مشايخ وأمراء الخليج فقراء بالمقارنة بأمراء مصر الجدد. تحدث عن الأغنياء بلسان محترم، فهو يكسب عيشه منهم، بل أصبح واحداً منهم.. حصته في الشركة بقيمة ثلاثة مليون جنيه.

قام ليرفع مقاسات السور.. كتب في دفتر صغير معه كل البيانات والأرقام وعاد للجلوس ليتحدث في الأسعار.. هدم السور بالطريقة التي ذكرها تتكلف عشرين ألف جنيه والسور المعدني سيتكلف مائة وستين ألفاً من الجنيهات.. سعر لن أجده في أي مكان آخر. والمدة التي يستغرقها الهدم والبناء أربعة عشر يوماً منذ تاريخ توقيع العقد ودفع خمسين في المائة من الحساب بشيك مقبول الدفع أو نقداً.. هذا المبلغ لم أدفعه في الفيلا كاملة ولكن للضرورة أحكام.. هذا السور لابد من التخلص منه. أشعر وأنه يضغط على ضلوعي وصدري.. ترك بطاقة بها اسمه وأرقام تليفوناته ورقم الحساب في البنك واسم البنك ونهض.. لم ينس أن يثني على البوابة الجميلة، إلا أنه علق عليها قائلاً أنها زهر صب.. صناعة صينية.

– سيد سنترك المنزل عدة أيام.. إلى أن يتم بناء السور الجديد.

– نروح شرم الشيخ أو الغردقة يا باشا.

– أنت الباشا.. من يدفع حساب إقامتنا هناك.. سنذهب إلى البلدة.. أقرب وأرخص.

نجيب بك وصل بصحبة عبده سليم الذي طأطأ رأسه خجلاً بسبب الشتائم التي سمعها مني في التليفون. نعم لقد أصبح رئيساً للتحرير الآن إن ذلك كله بفضلي ويجب ألا ينسى، فهو لا يتمتع بذكاء ولا على درجة حرفية عالية وأنا اخترته بالفعل لأنه حمار وليظل يسبح بحمدي. نجيب غيره تمرمط في الصحافة الحزبية قبل أن يلتحق بالمؤسسة، توسط له أخوه للعمل معنا وقبلته شريطة أن يحكي لي كل أسرار الجريدة التي كان يعمل بها والعلاقات داخلها بين أفرادها. العلاقات السوية وغير السوية وأن يلتزم بتعليماتي وأن يطهر نفسه من الأيام التي قضاها في هذه الجريدة.. التطهر والوضوء عندي سهل وسريع وعملي ومفعوله أكيد يقطع كل الصلات القديمة. عليه كتابة مقال يهاجم فيه قيادات حزبه السابق ويلعن أجدادهم.. المقال هذا هو مسوغ تعيينه الوحيد.. يسلمه لي في اليوم التالي وأنشره أنا في التوقيت المناسب وأتبعه بسلسلة مقالات تهاجم هذا الحزب ورجاله إرضاء للحكومة ورجالها.

سلمني المقال ثاني يوم.. اكتشفت أنه يعلم الكثير من الأسرار.. نشرت مقاله وأصدرت قراراً بتعيينه على الفور..

بجانب العمل الصحفي سيكلف بمهام أخرى.. منـــها تنظـــيم المشاجرات والإشراف عليها داخل المؤتمرات التي يعقدها هـــذا الحزب.. اصطياد المنشقين وتقديمهم لي الواحد تلو الأخـــر.. لم يمانع .. كان على استعداد أن يفعل أي شيء.

- جريدة "عين الصقر" يا باشا.. جريدة مـــشبوهه والـــواد سيد فانلة كان يعمل معي في جريـــدتي الـــسابقة.. الـــواد ده مباحث كان بيشغله العقيد مصطفى.. طبعاً سيادتك عارفه.

- هي دي المعلومات. وجهت حديثي إلى عبده سليم الذي يجلس مثل التلميذ البليد.. ينظر حوله في بلاهـــة.. فكـــرت أن أتصل تليفونياً بالعقيد مصطفى.. زمن.. زمن المهازل.. في أخر الزمن اتصل بعقيد. كنت من قبل لا أتحدث إلا مـــع وزيـــره.. ولكن وزيره مثل غيره لا يرد على مكالمـــاتي.. طلبـــت رقـــم مصطفى.. العقيد مصطفى، فأنا احتفظ بتليفونات كل رجـــال مباحث الصحافة.

- مصطفى باشا.. إيه أخبارك.. أنا فاروق عوض.. أنـــتم إزاي سايبين عيل زي سيد فانلة يقطعني في جرناله.. مش سيد ده أنت كنت بتشغله في الجريدة الحزبية.. إياها.. قول له عيب يا مصطفى باشا.. أنت عارف أننا كلنا مباحث والمباحث التي تعرفه أحسن من المباحث اللي متعرفوش على راى عمنا كامـــل زهيرى نقيب النقباء.

حدثته أكثر من ساعة، لديهم قدرة غريبة على الاستماع والصبر وتمرير المعلومات بسهولة ويسر وكأنها زلة لسان أو دردشة.. حدثني عن تلميذي الخائب عبده سليم وشعرت أنه يعلم أنه جالس أمامي.. تحدث عن سوء إدارته للجريدة ومشاكله من الصحفيين وانخفاض التوزيع وجريه وراء النسوان وفلوس الإعلانات التي يحصلها من تحت الترابيزة. أثناء حديثه عن عبده سليم كنت أركز بصري على عبده وأيقنت أن عبده أو نجيب أو كلاهما قد أبلغاه بأنهما في الطريق لزيارتي. أما الحديث عن سيد فانلة وجريدته، فقد أوضح أنه لا يستطيع منعه أو التأثير عليه وأنه شخصياً وقيادات الداخلية لا يتدخلون من بعيد أو قريب في حرية الصحافة.. الصحافة حرة تقول كما تشاء.

الصحافة حرة.. "هذا زمانك يا مهازل فأمرحي".. ولد كتبها منذ سنوات، كان يعمل عندي في الجريدة.. فصلته. وشردته.. ليس بسبب المهازل ولكن بسبب غروره.. كان يظن نفسه كاتباً ولا يعلم أنني الكاتب الأوحد في الجريدة.. سألت عنه ذات مرة.. قالوا غائب.. تزوج من زميلته نجوى.. جن جنوني.. كيف يتزوج دون إذني.. والأهم كيف نشأت العلاقة بينهما ولم تصل إلي الآذان والعيون التي زرعتها في صالة التحرير.. قررت فصله وأصدرت القرار.. آه.. تذكرت اسمه.. علي مرجان.

- تعرف يا نجيب أين علي مرجان الآن؟

- لماذا جاء على فكرك يا باشا.

- أنا عاوز أعمل جرنال ويصبح مدير تحريره علي مرجان.

- جرنال يا باشا.. ألف مبروك.. جرنالك هيكسر الدنيا.

- الدنيا متكسرة من غير جرايد.

- علي مرجان بعد فصله ذهب إلى الخليج.. ظل هناك أربعة عشرة عاماً.. ومن الخليج إلى لندن مكث هناك ست سنوات.. ثم جاء إلى مصر.. لديه مزرعة في طريق مصر- اسكندرية، لم يعمل بالصحافة منذ عودته.. يصدر كتباً عن الأزمات.. أزمة الضمير.. أزمة الأخلاق.. أزمة الهوية.. أخر كتاب أصدره منذ شهور بعنوان "صناعة الأزمات".

- هي دي المعلومات ولا بلاش.

جوانا مثل النحلة.. تضع عصائر.. وترفع أكواب وعبده سليم ونجيب يشربان وكأنهما جاءا من صحراء قاحلة.. معلومات نجيب مؤكدة وموثقة.. لم أندم يوماً على تعيينه في الجريدة، إلا أنني كنت اتعامل معه بذكاء وقسوة في الوقت ذاته.. فهو ذكي بالفعل، إلا أنه جبان ورعديد.. أرخي له الحبل أحيانا وأصادقه وفي أحيان أخرى أعلن عليه غضبي لأرعبه.. إلا أنه يتمتع بأخلاق الخدم والعبيد.. لا يثور ولا

ينفعل.. الوقت مناسب بالفعل لأطبق نصائح نعيم مطر مطر.. يجب أن أعاود الظهور في الأماكن العامة وأشارك في الجنازات وأقدم واجب العزاء في السرادقات.. يجب أن أتحدث وأهــاجم من يهاجمونني وإن كنت أعرف أعداء اليوم والذين خرجوا من جحورهم، فإن هناك أعداء آخرين يتربــصون.. يــستعدون.. الهجوم على الأعداء الظاهرين يلقي الخوف في قلوب الآخــرين أو على الأقل يجعلهم يفكرون مائة مرة قبل التعرض لي والهجوم عليَ.

– عاوز يا نجيب قعدة كبيرة تنظمها على المركــب النيلــي إياه.. تدعو باسمي عشرين شخصاً على الأقل.. ولــتكن بعــد الغد.. ليلة الخميس.. ارجو أن تختار من تدعوهم بعناية حتى لا تتسرب الأخبار ولا يتناقل ما دار في الجلسة خارجها. أخبرهم أن عشاء خمس نجوم في انتظارهم.

انتهى اللقاء مع عبده سليم ونجيب، لم أتعود أن أصافحهم.. ذهبا.. جاءت جوانا تخبرني أن المدام اتصلت تليفونياً وســتبيت ليلتها عند ابنتنا في ٦ أكتوبر.. ونصحتني بأخــذ قــسط مــن الراحة، فاليوم كان صعباً بالنسبة لي وغمزت بعينها وافصحت أنني في حاجة إلى مساج الليلة وأنها ســتنتظرني في حجرتهــا. تستخدم جوانا كلمة مساج بدلاً من التعبيرات الفجة، خاصــة وأنها متدينة.. دخلت معركة معي.. هددت فيها بــاللجوء إلى

السفارة ما لم تمنح يوم الأحد أجازة للذهاب إلى الكنيسة.. وأخبرني سيد السائق أكثر من مرة أنه شاهدها في مصر الجديدة مع ضابط الشرطة الذي يرأس الكمين في مدخل التجمع الخامس.

مساج ليس مثل كل مساج.. أزاح بعض الهم والكرب. كانت جوانا في كامل لياقتها.. حاولت أن أدس لها ورقة الخمسين دولاراً تحت الوسادة كما تعودت أن أفعل كل مرة.. رفضت وبشدة.. أول مرة ترفض.. أصرت على أنها لن تأخذ مني أي مبلغ بعد الآن مقابل المساج على أن أرفع راتبها. حدثتني كثيراً عن فرص الإقامة في الفلبين وفرص الاستثمار فيها وإذا كنت أعاني من مشاكل في مصر، فإنها تستطيع أن تحصل لي على تأشيرة إقامة دائمة في الفلبين.. وأرحل إلى هناك وابتعد عن المشاكل إلى أن تهدأ الأمور.. لأول مرة تحتضني من الخلف أثناء مغادرة حجرتها وتطبع قبلة على كتفي.. يبدو أن سوء حالي والقلق الذي يعتصرني شعرت جوانا به.. بلغة عربية مكسرة.. قالت لي ما لم تقله لي زوجتي هذه الليلة.. "تصبح على خير".

* * *

الدعوة عامة

أثق في قدرات نجيب التنظيمية، فهو تربى في حزب معارض. هذه الأحزاب لا تعارض ومن الظلم وصفها بالمعارضة ولكنها نجحت بطريقة أو أخرى في جذب هواة الشهرة وأصحاب العقليات التآمرية والباحثين عن لقمة أو منفعة تسقط من هنا أو هناك. نجيب يتمتع بكل ذلك باستثناء حب الشهرة، فهو يعمل في صمت وفي "خباثة" ويرضى بالقليل. أثناء رئاستي للمؤسسة، منحته أكثر من علاوة استثنائية نظير أعماله غير الصحفية، سينجح نجيب في جمع توليفة، تركت له اختيارها، إلا أنني سأحاول الاستفادة قدر الاستطاعة بنصائح الواطي نعيم مطر مطر الذي تركني وسط الأمواج وهرب إلى أمريكا.

اليوم سأعاود الظهور مجدداً في الأماكن العامة، يجب أن أكون في أفضل حالاتي وأعلى لياقتي الذهنية والعصبية بحيث من يراني لا يصدق ما قيل عني خلال الشهور الماضية. ليلة أمس التي قضيتها مع جوانا كان لها فعل السحر. نمت نوماً هادئاً واستيقظت مبكراً ونزلت إلى الحديقة قبل موعدي. سيد السائق وجوانا أول من صافحتهما عيناي.. الجميل في جوانا أنها صباحاً مديرة مترل أو خادمة.. لا دلال ولا ميوعة.. أنا السيد وهي الخادمة.. لو كانت جوانا مصرية لخلطت الأمور

ببعضها.. جاءت بالإفطار والعصائر كعادتها.. وضـــع ســيد الجرائد الصباحية.. طلبت من جوانا أن تصعد إلى حجرة نومي لتأتي بمجموعة الفيتامينات التي على الكومدينو المجاور للسرير.. لم أتناول هذه الأقراص منذ خروجي من الخدمة، إلا أنني اليوم في أشد الحاجة إليها تدفع بالدماء الحارة مجــدداً إلى وجهــي ولأبدو أكثر يقظة.

جوانا بالفعل أجمل هدية قدمها لي محيي ربيعي الذي كـــان صديقي. عندما أدخل حجرتها ليلاً.. أتــذكر محيـــي ربيعـــي ووساخته والسكرتيرة الحرامية التي قدمها لي، وعندما أخرج من حجرتها أغفر له كل ذلك. هذه الأقراص قدمها لي أول مـــرة محيي ربيعي.. أدوية تأتيه خصيصاً من أمريكا.. هذا للنـــشاط الذهني وذلك لحيوية البدن. بعد أن رفعت جوانـــا الأكـــواب وبقايا الطعام، تناولت قرصاً من الفاليوم.. دواء عجيب عـــرفني عليه محيي ربيعي، يزيل التوتر ويجعلك في حالة استرخاء تام.. لا ترمش عيناك ولا تنفعل مهما كانت درجة الإســـاءة الموجهـــة إليك. قرص في الصبح وقرص أخر قبل ذهابي إلى موعدنا على كورنيش النيل.

- لدينا يوم طويل يا سيد.

- تحت أمرك يا فندم.

- سنتناول الغداء سوياً.. أنا وأنت وجوانا .. سنقوم بطهيه معاً.

- ماشي يا باشا.

الله .. جرائد صباح اليوم على نفس منوال الأمس. السواد سيد فانلة يفتح مزيداً من الملفات، سأغلقها على رقبته ورقبة الذين يستخدمونه.. ظهوري اليوم سيكون صدمة لهم.. ضربه لهم.. ولابد من الحديث في الكثير من الأمور وإرسال الرسائل يميناً ويساراً وإلى أعلى.. أعلى وإلى أسفل سافلين.. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل أمثال هؤلاء يعاودون الاختباء. يجب أن تصل الرسائل إلى خصومي داخل المؤسسة وخارجها.. إلى رئيس المؤسسة الحالي الذي بدأ يكتب عن مشاكل الصحف والديون ويغمز ويلمز بأن القروض والديون لم تستغل في مواضعها وأن هناك من لهف هذه القروض ويجب أن تستعيد الدولة هيبتها بإجبار رؤساء مجالس الإدارات السابقين على إعادة دفع ما نهبوه. رئيس التحرير الذي يكتب ضدي وابتدع عموداً باسم وهمي، لابد أن تصله رسائلي الليلة وأنني أضع لساني في فمي احتراماً للعيش والملح ومن لا يحترم العيش والملح عليه تحمل العواقب. لدى الكثير من الأسلحة وأمواس الحلاقة الحادة التي تجعل دماءه تسيل من كل مكان. العيال الذين بدأوا مهاجمتي داخل المؤسسة، يجب أن يتصدى رجالي لهم حتى لو وصل الأمر إلى استخدام البلطجة. الفوضى ستكشف أن رئيس مجلس الإدارة الجديد لا يستطيع أحكام سيطرته على المؤسسة.

اليوم أسعد يوم في حياتي.. نفس نشوة اليوم الذي صدر فيه قرار تعييني رئيساً للمؤسسة. اليوم سأهدم السور الذي أشعر أنه قيد حركتي وأغلق أمامي منافذ الرؤية والتفكير.. هذا الجدار الخرساني القبيح سيحل محله سوراً حديدياً أجمل، يحمي الفيلا ولا يقيد حركة سكانها.. يتيح لهم ولي.. أنا الأهم.. فرصة للتأمل ورصد كل مهاجم غشيم.. السور الذي قبض على ضلوعي شهوراً، سأتخلص منه اليوم وسأخرج إلى الدنيا.. الدنيا التي لا تؤخذ إلا غلاباً.. بعد الغداء.. سأصعد إلى حجرتي، أنام ساعة ثم أنزل بصحبة سيد إلى المقهى لأرى أصدقائي الواطيين.. علمت من مصادري أنهم قاموا بتغيير موعد اجتماعهم الأسبوعي من يوم الثلاثاء إلى الخميس.. غيروا الموعد بعد خروجي من السلطة ولم يحاول أي واطيين منهم أن يخبرني بالموعد الجديد. سأهبط عليهم وأجلس معهم متماسكاً ليعلموا جميعاً أن فاروق عوض الذي كان يتقرب إليه كبار المسئولين ويخشونه ويحاولون تأليبه على بعض خصومهم، ما زال يتمتع بالقوة والقدرة.

- غداء اليوم جوانا. استيك ومكرونة وسلاطة خضراء.. ست قطع استيك محترمة تي بون ستيك.. سنتناول غداءنا معاً وسنساعدك في إعداد الطعام.. استيك مشوي مغموساً في النبيذ الأحمر.

ضحكت جوانا وكأنها لم تضحك من قبل.. صعدت إلى حجرتي.. غيرت ملابسي.. بدلة رياضية وحذاء كوتشي، طلبت من سيد ألا يرد على أي تليفون.. وأن يترك تليفوني المحمول على منضدة الحديقة وأن يستعد للدخول إلى المطبخ لمساعدة جوانا ولنطبخ سوياً لأول مرة طعامنا. المطبخ لا يقل فخامة عن أي مطبخ في أعلى فندق.. مساحته تقريباً أربعين متراً مربعاً. أعرف كل مساحات منزلي.. مجهز على أحدث وأعلى مستوى. ثلاجة ضخمة.. ثلاثة أبواب.. لا بابين.. ديب فريزر رأسي كبير الحجم يزيد عن الثلاثين قدماً.. جريل.. اثنان من الجريلات.. الشواية الأفقية كبيرة والأخرى متوسطة الحجم.. اثنان بتوجاز ثمان شعل.. ميكروويف. جميع مكونات المطبخ صناعة أمريكية.

هذا المطبخ جاء مع المطبخ الذي اشتريناه للمؤسسة. مديري المالي والإداري السابق نعيم مطر مطر نصحني بأن اشتري مطبخين.. فهي فرصة.. مطبخ للمؤسسة ومطبخ لي.. الفواتير جاءت إلى المؤسسة وقام بتسديدها.. ستمائة وعشرين ألف جنيها.. الفاتورة تقول أنه مطبخ واحد. الذي تسلم المطبخ ووقع على أذونات الاستلام هو سيد سائقي. أول مرة أدخل

المطبخ هذا.. نظيف يبرق.. الأرضية والحـوائط والأرفـف.. نظيف مثل الأجزاخانات.. الشفاط القوي الكبير يمنعك من أن تشم رائحة طعام أو غيره.. على الأرفف مجموعة ضخمة مـن التوابل.. أمسك العبوات.. أقرأ ما عليها.. هذا لتتبيل اللحـوم وذاك لتتبيل الأسماك، كلها منتجات أمريكية. الله يرحمـك يـا أمي.. لم تعرف إلا الفرن وحجرة الفـرن.. لا شـويات ولا ثلاجات.. الفرن البلدي لكل شيء كانت تحميـه شـوايات بالجلة.. روث البهائم المجفف وكنا ننام جميعاً على الفرن شتاء.. نشم رائحة الخبيز وأكواز الذرة و البطاطا.

تعمل جوانا بهمة ونشاط.. أخرجت من الفريزر ست قطع ستيك ضخمة مجمدة.. فتحت الميكروويف. وضعتهم ثـوان.. أخرجتهم.. ذاب الثلج.. وضعتهم على ما يشبه الأورمة، قطعة خشب ضخمة واخذت تدق على كل واحدة منهم بـشاكوش خشبي. جوانا سيدة المطبخ.. تطلب من سيد. أن يناولها بعـض عبوات التوابل.. كنت أظن أن هذه التوابل يتم رشـها علـى اللحم.. ولكنها وضعت خليط من التوابـل في إنـاء ضـخم وأسقطت فيه اللحم وطلبت منا الخروج من المطبخ والانتظار في الحديقة إلى أن يتم استدعائنا. سعيدة بوجودنا معها ولكنـها تتصرف باحترام شديد. لو كانت مصرية لأحتكت بسيد أو بي أو غمزت بعينها أو تقصعت بأردافها.

أكثر من جرس تليفـون.. التليفـون الأرضـي وتليفـوني المحمول.. أمرت سيد بعدم الاستجابة للرنين وأنظر من حـين لأخر في شاشة تليفوني المحمول لأقرأ اسم طالب الرقم.. أكثـر من ثلاثة مكالمات لم أرد عليها. رقم واحد.. رقـم المـسئول الواطي الذي يتهرب مني منذ خروجي.. حاولت الاتصال بـه أكثر من مرة.. كان يتحدث باقتضاب وعجرفة.. طلبت منه أن يحصل لي على إذن للسفر لإجراء فحوصات طبية في فرنـسا، كان رده أنه لا يستطيع أن يطلب لي مثل هذا الإذن وإذا طلبـه قد ترفض الاستجابة له.. اتصلت به ذات مرة عنـدما اشـتد الضيق بي، أطلب الإذن لأداء العمرة، لعل وعسى تفرج هـذه الزيارة كربي.. سخر الواطي مني.. نصحني بأن أخطف رجلي وأزور السيدة نفيسة. العقيد مصطفى اتصل هو الآخر أكثر من مرة ، إلا أنني قررت عدم الرد عليهم.. عدم الرد عليهم الآن.. ستصلهم ردودي بعد جلسة المركب أو أثناء الجلسة وقد يفتح أحد الجالسين تليفونه المحمول لينقل لهما ما يدور.. وربما يفعل ذلك أكثر من واحد.. أنا لن أرد عليهما. لن أتلقي مـن الآن تعليمات من أحد. العقيد مصطفى رفض حمايتي من واطيين مثل سيد فانلة، تحجج بأن الصحافة حرة.. حرة إيه يا عمنا.. نحـن نعرف البئر وغطاها. ربما يحاولان إرهاب صـاحب المركـب وتهديده بعدم عقد اللقاء على ظهر مركبه.. هـذا أكـبر مـا

يستطيعان فعله، أما أنا فلن يستطع أي منهما إيذائي أو الاقتراب مني. قصة الصحفي الذي اختفى لم تغلق بعد وهم يعلمون أن التخلي عني في الداخل، سيدفع شركائي في الخارج إلى توفير كل الحماية والدعم لي. هم يعلمون ولا يخفي عليهم.. أنني وأولادي شركاء لأمراء عرب.. بل ملوك عرب.. لديهم الكثير من الاستثمارات هنا.

طلبتنا جوانا.. دخلنا المطبخ.. طلبت مني إعداد وعاء كبير لسلق المكرونة وطلبت من سيد أن يغسل الطماطم ويضعها في خلاط كهربائي ضخم.

– نصف ساعة أخرى والطعام يجهز.

ألقت إلينا جوانا بأوامرها للخروج مرة أخرى من المطبخ.. سنتناول الغداء في الحديقة. أشعر أن شهيتي اليوم مختلفة تماماً وأنني استطيع أن ألتهم وحدي قطع الاستيك الستة بالتي بون. التي بون هي قطعة عظم في الاستيك على شكل حرف تي باللغة الانجليزية.. هذا الاستيك يؤخذ من السلسلة الفقرية للأبقار. رائحة الشواء المخلوطة بالتوابل والنبيذ تنعش الجوعى والشبعانين.. وضعت جوانا الطعام ودخلت مرة أخرى إلى الداخل.. جاءت بزجاجات مياة معدنية ومياه غازية واستبدلت ملابس العمل وارتديت تاييراً.. لأول مرة ألاحظ أن جوانا أنيقة.. جذابة.. أحمر الشفاة يضيف على شفتيها جمالاً مشوباً بالرغبة والجاذبية معاً.

أفكر في اصطحاب جوانا معي الليلــة إلى مقهـــي الأحبــة والأصدقاء وإلى المركب.. فرصة اتجول بها بعض الشيء لــتترع عني بعض الخوف. سأخرج اليوم لأول مرة منذ ما يزيد عـــن خمسة أو ستة شهور. ستة شهور وثلاثة أيام بالتحديـــد منـــذ خروجي من الخدمة. خرجت فيهم مرة واحـــدة وعـــدت إلى المترل مذعوراً خائفاً، لا أعلم ماذا أصـــابني في ذلـــك اليـــوم. خرجت بصحبة سيد السائق. تجول بي في السيارة في شـــوارع وميادين مصر الجديدة.. قررت دخول مول تجاري من المولات الحديثة التي شهدهّا مصر في الفترة الأخيرة. عندما طلب ســـيد بأدب شديد أن ينتظرني في السيارة، نهرته وأخبرته بأنه سيـــسير معي. سيتجول معي في المحلات، ربما يجد شيئاً يشتريه لنفسه أو أسرته وسأدفع أنا له ثمنه. عندما دخلنا المول، تعرف عليَ بعض رواده وبعض الباعه وأصحاب المحلات.

كانت نظراهم إلىَ نظرات نارية فيها تشفي. كلما اقتـــرب مني شخص ظننت أن بيده سكين سيطعنني بها. مسكت بيـــد سيد. شجعته أن يختار شيئاً لاشتريه له أو اسرته أو زوجته على وجه السرعة لأغادر المكان.. أدخلني إلى محل حلواني.. طلـــب دستة جاتوه وبسبوسة للأولاد.. دفعت الحساب وهرعـــت.. سبقته إلى السيارة خارج المول.

شعر بي سيد، أقترح أن نجلس في مقهى الامفتريون بميدان روكسي.. خشيت أن أخبره بخوفي.. عيب مصر هي كيفية تشييع المسئولين. يتم تشييعهم بكوكتيل من الفضائح والفظائع ويحسب من قضى عليهم، أنه أضاف إلى نفسه رصيداً شعبياً عندما تخلص منهم. الشعب يعلم ما لا يعلمه الكبار، سيد السائق هذا يدرك ما لا يدركه رئيس الوزراء. جلسنا في الامفتريون.. نظرات الناس تثقب عيوني وتنهش صدري.. تناولت فنجاناً من القهوة وتركت الحساب على الطاولة وأسرعت إلى السيارة.. هذه الليلة سأصطحب معي جوانا، وجودها جانبي سيمدني ببعض القوة.

- سيد.. استعد.. الساعة الخامسة سنذهب إلى المقهى وبعدها سنذهب إلى المركب اللى على الكورنيش.

- ماشي يا ريس.

- جوانا.. عاوزك تبقي شيك.. ستخرجي معي الليلة.. الساعة خامسة.

قفزت جوانا لتجري إلى حجرتها وكأنها طفلة صغيرة وعدها والدها بالذهاب إلى الملاهي، أشارت لي ولسيد بيدها.. الإشارة غير مفهومة.. هل تقول وداعاً أو تقول أنها ستصبح جاهزة بعد قليل. دخلت المترل وصعدت إلى حجرتي ونمت ما يزيد عن

ساعة. ساعة القيلولة التي فرضت نفسها عليَ منذ خروجي من الخدمة. مثل الأشياء القهرية الأخرى التي وجدت نفسها أنفذها دون تفكير.

في مصر سويعات قليلة تستطيع فيها التحول في شوارعها بسهولة ويسر.. أفضل هذه الأوقات صيفاً وشتاء هي ما بين صلاة المغرب والعشاء. جوانا عروسة.. دخلت السيارة لتجلس بجوار سيد لتترك لي المقعد الخلفي كله. طلبت منها أن تترل لتجلس بجواري أنا.. أنطلق سيد.. هذا التوقيت في التجمع الخامس.. لا ترى فيه سيارة تسير أو بشر.. أحيانا تقابل بعض العمال، خاصة عمال البناء الذين أنهوا أشغالهم في الفيلل والقصور التي مازالت تحت الإنشاء بالمنطقة.

سيد تحول إلى سائق تاكسي وكأنني زبون بجواري امرأة علقتها من الشارع، يختلس النظرات من وقت لأخر لينظر إلى المرآه. ضبط المرآه أكثر مرة مرة ليشاهدني وليشاهد جوانا جيداً، أو لينظر إلى ساقيها وركبتيها التي تكشفهم الجونلة القصيرة التي ترتديها. قصر قامتها ساعدها أن تضع ساقاً على ساق في السيارة وسيد يلمس المرآه بأطراف أصابعه من وقت لآخر. السيارة مرسيدس.. كل شيء فيها ثابت، مرآتها ليست مثل مرايا السيارات الفيات التي تهتز وتتحرك مع المطبات أو

غيرها، إلا أنها حالة استبدت بسيد.. أكتشفت أنا من نظراته المنعكسة في المرآه أنه فيما يبدو يهيم شوقاً بجوانا أو يدفعه الهيجان الفلاحي على جسدها الأجنبي الضعيف الذي يظنه رخيصاً وفي متناول أيدي الجميع.

شغلت نظرات سيد جزءاً من تفكيري إلا أن رأسي كلها تدور حول شكل اللقاء غير المتوقع في المقهى وكيف يكون حال الأصدقاء عندما يرونني فجأة وسطهم وماذا سيكون لقاء المركب والتشكيلة التي سيجمعها نجيب.. قرص الفاليوم الآخر الذي تناولته قبل نزولي بدأ تأثيره في السريان.. هدوء أكثر.. توتر أقل.. لا اهتزاز في الرموش ولا في الأيدي وجوانا بجواري، ملتفته نصف التفافه إليَ.. لا تتحدث، مثل طفلة صغيرة تغرق في التفكير وتتوقع المزيد من المفاجآت. الأسيويون لا يظهر عليهم آثار العمر مثلاً.. من يرى جوانا لا يصدق انها ستحتفل بعيد ميلادها الأربعين قريباً.

دخلنا مصر الجديدة.. تذكرت اليوم المرعب الذي قضيته مع سيد. طردت مثل هذا التفكير من رأسي.. دلف سيد إلى الطريق الرئيسي المؤدي للمقهى.. لف ودار ووجد مكاناً للسيارة. نزلت ونزلت جوانا وجدت يدها في يدي.. لم أمانع.. دخلنا المقهى.. إلى الحجرة التي خصصها صاحب المقهى لجلساتنا. الأصدقاء موجودون.. كلهم برابطة المعلم كما

يقولون. تملكتهم الدهشة.. أنا في وسطهم.. وقفوا.. كل منهم ينتظر زميله في أن يكون البادئ في احتضاني أو السلام علـــيَ.. ينظرون إلى بعضهم البعض. أزحت تلبك الموقف. عاتبتهم على تغيير موعد الجلسة دون إخباري. مد كل منهم يده بالـــسلام، هناك من جاء على نفسه وتقدم لاحتضاني بطريقة حميمية مبالغ فيها. كل منهم صافح جوانا باليد. مدت يدها ببرود إلى محيـــي ربيعي وكأنها لا تعرفه رغم عملها معه عدة سنوات.. ســـلوك محترفات. جلسنا.. نظرت إلى كل منهم سريعاً، أخبرتهم بعزمي على تأسيس شركة رأسمالها خمسة مليون جنيه وأنـــي ســـأقوم بإصدار صحيفة يومية. رن التليفون في جيبي، أخرجته، نفـــس رقم الصباح.. لم أرد عليه.. عاتبتهم علي عـــدم الاتـــصال بي خلال الفترة الماضية. أفهمني أحدهم كذباً بـــأنني لا أرد علـــى المكالمات وها هي مكالمة جاءتني في اللحظة والتو لم أرد عليها.. نظروا لبعضهم البعض مرة أخرى ونظر محيي ربيعي إلى ساعته.. نهضت ووقفت جوانا.

- يبدو أن الوقت لا يسعفني للجلوس معكم اليوم.

ورمقت كل منهم بنظرة سريعة.. لم أنطـــق.. أرغـــب في سبهم جميعاً.. شوية واطيين.. المجموعة ليس بينهم المستـــشار خليل.

- أين المستشارخليل؟

لحظات صمت.. كل منهم ينتظر الآخـــر أن يـــرد علـــى سؤالي.. خليل في السجن محجوز على ذمة قضية.. من الرقابـــة الإدارية إلى النيابة العامة التي قررت حبسه أربعة أيام.. خليل.. قاضي سابق ومسجون حالياً. ابتسامة القوادين تخرج من بـــين أسنان محيي ربيعي، بلعها بجملة تافه.

- الحكومة لا تتستر على فساد.

لن أضيع وقتي معهم.. فأمامي حفلة.. معركة على المركب، يجب أن أحتفظ بهدوئي ورصانتي. من مـــصر الجديـــدة.. إلى وسط البلد.. إلى الكورنيش. أنظر من زجاج السيارة.. خليـــل في السجن وأنا خارج الخدمة.. و لم يتغير شيئاً في مصر.

اليوم.. يوم فاصل وغداً يوم جديد.. غداً سأزيل سور الفيلا الخرساني واليوم بعد جلسة المركب قد تتغير أشياء كثيرة.. لـــن أحسبها ولن أفكر فيها.. أما أستعيد كرامتي وأعود كما كنت فاروق عوض وتتغير معاملـــة المـــسئولين.. كبـــار المـــسئولين ويتركوني بلا حصار أو أسوار أو يحملوني إلى ما وراء الأسوار لأقابل خليل باشا.. باشا سابق غضبت عليه الحكومة. أرســـلته إلى نزهة إجبارية قد تطول سنوات. جوانا أحتكت بي عمداً أو سهواً.. نظرت إليها.. خبطت على كتفي برفق وكأنها تحـــاول

أن تخرجني من أفكاري السوداوية وسيد ينظر إلينـــا في المـــرآه بطرف عينه.

وصلنا إلى مرسى المركب قبل الموعد بما يقرب من عـــشرين دقيقة. وجد سيد مكاناً للسيارة طلبت منه ومن جوانا انتظاري في السيارة. سأتمشى هذه الدقائق على الكورنيش.. أنظر إلى ماء النيل لعل وعسى يزيل الأتربة والغبار العالق على قلبي. أحـــاول أن أتنفس بعمق.. أنظم أفكاري وأفكر لحظات في كيفية إدارة الحوار والسيطرة على اللقاء.. أرغب في أن يخـــرج المجتمعـــون بفكرة واحدة.. فكرة واحدة لا غير.. وهي أن فاروق عـــوض غير قابل لكسر.. فاروق عوض من عجينة أخرى غير البـــشر. فاروق عوض قادر أن يرد الضربة ضربتين وأن لم يكن قـــادراً الآن على القتل والتصفية بمعناهما المعنوي، فإنـــه قـــادر علـــى الإيلام.. لديه من الأساليب والأدوات ما يوجع خصومة الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم.. فاروق عوض سيولد بعـــد هـــذه الجلسة من جديد. يجب أن يعرف "الواطيين" إن فاروق عوض ليس ورقة كلينكس، بصق السفلة فيها والقوا بهـــا في عـــرض الطريق.

أخرجت من جيب الجاكت الـــداخلي العلـــوي زجاجـــة كورفوازيه. زجاجة مشط مبططه.. أغلى أنواع الويـــسكي في

العالم.. لا يشربه إلا أمير موناكو وملوك الملوك. ملأت فمـــي بشفطة واحكمت الغطاء ووضعتها في جيبي وعدت إلى ســـيد وجوانا.. جوانا ستصعد معي إلى المركـــب ويبقـــى ســـيد في السيارة، حتى لا يقول الواطيين كما يشيعون أن فاروق عوض لا يجد من يجالسه أو يؤانســـه، سوى سائقه الذي بدأ يـــشرب معه كل ليلة.. بعد أن انصرف عنه المـــستفيدون وأصـــحاب الحاجات وخاطفو الهدايا والهبـــات، والمنـــافقون والمتـــسلقون وأدعياء المحبة والصداقة.

لأول مرة أدخل المركب دون حراسة.. دون مجموعة تـــسير أمامي تفسح الطريق للباشا وأخرى خلفي. أدخل وحدي بجانبي جوانا.. لم تعلق بذراعي أو تمسك بيدي.. بمجرد الـــدخول إلى الديك- السطح- وقف الجميع وهلل نجيب بقدومي ورحـــب بالباشا وأعاد تنظيم الجلسة.. منضدة كبيرة.. عليها زجاجـــات مياه معدنية وزجاجات مياه غازية وسلات فيها بعض أنواع من الخبز.. الجلسة الليلة بالعشاء.. نجيب هو الذي اســـتقبلني.. لم يخرج مدير المركب الواطي لاستقبالي كما كان يفعل من قبل.

وجوه أعرفها وأخرى لم أتشرف بمعرفتها من قبل. بعـــضهم من مؤسستي وصحفيين من مؤسسات أخرى، شباب وكبار ما يزيد عن عشرين شخصاً بينهم امرأة. مذيعـــة كانـــت لامعـــة وانطفأت بعد طلاقها من المسئول الحالي الكبير.. أجلسني نجيب

في صدر المنضدة، جوانا على يميني والمذيعة على يساري.. لماذا دعا نجيب هذه المذيعة بالذات.. ربما يكون لديه أسبابه.. جلسنا جميعاً.. نجيب حول المركب إلى سفينة نوح.. أخذت اتفحص الوجوه.. جاء من كل زوجين اثنين.. المذعور والجبان والطماع والجشع والمتسلق.. الجلسة بأفرادها مثل طبق الطرشي البلدي.. سلطانية الطرشي البلدي.. لفت وخيار وليمون وعودين جرير.. لم يحضر من رؤساء التحرير الذين رشحتهم قبل مغادرتي سوى عبده سليم.. هذا الغبي الذي لا يعرف أحداً ولا أحد يعرفه.. جلس في نهاية المنضدة مذعوراً من أن يلتقط أحد صورته ويسلمها إلى رئيس مجلس الإدارة الجديد، ويتهمه بالتآمر ضده والتعاون معي.

نجيب هذا عفريت.. طوال عمري أثق في قدراته. ما من مهمة من قبل كلفته بها وفشل. الإشراف على مجموعة من البلطجية لإفساد مؤتمر.. كان ينجح.. قيادة المحررين الصغار إلى نقابة الصحفيين في الانتخابات وتسليمهم قوائم الأسماء المطلوب انتخابها.. كان يفعل.. الإشراف على تنظيم الجنازات وحشد المعزين لسرداقات العزاء كانت مهمته المحببة يؤديها باتقان ويتظاهر بالحزن الشديد.. لا أنسى يوم وفاة أمي.. قاد أوركسترا البكاء والنحيب في المقابر عندما وارى جسدها الطاهر الثرى. رقيته بعدها إلى نائب رئيس تحرير ومنحته علاوة استثنائية قدرها مائتي جنيه. واد بالفعل عفريت والأدهى أنه

سفنجة.. قادر على امتصاص كل الإهانات والزجر.. عجينة تربت في صحف المعارضة واكتشف فيما بعد أن نار الصحف الحكومية أكثر برداً وسلاماً من جنة الأحزاب تلك، مال نجيب على أذني ليهمس بأنه جاء بعلي مرجان كما طلبت.. سألته عن موقعه على المنضدة، أشار إليه.. طلبت منه أن يجلسه بالقرب مني.

حرك نجيب شخصاً من مقعده ليأتي بعلي مرجان بالقرب مني.. ملامحه تغيرت.. مد يده بالسلام عليَ وشد على يدي.. رجل في الخمسينيات من عمره.. كنت فصلته وهو في نهاية العشرينيات. يرتدي بدلة فخمة غالية.. أثار النعمة بادية عليه. عاد إلى مكانه وجلس.. وقف نجيب ليعلن أن الأستاذ فاروق عوض جمع هذا الحشد من اصدقائه وتلاميذه ليجلس معهم بعض الوقت ويتناولون سوياً العشاء ويعلن عن تأسيس جريدته المستقلة التي تعتبر فتحاً جديداً، ليس في الصحافة المصرية ولكن في الصحافة العربية بأسرها. كما سيفتح الأستاذ فاروق عوض قلبه وصدره لكل الأسئلة التي توجه إليه في ظل الحملة الضارية التي يشنها أعداء النجاح ضد رموز الوطن. هلل الجميع واشتعلت الأيادي بالتصفيق.. ووقف واحد من بين الحضور

يهتف بأسمى ونزاهتي وعبقريتي الصحفية ويسخر مـــن الـــذين يحاولون إطفاء نور الله بأفواههم.

تذكرت هذا الولد.. كان ضيفاً دائماً في موائد شهر رمضان التي تنظمها شركات المؤسسة المختلفة، وقف ذات مرة .. ألقى بخطبه عصماء حصل بعدها على ترقية. جاء في خطبته بقـــصة كنت أول مرة أسمعها حين قال "إن مائة نعامة يقـــودهم أســـد أفضل من مائة أسد تقودهم نعامة.. وأنت. أنت يا فاروق باشا أسد ونحن نعام".. ابتسمت عندما وقف وصفقت له وقلت في نفسي حينذاك أن من يرى خرافاً ولا يسوقهم يصبح خروفـــاً مثلهم! لم أتعود على قراءة الخطب من أوراق أحملها، بل دائماً ما أرتجل ما يناسب الجلسات.. تحدثت عن الجريدة الجديـــدة.. رن جرس تليفوني.. نظرت إلى الرقم.. نفس أرقام الـــصباح.. أغلقت التليفون.. قلت أنني أخترت للجريدة اسماً وهي "زمني" لم استطع أن انسى جملة علي مرجان" زمن المهـــازل" والـــتي عرفت فيما بعد أنها استعارها من قصيدة شاعر عربي. قلـــت أن الاسم قابل للتطوير أو التغيير وسأستمع لكل الآراء .. بدأ نجيب يدير الجلسة ويعطي الكلمة لمن يرفع يده. أول شخص اعترض على اسم "زمني" ساخراً من رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخرى

أصدر عدة جرائد بأسماء "ملعبي" "ومسرحي" و"أمانيتي" و"بلوتي" ومن الأفضل أن يكون الاسم "الزمن" فقط. خاصة وأن التايمز اللندنية وغيرها من الجرائد التي تحمل اسم التايمز تعني الزمن أو الأزمنة. أعجبت بالفكرة وتذكرت أغنية أم كلثوم التي تقول فيها "الزمن هو اللي هيخلصلي تاري" ووافق الحضور جميعاً على العنوان وصفق المنافقون.

أنا لم أحضر إلى هنا من أجل اختيار عنوان صحيفة في زمن لم تعد الصحف صاحبة التأثير الأقوى ولكنني جئت لأوجه رسائل إلى الذين يهاجموني.. اى الذين قاطعوني.. سأتحدث معكم بصراحة عن الشهور الماضية.. لم تكن عصيبة كما يظن البعض.. كانت فترة للتأمل والفرز.. قرص الفاليوم المهدئ مفعوله ساحر.. عرفت الأصدقاء وعرفت الأعداء، أما الاتهامات التي تثار على الصحف الصفراء، فأنت تعلمون من ورائها.. يقولون أنني انفقت ملايين الجنيهات على هدايا رأس السنة وغيرها.. ولم يسأل أحد نفسه لمن كانت تذهب هذه الهدايا.. سيارات ومجوهرات.. أضرب يا فاروق في العظم.. يتحدثون عن علاقاتي النسائية المتعددة.. يجلس بيننا سيدتان فاضلتان.. إلا أن هذا لا يمنع الحديث في هذا المجال.. أنا رئيس مجلس إدارة صحيفة ولست شيخاً للأزهر.. وكل المسئولين لهم

نزواقم ولا أظن ولا أحد منكم يظن أن رجلاً في مثـــل ســـني يفعل أو يستطيع أن يفعل ما تقوله هذه الصحف. يقولون أنـــني سرقت وهبت وتربحت وتاجرت واستفدت.. اشتريت أراضي بملاليم وبعتها بملايين.. أعطيت قروضا حسنة بالملايين للبعض.. نعم.. لقد أفادوا المؤسسة واستفادوا.. أنها حقبة استفاد كل من ساقته الأقدار.

وجدت نفسي أضرب بيدي علــى الطاولــة.. انزعجــت جوانا.. لست الوحيد الذي تربح ولــست الوحيــد الــذي استفاد.. أنا قدمت رشاوي بالملايين من أجل المؤسسة وتــسيير مصالحها وأنا شخصياً لم أتلق رشاوي ومن الممكن أن أكشف لكم قائمة بأسماء الكبار وأسماء زوجاتهم وحــصر بمتلكــاقم.. داخل مصر وخارجها.. ويصرخ نجيب ويردد بعده آخــرون.. اكشف يا ريس.. اكشف.. يا ريس.. يا ولاد الإيه.. نفــس السلالة التي كانت تهتف للرئيس عبد الناصر بالروح.. بالدم.. نفديك.. يا جمال وهم الذين هتفوا للرئيس السادات بعــد أن ألقى القبض على رجال عبد الناصر، قائلين "افرم.. افــرم يـــا سادات" لا يهمني هذا كله.. الرسائل ستــصل، إن لم تكــن وصلت وإن لم يكن أحد من الجالسين معنا قــد فــتح هاتفــه المحمول لينقل لطرف أخر ما يدور فوق المركب.

وضع الجرسونات الطعام.. لم أضع لقمة في فمي، اســتيك جوانا ما زال مثل الحجر في معدتي.. أنظر إلى الكوكبــة الــتي

اختارها نجيب بدقة لخدمة أهداف متباينة.. أنظر إليهم وهم يأكلون.. مجموعة من "المفاجيع"، كل منهم يأكل ونظرات عيونه تنغمس في طبق جاره.. أهم لا يأكلون.. لا يتذوقون.. أهم يردمون.. يردموا ترعة أو بئر ساقية خربانة.. يشغلني السبب الذي من أجله وجه نجيب الدعوة إلى هذه المذيعة.. وهل يعلم أن طليقها هو المسئول الكبير الذي يتهرب مني الآن والذي يرفض مقابلتي أو الرد على مكالماتي الهاتفية أو حتى الأذن لي بالسفر لأداء عمرة أو إجراء فحص طبي.. هل يعلم نجيب هذه الحقائق أو أنها ضربة حظ منه.. هل يعمل نجيب لدى أحد غيري.. ربما.. سأسأله بعد انتهاء الجلسة.

أحس بنشوة لم أشعرها من قبل.. أكيد الرسائل وصلت وستصل تباعاً.. دخلت الحمام، شربت ما تبقى من الزجاجة التي معي وعدت لجلستي مرة أخرى. جاء موعد الحلوى.. رفعت أطباق وجاءت أطباق أخرى والناس تأكل في أخر "زادها".. ملت على المذيعة.. سألتها عن أحوال الباشا.. فمصمصت شفتيها وقالت.. طلقته.. الحياة معه كئيبة.. تنفع.. إذا قررت فتح النار عليه بشكل مباشر عندما أصدر جريدتي الجديدة.. تبادلت معها أرقام التليفونات وبدأ الجمع ينصرف فرادى وجماعات.. أشرت إلى نجيب جاء جانبي.. ذهبت المذيعة.. جلس مكانها.. وأشار لعلي مرجان.. لم يبق إلا أنا

وجوانا ونجيب وعلي مرجان.. أمرت نجيب أن يترل ليحضر سيد السائق.. من الممكن أن أطلبه في التليفون.. وكنت أنتظر أن يفعل نجيب ذلك.. إلا أنه نزل على الفور.

- عايزك يا علي تشتغل معايا في الجرنال الجديد.

- كنت اتمنى ولكنني بطلت شغل الصحافة.

- أما بتعمل أيه دلوقتي؟

- عندي دار نشر ومزرعة.. أنشر كتبي وكتب الغير.

- فكر في العمل معي بالجريدة الجديدة.

- من الصعب يا باشا.. من عمل تحت رئاستك مرة لا يفكر في العمل معك مرة أخرى.

أهانني.. جئت على نفسي.. استمريت في مدحه وأسلوبه في الكتابة وأنه كان صحفياً واعداً.. ابتسم بهدوء شديد وكأنه جاء لمقابلتي بعدما ابتلع علبة فاليوم كاملة، بدأ يخطب في.. الفلوس والغربة والسفر تصقل الناس وتزيد بعضهم حكمة.. ظننت أنه سيهاجمني مثل غيره. شكرني وأكد لي أنني أزوره في حلمه ويقظته على فترات تقترب أحياناً وتبعد في أحيان أخرى. يشعر بالامتنان نحوي. فصلي له وطرده من الجريدة فتح له آفاقاً أخرى جديدة.. لو ظل في الجريدة طوال هذه الفترة ما كان قد تقدم خطوة واحدة.. فأنا صاحب الفضل الأول والأخير عليه

بعد الله. العيال كبرت وأصبحت طريقة حديثها وتعاملاتها مع القضايا المختلفة حتى الشخصية منها تتسم بالعقلانية.

- لو ما اشتغلتش معايا في الجرنال الجديد، عاوزك تعمل لي كتاب عن قصة حياتي.

- شغل.. يعني.. أنا تحت أمرك.. اتصل سيادتك بي.. لا تجعل نجيب واسطه بيني وبينك.. اتصل في أي وقت تشاء..

نهض ومد يده بالسلام وقدم كارت شخصي وأنصرف.. جاء سيد السائق.. أمرت الجرسون أن يلبي طلباته.. تعشى.. وجلس نجيب بجواري.. سألته كيف جاء هذا الجمع.. رده أدهشني.. كمالة عدد.. رفض العديد قبول الدعوة.. أغلبهم من الذين استفادوا طوال العشرين سنة الماضية وتحولوا من محررين فقراء مسحوا بلاط صاحبة الجلالة إلى أثرياء ورجال أعمال.

- عاوز كشف بأسماء اللي رفضوا الدعوة.

أدخل يده في جيبه.. أخرج كشفاً بالأسماء.. عقلية منظمة.. أخذت الورقة.. نظرت إليها.. دسستها في جيبي.. وقت آخر أناقش نجيب في أسباب عدم حضور هؤلاء الواطيين.. سيد مازال يأكل بنهم وشهية أحسده عليهما دائماً وجوانا تنتظر مني إشارة الرحيل..

- خلص يا سيد.. عشان توديني الفندق.. لن أعود للبيت هذه الليلة.

الفندق القاهري الجميل.. لي فيه ذكريات جميلة وليالي لا تنسى.. ولِي فيه حجرة محجوزة باسمى على مدار العام.. أحضر إليه وقتما أشاء.. المؤسسة تدفع إيجار الحجرة وهي أقرب إلى "السويت".. الجناح.. ورغم أنني خرجت من الخدمة، إلا أن الغرفة مازالت بأسمي وتدفع المؤسسة إيجارها السنوي مقدماً خصماًمن الإعلانات التي تنشر عن الفندق في مطبوعات المؤسسة.. لدي غرفة أخرى في فندق آخر بالإسكندرية بنفس النظام منذ ثلاث سنوات. تنبهت أن تبقى الغرفة باسمي وليس باسم المؤسسة.. أمامي أربع أو خمس شهور أخرى على الأقل.. سأسأل هذه الليلة متى ينتهي إيجارها وأحاول أن أدفع إيجار شهرين أو ثلاثة مقدماً حتى لا يستمتع بها رئيس مجلس الإدارة الجديد. سيد مازال ينظر لي وإلى جوانا في المرآه إلى أن وصلنا إلى الفندق.. نزلت.. طلبت أن تنزل معي جوانا لنبيت ليلتنا هنا ولأحتفل مرة أخرى أنا وهي فقط بانتصاري في المعركة الأولى في الحرب الدائرة.. نزلت معي جوانا وعلى طرف لسان سيد سؤال يحيره !

- غداً ستأتي إلى الفندق بعد أن أتصل بك تليفونياً لنعود إلى البيت وبعدها سنذهب إلى البلد.. سأقضي هناك عدة أيام حتى ينتهي بناء السور الحديدي الجديد.

هز رأسه وعيناه تأكل أرداف جوانـــا وأنطلـــق.. بمجـــرد خروجي من المصعد تعلقت جوانا بذراعي.. أخشى أن يكـــون الأمر قد تحول إلى موضوع عشق وحب، لتدخل جوانا في دائرة الفضائح. دخلنا الحجرة.. جلست على أقرب فوتيه وجلـــست جوانا تحت أقدامي.. أنا لا أطمئن لمثل هذه الممارسات.. أفضل أن أكون أنا البادئ.. أنا صاحب اليد العليا.. قامـــت جوانـــا لإخراج بعض مكعبات الثلج وزجاجة ويسكي من الثلاجـــة.. اتصلت بالروم سيرفس (خدمة الـــنزلاء) لتطلـــب متطلبـــات واكسسوارات الليلة. قبل أن نبدأ يصرخ التليفون على المنضدة. نفس أرقام تليفونات الصباح.. لن أرد على أحد.

لن أسأل فيهم. سأتركهم بعض الوقت في حيرة، سأتركهم أياماً. أذاقوني المهانة كؤوساً وجراكن وجرادل- المسئول الكبير كانت طليقته معي منذ ساعات وكان من الممكـــن أن تكـــون معي الآن بدلاً من جوانا.. والعقيد مـــصطفى بتـــاع حريـــة الصحافة، سأجعله يترجاني لوقف النار التي ســـأطلقها علـــى الواطيين، عملاً أيضاً بحرية الصحافة وحق الرد الـــذي يكفلـــه دستورهم. لم تمتعض جوانا ولم تغضب عندما طلبت منـــها أن تشرب وحدها وتتركني أنام ليلتي وحـــدي.. دون مـــساج أو مكالمات تليفونية.

***

بيت العز

حملنا سيد من الفندق إلى التجمع الخامس. غيرت ملابسي وطلبت منه أن يضع في السيارة أكبر قدر من زجاجات المياه المعدنية والأطعمة المجمدة.. لحوم وأسماك وخلافه في أيس بوكس كبير.. سألت جوانا عن وجهتنا القادمة.. أخبرتها أنها ستظل في المترل.. أنا وحدي سأذهب إلى قريتي.. بلدتي.. أمكث هناك عدة أيام إلى أن ينتهي العمال من بناء السور الجديد.. الرحلة قد تستغرق أربعة خمسة أيام.. خاصة وأن العمال قد هدموا السور القديم.. وأبلغني المهندس في الهاتف أن السور الحديث الحديد تم تفصيله ويحتاج يوماً أو بعض يوم لدخول فرن الدهان "الكتروستاتك" كي تبقى القضبان الحديدية لامعة وقوية وغير قابلة للصدأ.. وأن التركيب لن يستغرق أكثر من يوم وأثناء العمل سيقوم عمال أخرون بترميم بقية السور لأستلمه وأدفع باقي الحساب.

عادت جوانا تسأل إذا كان سيد سيوصلني إلى القرية ويعود أو أنه سيمكث معي هناك.. سيد بالطبع سيكون معي بالسيارة حتى يسهل تحركي وزيارة بعض الأقارب والأصدقاء وأن المطلوب منها أن ترد على التليفونات أثناء غيابي ومن يسأل عني.. الباشا مسافر.. ولا تعرف المكان ولا تشير من قريب أو

بعيد حتى لزوجتي أو ابنائي وبناتي أنني سـافرت إلى البلـدة.. الجنايني سيستمر معها في المترل إلى ما قبل الغـروب والبـواب العجوز متواجد في حجرتـه الملاصقـة لبوابة الفـيلا طـوال الليل والنهار وإذا احتاجت شيئاً أو كان هناك أمر ضروري ملح عليها الاتصال بي على هاتفي المحمول ولا مانع أن تتصل بي قبل نومها للاطمئنان عليَ.

كل شيء وضع في حقيبة السيارة وانطلق سيد من التجمـع الخامس إلى الطريق الدائري والذي يسلمنا إلى الطريق الزراعي عند بلدة ميت نما. الطريق خال وسيد يسوق في صـمت.. لا ينظر إلى المرآه من وقت لأخر لمطالعة وجهي كما كان يفعـل عندما تكون جوانا بجواري.. أول مرة أخرج مـن مـترلي إلى القرية بعد خروجي من الخدمة.. لا حرس ولا سيارات حراسة ولا سارينة تجبر الناس على إفساح الطريق.. الطريـق وحـده فسيح، حركة المرور إنسيابية.. الطامة الكبرى عنـد القنـاطر الخيرية.. وقفنا أكثر من ساعة.. كانت هذه المنطقـة بالـذات رغم تكدس السيارات والمشاة والعربات الكارو لا أقضي فيهـا أكثر من دقائق معدودة.. سارينة تطلق.. وصوت أحد الحـرس يأمر في ميكروفون بإفساح الطريق.. فيهرع رجـال الـشرطة والمرور إلى إيقاف السيارات القادمة من كل الاتجاهات.. إلى أن تمر سيارتي.

وأنت في المنصب والأبهة لا تشعر بكثير من أزمــات هــذا البلد.. وعلى رأسها أزمة المرور، فأنت لا تسير ولكنك تحمــل على كفوف الراحة، عندما تخرج من الخدمة عليك أن تكــافح مثل بقية الخلق. الثروة وحدها لا تشعرك بالراحة أو التميــز.. الثروة مثل أن تكون جوانا في أحــضانك أو فــوق ظهــرك.. أصابعها تتحرك فيما تسميه مساج.. السلطة هي أن تكون قــد ابتلعت عدداً من الأقراص المنشطة التي تساعدك على الاستمتاع بالثروة.. ثروة بلا سلطة.. رغبة بلا قدرة.. بلد ملهاش حــل. انفرجت الأزمة وعبرنا كوبري القناطر على يميننــا ترعــة أو رياح.. لا يهم نوعه وعلى يسارنا خضرة وزراعــات وأفــق فسيح.

لأول مرة أدخل القرية ولا يكن أحد في استقبالي من شباها أو شيوخها.. وقفنا امام البيت.. لم يظهر أحد ليرحب بنــا.. دخلت وأنزل سيد كراتين المياه والأيس بــوكس وخلافــه.. الفلاحون ليسوا ملائكة بل مثل غيرهم "تنــاههم عــن ظهــر أيدهم". الواطيين فيهم أكثر من أبناء الأصول.. منزلي مجــاور لمنزل خالتي. لم يظهر أحد من الأبناء أو الأحفاد وكأنهم اتفقوا على مقاطعتي. في الحقيقة أنا لا أرغب في رؤيتهم.. خاصة زوج خالتي.. هذا الرجل المسن الخرف الذي يتحدث عن أيام زمان وأيامنا الصعبة في القرية.. أخشى ظهوره وقصــصه وحواديتــه

أمام سيد السائق.. فهو لا يفرق في الحديث بين العام والخـاص ولا يدرك أن هناك أسراراً يجب ألا تقال أمام الغرباء ولا يجـوز الخوض فيها إلا بين أبناء الأسرة الواحدة.. إلا أن العمر وتقدمه ورغبته الدائمة في الحديث بلا توقف وشهوة التشفي قد تجعلـه اليوم صاروخاً منطلقاً. وكان قد اتصل بي تليفونياً بعد سماعـه خبر عزلي مواسياً ومعزياً وطلب مني أن أترك القاهرة وأحـضر للإقامة والعيش في البلدة.. الأيام إللي فاضله لي !

هذا المنزل من طابق واحد.. أربع حجرات وحمامان ومطبخ كبير وصالة محترمة. تعمدت ألا يكون مثل بقية منازل القرية.. من الخارج طوب فرعوني.. وشبابيك أرابيسك ومن الـداخل الأرضيات كلها من الرخام.. هذا منزل أبي وأمي.. اشـتريت حصص أخوتي.. بيع وشراء وتسجيل وقمت بهدمـه وكانـت الأزمة الكبرى. خاصمتني أختي الكبرى واتهمتني بأنني قـضيت على رائحة أبيها وأمها.. كانت تظن أن رائحتهما مـن عنـد شانيل صانع العطور الفرنسي الشهير.. قاطعوني فترة طويلـة.. كنت أخطط لبناء المنزل من جديد وجعله منزلاً عصرياً يليـق بمكانتي الاجتماعية والسياسية الجديدة.. إلا أن مساحة المـنزل القديم أجلت حلمي عدة سنوات.. المساحة لم تزد عن سـتين متراً.. منزل ريفي قديم، بعض حوائطه مـن الطـوب الأحمـر والأخرى من الطوب اللبن.. علامات الجلة وبقايا أقراصها على جدرانه الخارجية وبجواره مباشرة زريبة خالتي وزوجها.

تفاوضت سنوات مع زوج خالتي لشراء الزريبة بالسعر الذي يطلبه.. مساحتها في حدود نصف قيراط.. باعها لي في النهايـة بـ "الغلا والكوي".. وفوق سعرها طلب مني أن أعين له ابنين في مؤسستي أو في وزارة الكهرباء أو البترول.. أعلى الوزارات الحكومية رواتباً وحوافزاً في مصر حتى الآن ورضخت في النهاية.. سبعون وستون متراً.. مائة وثلاثون متراً لا تحقق حلمي في بناء مترل محترم.. ظللت عدة سنوات أخرى أفاوض جاراً أخر على الحد الشرقي.. باع لي في النهاية قيراطـاً وأصبحت المساحة محترمة ما يقرب من مائتي وثمانين متـراً. وبنيت البيت.. جهزته بكل متطلبات العصر.. أجهزة تكييف.. طبق قمر صناعي ضخم.. صواعق الناموس وأجهزة طـرد الفئران.. إلا أن زوجتي وأبنائي لم يدخلوه إلا مرة واحـدة. كنت أهرب إليه من وقت لأخر عندما تشتد الأزمات.

وهذه أزمة جديدة قد تطول بعض الشيء. مترلي هذا من الممكن أن يمتص بعض ألامي وأحزاني. رطوبته وارتفاع سقفه وجدرانه تشعرني بأنني داخل مسجد. طابق واحد ولكنه بارتفاع ثلاثة طوابق من بقية منازل القرية.. مدخل عالٍ مرتفع وحوائط لا يقل ارتفاعها عن ستة أمتار. في الشتاء، المترل أشد برودة من الداخل عن برودة الغيطان، لا ينفع معه تكييف لتدفئة الجو.. المهندس الذي صممه، صنع لي دفاية كبيرة من الرخام

داخل الصالة.. تعمل بالخشب مثل دفايات المنازل الأوربية العتيقة. في الصيف يكفني أن تفتح النوافذ. الهواء يدخله من جميع الجهات.

سيد سينام في حجرة النوم الخارجية القريبة من الباب وسأنام أنا في حجرة النوم الرئيسية بالداخل.. ارتديت جلبابي وجلست وسيد مازال يضع الأشياء التي أحضرناها معاً في الثلاجة.. أخرج عدة أكواب وزجاجة ويسكي ووضعهم على الطاولة.

– شيل.. شيل دلوقتي.. أحسن حد يطب علينا.. أعمل براد شاي أفضل.

وكأنني اقرأ الغيب.. دق على الباب.. يتبعه جرس ودقات متتابعة.. يبدو أنه زوج خالتي.. أخبروه ربما بوصولي أو شاهد سيارتي أمام المترل. فتح سيد الباب. قمت لأعانقه.. رغم عدم محبتي له، فنحن في النهاية أهل.. دخل وعلى فمه كلمة يا "ساتر" وكأنه يدخل مراحيض عمومية. جلس وأخذ ينظر حوله بجهد، نظرة لم يعد يساعده .

– لولا بعت لك الزريبة مكانش البيت ده بقى بيت.

– أنت قبضت مبلغ محترم.. يا حاج.

– لو دلوقتي.. لأصبح السعر مضروب في عشرة يا فاروق.. يا ابني.. انت بتسمع طبعاً عن الأسعار.

رن التليفون.. أنقذني من حديثه الماكر الملاوع. جوانا تسأل عني وهل وصلنا بسلامة.. لم تسأل عني زوجتي.. ولم يسأل عني أحد من الأولاد أو البنات. منذ خروجي من الخدمة، اتصل بي كل منهم مرة واحدة.. مرة واحدة فقط.. تسأل جوانا إذا كان لدي ضيوف وإذا كان عندي في القرية خادمة وتضحك وتنهي مكالماها بـ "تصبح على خير".

- الشاي يا سيد لعمك الحاج.

آه.. لو كان عمه الحاج لمح زجاجة الويسكي.. كانت القرية كلها والقرى المجاورة عرفت وعلمت.. هذا الشخص أسوأ من جميع جرائد المعارضة مجتمعة. لديه قدرة على التشنيع وحبك الحكايات.. فلاح ملهوش حل. بعد أن افرغ كوب الشاي في جوفه، عاد ليسأل عن الأسباب التي دفعت الحكومة إلى الاستغناء عني.

- طبعاً إللي بتقوله الجرايد عنك.. أنا لا أصدق كلمة واحدة منه.

- أنت عارف طبعاً أن الجرايد مش لاقيه حاجة تقولها.

- البقرة لما تقع تكتر السكاكين.. يا فاروق.

- أنا ما وقعتش يا با الحاج.

تشبيهاته كلها فلاحي.. بقرة وجاموسة وسكاكين.. الدنيا بتتغير وهم لم يتغيروا.. لبسوا قمصان وبنطالونـات وحلافـه وتعلموا وحصلوا على شهادات وسافر بعـضهم إلى أوربـا أو الخليج ومازالوا فلاحين لا يعرفون اللياقة في الحديث.

- سمعنا كلام كتير واحنا مش مصدقين.

- وهتسمع أكتر.

- هم صحيح هيقدموك للمحاكمة.

- لا.. يا حاج ما تخفش.. انا لا سرقت ولا قتلت.. مجـرد تغيير.. التغيير سنة الحياة وأنا بقالي في المنصب سنوات طويلة.

- أنت خدمت الحكومة.. ليه الحكومة متقولش لأصـحاب الجرايد دوله.. عيب اللي بتقولوه على فاروق عوض.

- الحكومة مشغولة بحاجات أهم.

- ما أنت برضه يا ابني.. يا فاروق.. ياما قطعت النـاس في جرنالك وخربت بيوت.

هذا ما جاء من أجله.. التشفي.. والتطرق إلى موضـوعات وأمور تافه، معتقداً أنه أوتى الحكمة بحكم تقدم العمر والعبايـة الصوف التي يضعها على كتفه.. قال إنه حذرني كـثيراً مـن الحكام وأصحاب السلطة وذكرني بدعوة أمي "ربنا يكفيك شر

الحاكم والحكيم"، إلا أنني ظننت أني أصبحت واحداً منهم وبدأت أضرب الناس بسوطهم وكانت النهاية أنهم تخلوا عني وتركوني للواطيين في صحف المعارضة. تطرق إلى موضوع أسرتي وعدم حضور أحد منهم إلى القرية أو زيارة أهلهم وعاد ليلقي على مسامعي مثله القديم الذي لم يسمع به أحد من قبل والخاص بالنسب والعلاقات الإنسانية والصداقة.

- مشكلتك يا فاروق.. يا ابني أنك نسيت المثل اللي قلته لك من زمان.. قبل زواجك وقبل أن تصبح مهماً.. قلت لك زمان.. "أطلع سنة وصاحب وانزل سنة وناسب" طلعت خمسين سنة وصاحبت وصادقت وزراء مسئولين كبار وأمراء وشيوخ والكل تركك الآن.. ونزلت خمسين سنة وارتبط بزوجة لا أصل لها ولا فصل ومنعت أهلك وناسك من دخول بيتك، بل طردت أمك. والله وما ليك عليَّ حلفان.. خايف تطردك من البيت وعشان كده خلي بيت البلد دايماً مفتوح.

لم أصدق أنه نهض وانصرف.. كل ما أخشاه أن يكون سيد السائق استمع لأطراف حديثه أو استرق السمع ليسمع الحديث كله.. جاء سيد بالزجاجات والأكواب. أصبح خبيراً في صب وخلط الخمور.. ابدأ شربي بقليل من الجن والتونك ثم أدخل على الويسكي.. المزة.. بعض المكسرات وقطع من أسماك السمون فيميه أحضرها سيد من الفيلا.. يصب لي.. ويصب

لنفسه.. يحاول أن يتظاهر بالأدب.. لا يسبقني في الشرب.. كل من تعاملت معهم ورأستهم كـــانوا يتظـــاهرون بـــالأدب. لا ينظرون إلى وجهي مباشرة.. كانت عيونهم متجهه إلى الأرض دائماً وعندما خرجت تغيرت الكثير من الأمور. بلـــع الـــبعض منهم لقب الريس والباشا. بعضهم اكتفى بلقب أستاذ وأخرون من الواطيين استكثروا عليَ كلمة استاذ .

– أنا قلت لسيادتك أني عاوزك في موضوع يخصني.

استمر سيد في الحديث.. لم أعد أجد غيره اسمعه ويسمعني.. تحدث أن لديه ثلاثة أبناء كما أعرف وزوجة، هي في الأصـــل بنت عمه.. تزوجها بالأمر وربنا فتح عليه منذ أن عمل معي.. أصبح لديه بدل الشقة ثلاثة. واحدة في الجيـــزة في مـــشروع إسكان الشباب، كنت قد أوصيت المسئولين بتـــسليمه إياهـــا وأخرى في المقطم خصصها له المحافظ عندما جاء لي في المكتب وبعد انتهاء المقابلة قدم له مذكرة بالطلب ووافق عليهـــا فـــوراً كما قال عشان فاروق باشا عوض، الثالثة في كفـــر طهـــرمس عند منتصف شارع فيصل.. أعرف أنا كل ذلك ولا أعلم ماذا يريد سيد بالضبط.. هل يريد شقة رابعة؟. كل من عمل معـــي أصبح لديه بدل الشقة ثلاثة وأربعة في جميع محافظات مصر. بل كان بعضهم يستغل علاقتي مع وزير الأوقاف السابق ويحـــصل على شقة بملاليم ويبيعها بعشرات الالاف.. البعض يقـــول أن

شقة الأوقاف في ميدان سفنكس بالعجوزة أصبحت قيمة الواحدة منها الآن ثلاثة ملايين جنيها.

- ماذا تريد بالضبط يا سيد.

- عاوز أطلب يد جوانا.

اهتز الكأس في يدي.. كيف يجرؤ على طلب يد جوانا. هل يعلم علاقتي بها؟ بالطبع يعلم.. لقد أوصلنا أكثر من مرة إلى الفندق.. ويعلم أننا نبيت معاً.. لا نقرأ في الفندق أوراداً أو أذكاراً ولا نقوم الليل للصلاة.. وهو بنفسه الذي اخبرني عن علاقتها بضابط الكمين وخروجها معها كل يوم أحد.. اليوم الذي تدعي فيه أنها تذهب إلى كنيسة مصر الجديدة.. هل يفهم ذلك كله ويطلبها للزواج.. ماذا حدث في الناس في بر مصر.. وضعت الكأس على المنضدة وطلبت منه الخروج.. الانتقال إلى الحجرة التي سينام فيها وأمرته بألا يفتح هذا الموضوع بعد ذلك ابداً. جوانا لي وحدي.. أقصد ليس وحدي بل يشاركني فيها ضابط الكمين رغماً عني ولا استطيع أن أترك سيد يشاركني فيها هو الآخر.

تليفون جوانا أيقظني في الصباح.. تسأل عني وكيف قضيت ليلتي دون مساج وتخبرني أن عمال السور حضروا مبكراً ويعملون بجد ونشاط وأن التليفونات لم تنقطع بالأمس.. أغلبها

من المسئول الكبير والعقيد مصطفى، أخبرتهما بـأني خـارج القاهرة.. مسافر.. لا تعلم أين! دخل عليَ سيد وكأن الأمـس ورقة في دفتر جذبها ومزقها.. جاء يحدثني وكأنه لم يفاتحني على الإطلاق في موضوع جوانا.. جاء يسأل هل سنمكث في البيت أو سنخرج وإلى أين؟ إذا كنا سنخرج سيكون بعد موعد الغداء حتى إذا زورنا أحد يكون في حل منا ولا نجبره على القيام بأكثر من واجب الضيافة شاي ومشروبات.. أمامي عدة مكالمـات سأجريها ثم نحدد ماذا سنفعل بقية اليوم.

المسئولون الحاليون بعيداً عن دائرة الاتصال، فهم لا يـردون على من خرج من الخدمة.. لا تنقصهم المعلومات عن سـبب خروجه، إلا أن الحرص واجب. الخروج يعني الغضب.. ومـن خرج حلت عليه اللعنة والغضب. أما المـسئولون الـسابقون أمثالي، فلهم حسابات أخرى، تأتي على رأسها تجنب رصـدهم ومقابلاتهم لأشخاص على شاكلتهم خرجوا أيضاً من الخدمة.. العصافير كثيرة تطير فوق الأبنية وفوق الأشجار وفي الفنـادق والخرابات والبارات وحتى داخل الأضرحة والمساجد يرصدون حتى من تحول ولجأ إلى الله يشكو له همـه وهوانـه ويطلـب مساعدته وغفرانه.

مسئول سابق في القرية التي تجاور قريتنا، منذ خروجه مـن الخدمة لا يترل القاهرة إلا مرة واحدة في الأسبوع وباقي الأيام

يمكث في مترله.. أقامة جبرية.. لا يقابل أحداً ولا أحد يقابله.. قد يكون مثلي يرغب في الحديث والفضفضة.. طلبته تليفونيا. هلل عند سماع صوتي وأبدى رغبته في مقابلتي والجلوس معـــي، إلا أنه سيترل القاهرة حالاً وإذا ظللت في القريـــة لعـــدة أيـــام سيقابلني حتماً وأنهى المكالمة وكأنه يرد على شـــخص يخاطبـــه ويستعجله في الخروج.. الزمن.. الزمن هو اللـــي هيخلـــصلى تاري. الجريدة عندما تصدر ويعلموا أن فاروق عوض مـــازال قوياً وقادراً على السباحة مع التيار وضده ســـتجعلهم جميعـــاً يعيدون حساباهم.

جوانا.. جوانا تتصل تليفونياً مرة أخرى، تخبرني أن العقيـــد مصطفى اتصل أكثر من مرة ويرغب في محادثتي.. فهو يريـــدني لشيء ضرورى وهام للغاية.. وتسأل عن أخبـــار النـــاموس في البلد وهل يهدأ بعض الشيء في الشتاء، أو أنه نشيطاً في كـــل فصول العام. مصطفى رجل شرطة مهذب قد أحتاجه مستقبلاً ومن لا تريد رؤية وجهه اليوم قد تتمنى رؤية قفاه غداً. مكالمـــة له.

- مصطفى باشا.. أنا خارج القاهرة ربما أظل عدة أيام.

- فينك يا باشا.. أبحث عنك من عدة أيام عاوز أقول لـــك مبروك على الجرنال الجديد. الرخصة والموافقات على وشـــك الانتهاء وعاوز أكون أول المهنئين.

- شكراً يا مصطفى باشا.. كلك ذوق.

- عاوز اقول لسيادتك كلمتين. الأولى خاصة بولد قريب لي.. خريج إعلام.. عاوز سيادتك تعينه في جرنالك الجديد والثانية لا تعتبرها نصيحة ولكنها كلمة من أخوك الصغير.

- أطلب يا باشا وأنا تحت أمرك.

- في جرنالك الجديد.. ابتعد عن مهاجمة الجرائد التي تهاجمك.. دول عيال فاهمين اللعبة كويس.

يبدو أن ما يقوله تعليمات وعليَ سماعه جيداً والاستماع له إلى أخر نقطة في أخر كلمة.

- الهجوم عليك سيستمر.. والرد عليهم قد يثيرهم أكثر!

الرسالة واضحة وأخذ يستمر في نصائحه أو تعليماته أو التعليمات التي صدرت إليه والمطلوب نقلها إلىَ. تطرق إلى الأحاديث التي دارت فوق المركب وكأنه كان معنا.. نصحني بألا أهدد بفتح الملفات أو كشف الأوراق وأنني لا أستطيع أن أقف في وجه النظام.. التغيير سنة الحياة والحكومة لم تتخلص مني وحدي، بل قامت بتغيير كل رؤساء مجالس إدارات الصحف ورؤساء التحرير. كلامه يحمل شيئاً من الحقيقة ولكن ليست كل الحقيقة.

- أنا تحت أمرك يا مصطفى بك وأتصل بي في أي وقت تشاء.

جاء زوج خالتي الثقيل وبصحبته ابنه.. ابن خـــالتي الـــذي قمت بتعيينه عندي في المؤسسة منذ سنوات.. القيـــا التحيـــة وجلسا.. لم يجلس الإبن أمامي طـــوال وجـــودي علـــى رأس المؤسسة.. كان يقف دائماً أثناء حديثه معي.. إلا أنني لـــست رئيسه الآن.. ابن خالتي يصغرني بعشرين سنة.. كان لا يخاطبني إلا بكلمة باشا. تخلص هو أيضاً منها نـــادني بـــابن خالتــــه.. معلش.. أخشى من حديث والده وكلامه الفارغ.. طلبت من سيد السائق أن يدخل المطبخ ليعد لنا طعاماً نأكلـــه وأن يظـــل داخل المطبخ إلى أن أناديه. زوج خالتي لا يمل ولا يكـــل مـــن ترديد الكلام الفاضي. يؤنبني أنني لم أصل جذوري في القريـــة، بل قطعتها عمداً وبعدت عن القرية وأهلها وأنه قال لي أكثر من مرة " يا بخت من بكاني وبكى عليَ ومـــضحكنيش وضـــحك الناس عليَ " كلامه ليس له أساس من الصحة، فقـــد عملـــت طوال حياتي لأهل قريتي. ساعدت منهم من استطعت وقمـــت بتعيين العشرات من الشباب داخل مؤسستي وخارجها وبنيـــت في القرية مسجداً ومجمعاً صحياً.. أنفقت عليه عشرات الألوف من الجنيهات، إلا أن زوج خالتي مصر على الكلام الفارغ وأنه مطلوب مني أن أشعر بالفقراء دون غيري لأنني كنـــت فقـــيراً

مثلهم ويتحدث عن فقر أبي وعوزه وحاجته وأنه مات قبـل أن يرى "الأملة" التي أنا فيها.

- فاكر لما كان أبوك عاوز يبيعك أنت وأخوك للراجل الغني اللي ما بيخلفش في القرية القبلية.

كلام فاضي.. لا يودي ولا يجيب ويقوله أمام ابن خـالتي لينقله بدوره إلى أجيال جديدة. لقد أصبح مثـل غـيره مـن الأغراب الذين لا يخفون شماتتهم فى بعد خروجي من الخدمة.

- الجامع اللي أنت بتقول إنك بنيته وأطلقت عليـه اسـم أبوك. كان موجود من قبل.. أنت بس خليت وزير الأوقـاف صاحبك يفرشه سجاد بدلاً من الحصير.

الواد ابنه يشارك في الحديث ويخبرني بما كنت لا أعلمه. لقد أعاد شباب القرية اسم المسجد القديم ورفعوا اللوحة الرخاميـة التي تحمل اسم ابي.. ليس هذا فقط، بل قام المجلس المحلي بتغيير اسم المدرسة الابتدائية التي قمت بافتتاحها في القرية مع وزيـر التعليم وحملت اسمي.. مدرسـة فـاروق عـوض الابتدائيـة وأصبحت مدرسة زكي مبارك.. حتى المجمع الصحي غيروا اسمه بحثوا عن الممول الخليجي الذي أقنعته بثواب إنـشائه وعلقـوا لوحة رخامية جديدة تحمل اسم الشيخ كعب المناع.. وأحضروا

الشيخ إلى القرية وأعلن تبرعه بمبلغ كبير لشراء وحدة غسيل كلوي.. ناس واطيين بحق وحقيقي.. كل هذا فعلوه في أقل من خمسة شهور و لم أعلم عنه شيئاً.. أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من ذلك.. سأعود من حيث أتيت إلى التجمع الخامس.. ناس واطيين ما يتمرش فيها.

نسوا أنني أول من أدخلت جهاز كمبيوتر في المدرسة التي حملت اسمي.. نسوا أنني ضغطت على وزير الصحة وقام بتعيين عدد من الأطباء والممرضات في المجمع الصحي الذي أنشأته. نعم جئت بشيخ من الخليج ولكن كيف كانوا سيعرفون مثل هذا الشيخ وقريتهم لا موقع لها على الخريطة. قريتهم تلك التي تسبب في شهرتها فاروق عوض.. لم يعرف الناس اسم هذه القرية قبل ظهور فاروق عوض.. أنا.. أنا الذي رصفت الطريق إليها.. أنا.. أنا الذي تقدموا إليه بطلب لتحويلها من قرية إلى مدينة وتوسلوا أن أغير اسمها لتحمل اسمي.. دول مش واطيين.. دول كفره.

– الناس والجرايد كلامهم كثير عن الفلوس اللى خدتها.

– شوف يا جوز خالتي.. خلي اللي يتكلم.. يتكلم. المهم متكلمش أنت، ما تساعدش خصومي ضدي.. دول ناس موتورة.. أعداء النجاح.

– نجاح إيه؟ ما أنت قالوا لك متشكرين وخلاص على كده وكفاية كده وشالوك من مكانك!

أنا لم آت إلى القرية إلا هروباً من القاهرة وسأهرب منها مرة أخرى، وزوج خالتي ينتقل من موضوع لأخر.. تركته دخلت الحمام.. استغرقت وقتا طويلاً لعل وعسى يشعر بأنني لا أرغب في سماع كلامه. غداء وتناولوا.. شاي وشربوا إلا أنه يبدو مصراً على ضربي في العظام.

– حكاية الخفر اللي أنت معينهم على البيت. بتصرف لهم مرتباهم؟

قصة أخرى خائبة.. كنت قد عينت خفيرين لحراسة ومراعاة داري هنا في القرية وكانا يصرفان مكافأة شهرية من المؤسسة.. ثلاثمائة جنيها لكل واحد منهم، المكافآت في المؤسسة غير الرواتب.. عشرات، بل مئات تندرج اسمائهم في كشوف المكافآت.. حتى أمناء الشرطة العاملين في دائرة القسم والمنوط بهم حراسة المؤسسة من الخارج لهم مكافآت.. عسكري المرور له مكافأة، كل ذلك في إطار القانون الذي يسمح لى بتحديد المكافآت. بعد أن خرجت من الخدمة، أشار بعض الناس إلى رئيس مجلس الإدارة الجديد إلى ضرورة إعادة النظر في كشوف المكافآت وإذا كانت المؤسسة لا تستطيع في الوقت الحالي أن

تزيد من إيراداتها فعليها على الأقل أن تخفض من مصروفاتها وكشوف المكافآت قد توفر الكثير.. أول شهر يجلس فيه على المقعد شطب العديد من الأسماء من كشف المكافآت.. منها الخفيران بالطبع وأربع طباخين كانوا يعملوا لدي في فيلا التجمع، الغرض منها كشف طرق إهدار المال في المؤسسة أمام العاملين فيها ولتأكيد طهارة اليد وصدق النية والقصد في إجراء إصلاح داخلي. مثل كل بداية شهر.. ذهب العاملون لدى سواء في القرية أو الفيلا إلى المؤسسة لاستلام مكافآتهم. طابور طويل أمام شباك الصراف.. التعليمات صدرت له بألا يصرف لهم بهدوء وأن يجعل أكبر عدد من الموظفين والمحررين والعمال يرون ويعلمون أن هناك مكافآت كانت تصرف لرجال فاروق عوض وأن أسماؤهم قد رفعت وليذهبوا ليقبضوا رواتبهم من الذي عينهم، فهم لا يؤدون خدمات حقيقية للمؤسسة، بل كانوا مجرد خدم لدى رئيس مجلس الإدارة السابق.

الصراف تجاهلهم تماماً وهو الذي يصرف لهم رواتبهم أو مكافأتهم كل شهر على مدار سنوات. سألهم أين يعملوا في المؤسسة وفي أي شركة.. طلب من شخص في الطابور أن يبحث عن أسمائهم في الكشوف وهو يعلم أن لا أسماء لهم فيها.. عرف كل من في الطابور قصتهم.. طلب منهم الصراف أن يتوجهوا إلى فاروق عوض لاستلام مكافآتهم، فقد انتهى

الأمر بخروج فاروق عوض من الخدمة. لم أستطع الاستغناء عن الخفيرين.. أصبحوا يتقاضون رواتبهم من حـــر مـــالي.. أمـــا الطباخين فقد تم الاستغناء عنهم واكتفيت بجوانا في المترل.

ناديت على سيد السائق.. طلبت منه الاستعداد للـــترول إلى القاهرة.. لعل وعسى زوج خالتي يفهم أنني اريد صـــرفه مـــن الدار، هو والواد ابنه.. كأهما لم يسمعا.. اســـتأذنت منـــهما للدخول إلى حجرة مجاورة وارتديت ملابسي وخرجت إلى باب الدار.. خرجا ورائي.. أخبرهما أنني لن أغيب طويلاً عن البلد وقد أعود لها قريباً.

– سيد.. إلى الإسكندرية.

– نرجع مصر نجيب جوانا معانا.

– لأ.. محتاج أجلس مع نفسي.. محتاج أن أبعد عن البـــشر ووجوهم.. كل البشر.. محتاج بعض الراحة.

صمت سيد وانطلق وانكفأت أنا على نفـــسي في المقعـــد الخلفي.. لم أكره الفلاحين مثلما كرهتهم اليوم.. طوال عمري أكره زوج خالتي هذا ولكن زادت كراهيتي له.. اليوم.. هؤلاء الفلاحون كفره.. انيابهم أكثر زرقة مـــن أنيـــاب الـــصحف الجديدة.. ينهشون اللحم ولا يتورعون عن الخوض في الحديث

في أي شيء.. تحت دعاوي العبط والاستهبال. مـــا ينـــشر في الجرائد، مجرد كتابة وما يبثه الفلاحون بأفواههم رعـــب ومـــا يفعلوه بأيديهم دمار.. رفعوا اسمي من على المدرسة واســـم ابي من على المسجد وكتبوا اسم الشيخ الخليجي الذين لا ينتمون له بصلة دم أو نسب على المجمع الصحي.. أخـــشى في الزيـــارة الأخرى أن أراهم وقد نزعوا لوحة الرخام من على باب داري التي تقول "بيت العز" ليضعوا محلها لوحة جديدة بعنوان "بيـــت الفقر" أو "بيت الفضائح" يعضون اليد التي امتدت إليهم.. قلـــة أصل.. واطيين.

عند زيارتي للقرية بعد تعييني رئيساً لمجلس الإدارة ورئيـــسا للتحرير.. خرج ورائي موكب مـــن أهـــل القريـــة، شـــبابها وشيوخها.. رافقوا سيارتي وسيارات الحراسة في ميكروباصات وعلى الموتسيكلات حتى القناطر الخيرية. ودعوني بالـــدعوات والقبلات وجاء اليوم لأدخل القرية غريباً وأغادرهـــا غريبـــاً. الطريق الزراعي مزدحم.. أكثر من المعتـــاد .. حـــتى دخلنـــا مشارف طنطا.

– ماذا يا سيد لو توقفنا في طنطا وصلينا في السيد البـــدوي المغرب وجلسنا بعض الوقت في المقهى المقابل، ثم توجهنا بعـــد ذلك إلى الإسكندرية.

- ماشي يا ريس.

دخل طنطا من تحت نفق السكك الحديدية.. وجد مكاناً للسيارة.. نزلنا.. توضأت.. صليت ركعتين تحية للمسجد.. أسندت ظهري على عمود رخامي وأغمضت عيني انتظاراً لرفع آذان المغرب. برودة العمود الرخام أشعر بها وكأنها تسحب جزءاً من حرارة الجسد ونار القلب وهواجس القلق.. صلينا المغرب.. طفت حول الضريح.. دعوت بحرقة بأن يرفع الله مقته وغضبه عني ويفك الهم والكرب. لا داعي للجلوس على المقهى وحيداً.. فقد كنت أحضر إليها بمجموعة من القيادات في مؤسستي.. نجلس عليها بالساعات.. جلوسي وحدي قد يثير شفقة صاحب المقهى الذي يعرفني شخصياً ويقرأ بالطبع الآن ما تقوله عني الصحف الصفراء.. أقل من ساعة دخلنا الإسكندرية.. المدينة جميلة بعد أن ينتهي موسم الصيف.. إلى الفندق.. إلى حجرتي سألت موظف الاستقبال عن موعد استحقاق دفع الإيجار.. أمامك أربع شهور يا باشا تقريباً. وتعامل بأنامله على جهاز الكمبيوتر الذي أمامه. المؤسسة أرسلت شيكاً بقيمة الإيجار في ٢٠ مايو.. قيمة الإقامة لمدة عام كامل.. أمامك أربع شهور كما قلت يا باشا وحمد الله على السلامة. ليس معي حقائب أو خلافه.. ففي الفنادق التي كانت تؤجر لي المؤسسة حجرات أو أجنحة فيها، يوجد كل ما

أحتاجه.. جلباب أو أكثر.. بيجاما أو أكثر مجموعة من الملابس الداخلية لم تخرج من أكياسها.. يسألني سيد.

- هنقعد هنا أد إيه؟

- معرفش يا سيد.

أخرج سيد من الثلاجة الأكواب ومكعبات الثلج.. استأذن في أن يستعير جلباباً مني ليجلس على راحته.. غير ملابسه.. فتح التليفزيون.. طلبت منه أن يغلقه أو يبحث عن محطة أجنبية.. فأنا لا أرغب في رؤية هذه الوجوه التي أعلم حقيقة أصحابها تماماً.. يتحدثون عن النزاهة وهم فسدة.. يتكلمون عن الطهارة وهم أنجاس.. أغلق سيد التليفزيون ورن جرس تليفوني المحمول.. المسئول الكبير ليس كبيراً.. ولكنه ممسكاً بكل الخيوط. يكفيني تجاهلي له هذه المدة، مثلما تجاهلني ولم يرد على مكالماتي.

- ألو.

- أنت فاكر يا ابن "المرة الوسـ.." ان الكلمتين أللي قولتهم على المركب هيخوفونا.. لسانك تحطه في بقك وتخرس خالص.

- يا باشا.

– لا باشا ولا زفت.. حجمك أعرفه.. أفعصك.. أحطك في السجن.

أغلق الهاتف في وجهي وقد وقعت الإهانة.. سبني بأمي وهو الذي كنت أجمع له الرشاوي وأصدر تعليماتي إلى مديري مكاتبنا في العواصم الأوربية أن يضعوها في حساباته وأسلمه بنفسي إيصالات الإيداع.. أنا ابن المرة... ليس هناك أي مستندات تدينني ولكنني أعلم أن أمثاله ليسوا في حاجة إلى أدلة أو براهين لإلقائي خلف القضبان.. كنت أظن أنه سيهنئني على الجرنال الجديد إلا أنه كان يبحث عني ليسبني ويهددني.. ثاني مرة أسب بأمي خلال السنوات الأخيرة.. كانت المرة الأولى من زوجتي أم عيالي.. عندما اقتحمت عليَّ غرفة النوم الملحقة بالمكتب وأنا نائم مع واحدة من السكرتيرات الجميلات.. اقتحمت الغرفة بحيلة وفضحتني على الملأ وتخلصت بعدها من كل من في المكتب الذين شاهدوا إهانتي وحضروا فضيحتي.

طلبت سيد السائق ذات صباح وأبلغته بمشاوير اليوم وأخبرني هو بخط سيرها.. لم يكن في الحسبان أن تمر على المكتب.. نزلت مصر الجديدة ثم وسط البلد.. وسألت سيد عن مكاني في الوقت التي كانت هي معه.. أخبرها أن لدي اجتماع في المجلس الأعلى.. طلبت منه تليفونه المحمول لتجري مكالمه.. كان هدفها أن تأخذ التيفون حتى لا يخبرني بتغيير خطتها..

طلبت التوجه إلى المؤسسة. صعدت إلى مكـتبي.. سـكرتيرة حاولت منعها من دخول حجرة النوم.. ضربتها على صـدرها واقتحمت الحجرة. خلعت الشبـشب ونزلـت بـه علـى أم رؤوسنا.. حاولت أن أحمي البنت إلا أنني كنـت أمـام نمـرة شرسة.. أخبرتها أن البنت زوجتي عرفياً.. استمرت في النبـاح والسباب ولعنتني بأمي وخرجت من المكتب بعد أن صـفعت سيد السائق على وجهه بالكف.

وها هو الواطي يسبني بأمي.. معلهش الـزمن هـو اللـي هيخلصلى تاري.. الأمور تسير في الاتجاه الخاطئ.. لابد مـن البحث عن حماية سأسافر لأداء العمرة دون إذن.. ولو منعـوني في المطار من الخروج ستصبح الصورة أكثر وضوحاً. سـأجلس في الخليج مع بعض شركائي، سأكشف لهم جميع أوراقي وأسأل المشورة وأطلب منهم الحماية وإذا شعرت أنهم في طريقهم لبيعي مثلما باعني غيرهم، جواز السفر فيه تأشيرة متعددة الـسفريات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. سأهرب إلى هناك والحق بنعيم مطر مطر، المدير المالي والإداري السابق الذي قـرأ الاحـداث مبكراً وسافر ليستمتع بما معه من أموال مع ولده الوحيد.

خطتي لن أخبر بها أحد.. لا سيد.. ولا جوانـا ولا حـتى نجيب.. أنا لم أعد أعرف من يعمل مع من ومن يعمل ضد من

وهل القنوات كلها مفتوحة على بعضها أو أن هناك من يتحكم ويمسك بيده وحده أو بالاشتراك مع آخرين بمقبض الهـــويس.. يسمح للماء والأخبار والفضائح بالانسياب حيناً والتوقــف في أحيان أخرى. دخلنا التجمع الخامس.. يلــف ســيد ويــدور بالسيارة لقد وصلنا إلى المترل.. إلى الفيلا والتي يمتلــك غــيري العشرات مثلها.. ولم يدفعوا مثلي مليماً في شرائها أو تأثيثها.. السور الجديد.. لا أشعر بجماله وورونقــه رغــم التــصميمات الجديدة التي يحملها والتي تداخلت مع البوابة في شكل هندسي راق.

جوانا عند الرحيل.. وجوانا عند القدوم.. جوانا تقــف في منتصف الحديقة ترحب بعودتي.. أخبرتني أن المدام في البيت.. إلى حجرتي صعدت.. طلبت الا يوقظني أحد.. حاولت النوم. عندما تكون المدام في البيت لا تصعد جوانا ابداً إلى حجــرتي.. إذا رغبت فيها أن أنزل إليها وتعلمت ألا تغلق حجرتهـــا. مـــا ينامش إلا أبو قلب خالي.. وجدت نفسي أعبث بالتليفون.

- ألو مصطفى باشا.. أرسل الولد قريبــك بعــد غــد إلى الأستاذ نجيب في مقر الجريــدة في شــارع جزيــرة العــرب بالمهندسين.

- الله يكرمك.. يا باشا.

- الأستاذ نجيب مكلف باختيار فريق التحرير للجريدة الجديدة وامتحانهم.. طبعاً.. قريبك مش هيخشى امتحان.. يقول بس أنه من طرفك.

- بالتوفيق يا باشا.

لم يعد يخاطبني بكلمة باشا إلا العقيد مصطفى وأما أن يعود الكل إلى مخاطبتي بنفس الطريقة أو أن مصطفى نفسه يبحث لي عن لقب جديد. الجرنال الجديد سيكون سلاحي ومدفعي لأعلم البعض الأدب وأجبر الفئران التي خرجت من الجحور العودة إليها مرة أخرى.. سأهرب.. إلى أرض جديدة وناس جديدة وأنسى ساعات البهدلة والتي قد تستمر أياماً. استشعرت مبكراً ما قد يحدث.. استخرجت جواز سفر جديد بوظيفة كاتب صحفي- رئيس مجلس إدارة سابقاً وحصلت على مجموعة من التأشيرات، منها تأشيرات زيارة إلى دول الخليج حيث أصدقائي وشركائي ومنها تأشيرة عمرة وتأشيرة متعددة الزيارات إلى أمريكا وتأشيرة "شنجن" تمكني من السفر لأية دولة أوربية. وضعت كل شيء في الحسبان، باستثناء شراء طائرة خاصة كما فعل العديد من شخصيات البلد الكبار ورجال الأعمال لتحمله إلى أبعد مكان عندما تدق ساعة الخطر.

نزلت وطلبت من سيد أن يحملني مرة أخرى أنا وجوانا إلى الفندق حيث أمكث هناك بعض الأيام وأتخذ قراري بهـــدوء.. قرار السفر.. وإلى أي جهة.

– سيد.. أنت في أجازة لعدة أيام.. قد تمتـــد أســـبوع أو أكثر.. إلى أن أتصل بك تليفونيا.

لم ألمس جوانا تلك الليلة.. طلبت منها أن تعفيني من المساج وأمرتها أن تعد لي حقيبة ســـفر صـــغيرة.. في دولاب حجـــرة الفندق توجد حقيبة. وملابس داخلية وبيجاما وشبشب وبدلة واحدة إضافية وعدة قمصان.. وثلاث رباطات عنق.. الدولاب به كل شيء.. عليها أن تختار ما يناسب رحلة قصيرة. ســـألت جوانا بلهفة إذا كنت سأغيب طويلاً.. وهل السفر داخل مصر أو خارجها.

– ربما إلى الغردقة أو شرم الشيخ.

اتصلت بنجيب.. كل شيء على ما يرام.. ماكيت الجريدة الجديدة سيكون جاهزاً خلال أسبوع واحد. سيختار هو كمـــا كلفته فريق العمل ويقوم بتشكيل الأقسام.. لكل قسم رئـــيس، يجب أن يختاره بعناية. نصائحي له أنها ليست جريدة حكومية. نريد أكفاء في العمل، مهنيين على مستوى عال، لسنا في حاجة إلى مصفقين "وطبلجية".. الرواتب ستكون الأعلى. سبعة آلاف

جنيه لرئيس القسم والمحررين تبدأ رواتبهم من ١٨٠٠ طبقاً للخبرة والكفاءة.. يجب أن يسير كل شيء كما خططت له وبسرية كاملة. إذا عدت مرة أخرى إلى مصر، ستصدر الجريدة وأن لم أعد يتحمل نجيب وحده المسئولية.

أقترح نجيب عليَ في التليفون بعض الأسماء ليصبحوا من كتاب الأعمدة في الجريدة.. أسماء لا بأس بها.. كل منهم له صورة على رأس العمود. تلا عليَ بعض الأسماء، فوجئت باسم المذيعة طليقة المسئول إياه.. سيكتتبها نجيب في الجريدة.

- ماشي.. ماشي ولما هقعد معاك هعرف إيه في دماغك!

تركت جوانا في الحجرة.. نزلت إلى بهو الفندق.. مكتب شركات الطيران في الفنادق تعمل على مدار الساعة.. اشتريت ثلاث تذاكر سفر.. ذهاب وعودة.. تذكرة إلى جدة.. أكدت الحجز على رحلة الغد.. وتذكرتين أخريين. واحدة إلى برلين حيث ما زال مدير مكتبنا هناك صديقاً وفياً.. كان يسأل عليَ من وقت لأخر في محنتي وتذكرة إلى نيويورك حيث ذهب نعيم مطر.. اشتريت مجموعة من كروت شحن التليفون.. طلبت من البائع أن يدخلها جميعاً وصعدت ونمت وفي الصباح قمت ونزلت أنا وجوانا.. تاكسي إلى المطار.

- ستعودين يا جوانا في نفس التاكسي إلى التجمع الخامس.

اشتريت أكبر مجموعة من الصحف من باعة الجرائد أمام صالة السفر.. لم أتوتر عندما قدمت جواز سفري إلى ضابط الجوازات.. فأنا حتى الآن لست ممنوعاً من السفر.. ختم الجواز وتمنى لي عمرة مقبولة.. أمام بوابة الدخول انتظرت النداء على الطائرة.. أخذت أقلب الصحف، "عين الصقر" ما زالت لا ترى فاسداً إلا فاروق عوض.. هجوم ومجموعة أخبار وتحقيق على صفحة كاملة.. اتصلت مجدداً بنجيب.. طلبت منه أن يقدم مذكرة إلى نقابة الصحفيين حول تجاوزات جريدة عين الصقر وعدم التزامها بميثاق الشرف الصحفي، على أن يعود إلى الأعداد القديمة منها ويرفق صوراً بالمذكرة ويقوم بالتوقيع عليها باسمي.. كنت عندما أرى توقيع نجيب المزور باسمي أتشكك في نفسي.. نجيب ينفع في كل شيء.. المذكرة تقدم غداً على أقصى تقدير ويجب أن تسلم بطريقة رسمية.. تأخذ رقماً وتدون في "السركي" وأن تتصل بي بعد إنجاز المهمة.

- المسافرون إلى جدة على طائرة الخطوط الجوية السعودية رحلة رقم ٨٢١ يتجهون إلى بوابة رقم ٩.

النداء تكرر عدة مرات.. اتجهت إلى الأتوبيس وصعدت إلى الطائرة.. أتوقع مثل الأفلام أن ينادوا على اسمي ويلقوا القبض عليَ.. لا شيئ حدث وأقلعت الطائرة.

* * *

دعاني.. لبّيته

أعرف مدينة جدة جيداً، مرات عديدة ذهبت إلى هناك أثناء تأدية العمرة أو مناسك الحج.. لا أعرف عدد مرات العمرة ولكنني حججت خمسة عشرة مرة في خمسة عشر سنة متتالية، كلها دعوات من جهات رسمية سعودية، منها دعوة ملكية.. أعرف فنادق جدة والتي ينزل فيها علية القوم وكبار المسئولين من مصر وغيرها. بحثت عن فندق لا يتردد عليه المصريون. بمجرد دخولي حجرتي في الفندق، اتصلت بمدير مكتبنا في جدة.. لم أشعر بأنه قفز عندما سمع صوتي كما كان يفعل عندما كنت رئيسه. رحب بي ببرود وسألني عن الخدمة التي أريدها.. كان يهرع إلى الفندق عندما يعلم بوصولي. لقد تغير الحال وأصبحت رئيس مجلس إدارة سابق. مشكلتي أن هناك الكثير من الأمور لا أستطيع أن أقوم بها بنفسي ومنها الاتصالات التليفونية أو استئجار سيارة أو غيرها.. طلبت من مدير المكتب أن يخبر بعض المسئولين السعوديين بوصولي واسم الفندق ورقم حجرتي.. حجرة وليس جناحاً.. اختصر الإجابة في كلمة واحدة.. أوكي.. واطيين أخر من قائمة طويلة من الواطيين الذين صنعتهم ورفعتهم وحولتهم من أبناء سبيل إلى أصحاب عزة وسمو ومال ومشروعات.

جوانا.. آه.. جوانا هي الباقية.. هي التي مازالت مخلصة ووفية.. تحدثني في التليفون، تطمئن عليَ.. تسأل إذا كنت في شرم الشيخ أو الغردقة ومتى سأعود؟. طلبت منها أن تتصل بي مرة واحدة يومياً على الأقل.. تتصل هي، فاتصالي بها سيكشف أنني خارج مصر.. طلبت بدلال أن تتصل بي مرتين لأن مرة واحدة لا تكفي.. هذه الهدية التي قدمها لي محى والتي غفرت له بسببها بقية ذنوبه ولا أصدق ما قاله لي بعد وصولها إلى منزلي، من أن الأسيويين غاية في الشراسة والغضب وفي حالة هياجهم يتحولون في لحظة إلى قتله.. ربما يكون كل الأسيويين كذلك، إلا جوانا.. هذه المخلوقة الجميلة الوارفة التي سأستظل بها من قيظ الأصدقاء وهجرهم. أخبرتها أن تتصل مرتين في اليوم أو أكثر إن شاءت ولكن لمدد قصيرة.. لم أقل لها أن تكلفة المكالمات ستكون غالية الثمن ولكنني تحججت بانشغالي الدائم وأنا في الحقيقة خالي شغل.. فاضي.. رئيس مجلس إدارة سابق أصبح "ملطشة" لكل من هب ودب.

نصف يوم قضيته في حجرتي بالفندق. لم يرن جرس التليفون ولو لمرة واحدة.. لم يسأل عني مسئول سعودي كبير أو متوسط أو صغير.

كنت بمجرد وصولي لا تنقطع التليفونات ولا تنتهي الاستقبالات.. كان أغلبهم يخطب ودي ويشيد بمقالاتي ومديحي

الدائم للمملكة السعودية.. الآن لا أحد يسأل عني.. يبدو أهم مثل مسئولينا. لا يحترمون المسئولين السابقين.. عاودت الاتصال بمكتب الجريدة.. لعل وعسى يأتي مدير المكتب. صوت آخـــر يرد عليَ.. يخبرني أن الأستاذ نزل وقد لا يأتي إلى المكتب بقيـــة اليوم. أعرف مثل هذه الأساليب في التهرب. مارستها من قبـــل ولكن بطريقة أكثر تهذيباً. لماذا لا أنزل إلى بهو الفندق.. إلى متى سأظل أخاف الناس واتوارى عن أنظارهم.. لـــست المـــسئول الأول الذين يستغنون عن خدماته ولكنى في الحقيقة المـــسئول الأول الذي شيعوه بهذا الكم الهائل من الشائعات والأكاذيـــب والفضائح. المسئول الأوحد الـــذي أطلقـــوا عليـــه الكـــلاب الشرسة.. المشكلة أن هؤلاء الكـــلاب، إن لم يكـــن كلـــهم، فأغلبهم من داخل مؤسستي.. أنا الذي أطعمتـــهم وربيتـــهم.. كنت أطلقهم على غيري.. جاء اليوم ليوجهـــوا نبـــاحهم إلىَ وينهشوا لحمي وعظامي. في بهو الفندق خليط مـــن أجنـــاس مختلفة.. نساء ورجال وشباب.. يبدو أهم جاءوا للعمرة عـــن طريق إحدى شركات السياحة غير عالية التكاليف. لن أجـــد فيهم من يعرفني ولن أصطدم بما يعكر صـــفوي، ســـأمكث في الفندق عدة أيام.. إن لم يسأل عـــني أحـــد مـــن المـــسئولين السعوديين سأتوجه إلى مكة لأداء العمرة وأعود. مرة ثانيـــة إلى جدة لأقرر ما هي الخطوة القادمة التي سأقدم عليها.

- أهلاً أستاذ فاروق.. يا ترى زيارة تسوّق أم عمرة؟

شابة في العقد الرابع تمد يدها بالسلام، بملابس الإحرام البيضاء.. وعلى رأسها طرحة بيضاء، معها امرأة أكبر سناً، قد تكون أمها أو أختها، الشبه بينهما واضحاً.

- أستاذ فاروق، يبدو أنك لا تتذكرني؟! ذكرتني بنفسها.. كانت تعمل معي منذ ما يزيد عن عشرين عاماً، كنت مازلت مديراً للتحرير.. فكرت لها في باب تكتبه وباسم مستعار.. حققت نجاحات في وقت قصير.. كانت تصل الجريدة عشرات الخطابات يومياً باسمها.. انتابها الغرور.. تذكرت الآن.. حين قررت أن ألغي الباب وأن ألغيها هي من الوجود. فكرت لها في حيلة تجعلها تهرب من الجريدة ولا تعود إليها مرة أخرى. قررت تصفيتها.. اغتيالها معنوياً وجسدياً. في اليوم التالي وعلى الصفحة الأولى من الجريدة نشرت خبراً. كتبته بيدي "انتقلت إلى رحمة الله إثر حادث أليم الأستاذة فلانة الفلانية صاحبة باب "الحب جميل" وألهم الله أهلها وأصدقاءها وقراءها الصبر والسلوان" فقرة واحدة قضيت بها عليها أو ظننت أنني قضيت عليها، إلا أنها الآن وبعد هذه السنوات تبدو أكثر قوة مني.. أكثر قدرة على مواجهة الناس وربما أكثر قدرة على التسامح.

- عمرة مقبولة يا أستاذ فاروق وربنا يغفر لك ويتوب عليك.

جملة أشد فتكا من "انتقلت إلى رحمة الله أثر حادث ألـــيم" نطقت بها وسحبت أمها من يدها وأخبرتها وسمعت بأذني قولها لها.. هذا الشخص.. الذي يبدو حطام إنـــسان هـــو الأســـتاذ فاروق الذي قتلني منذ عشرين عاماً.. الجلوس في البـــهو غـــير محمود العواقب.. كيف لو قابلني شخصاً ليس لديه قدرة علـــى التسامح مثل هذه الصحفية السابقة، ربما لكمني في أســـناني أو بصق على وجهي.. الجلوس في الغرفة أكثر أمناً وأكثر راحة.

صعدت إلى غرفتي.. طلبت من موظف الاستقبال أن يرسل لي كل الجرائد المصرية يومياً.. كل ما يصله من الجرائد القومية والحزبية والمستقلة.. رن جرس التليفون.. موظـــف الاســـتقبال يخبرني بأن شخص سعودي يرغب في رؤيتي أو الـــصعود إليَ.. ذكر اسمه.. تذكرته.. رجل أعمال استضافني عنده أكثر من مرة وكنت أرد له الزيارة عندما يأتي مصر..

- أهلا وسهلاً.. أنا في انتظاره.

أحضان وقبلات وسؤال عن الأهل والأصدقاء في مـــصر.. يعرف كل أصدقائي.. يعرف شلة المقهى. أعرب عن شـــديد أسفه لما آل إليه وضع خليل والحكم عليه ودخوله الـــسجن.. يتعجب من حال مصر.. وكيف تـــصنع الحكومـــة هـــذا في رجالها.. في السعودية وفي دول الخليج بأسرها إذا اشتد غضب الحكام على أحد المسئولين السابقين.. تجري معـــه مفاوضـــات

جادة تنتهي بالسماح له بالخروج من البلد واختيار المنفى الذي يريده وأحياناً يخصص له راتباً، على أن يخرج من البلد بكرامته ويعيش في الخارج بكرامته على ألا يمس النظام بسوء أو يشارك في أية حملات معادية أو يدلي حتى بتصريحات صحفية.. يخرج بهدوء ويظل النظام في هدوئه.. لا يزج بمسئول خليجي أو سعودي سابق في السجن.. قصة يعرفها الجميع ويوافقون عليها طواعية.

- مصر أم الدنيا.. غير كل الدنيا.

تهكم رجل الأعمال السعودي على هذا السلوك المصري الذي يراه أنه غير مناسب على الإطلاق. مفضلاً الأسلوب الخليجي في التعامل مع المسئولين السابقين الذين يخطئون أو يخرجون عن خط الصواب ويسأل عن جو الاستثمارات في مصر والقوانين الجديدة وموضوع البورصة واستقرار الحال وقوة الحكومة.. اسئلة كثيرة لم يعد لدى إجابات عليها.. أنا بعيد عن دائرة الحكم والحكام منذ شهور.. لا أعلم ماذا سيكون حالي وهل سألحق بخليل أو سيطبقون معي الأسلوب الخليجي.. أصبح في العالم كله مواصفات جديدة.. أفضلها الآن المواصفات الخليجية حتى في السيارات.. أفضل مواصفات تضعها الشركات في البضائع المصدرة للخليج. حديثه "لا يودي.. ولا يجيب" أرغب في أن يأتيني أحد أصدقائي القدامى من كبار المسئولين، لأستطعفه أن يجري اتصالاته وليأتي لى بخبر يقيني، أن لا أحد سيلمسني وأنني إن لم أظل كما كنت فاروق

عوض الرجل القوي الذي يرهب كبار المسئولين و الـــوزراء. سأظل فاروق عوض الآمن من إرهاب صغار المسئولين.

ثلاثة أيام لم يسأل عني أحد سوى رجل الأعمال هذا، مدير مكتبنا لم يكلف خاطره ليرفع سماعة التليفون ليسأل عني وهـــو الذي كان لا يتركني من قبل عندما أهبط جدة.. كنـــت أنـــا الذي أطلب منه أن يتركني ويذهب إلى زوجته وأولاده، إلا أنه كان يأبى ويصر على أن يبقى معي حتى أدخل السرير. لم يعـــد هذا يؤلمني. اكتسبت بعض المناعة خلال الـــشهور الماضـــية.. اكتشفت أن قلّة الأصل هي عامل الوراثة الثابت في كل البشر.. في كل من عرفت.. في كل من اقترب مني أو قربته أنا مني. لا ينتشلني من أحزاني سوى تليفون جوانا.. تسأل وتسأل وقـــد تظل تسأل وأسأل أنا نفسي بدوري عن الدافع الحقيقي لهـــذا النوع من الارتباط.. هل تحبني جوانا أو أنهـــا تـــشعر بـــألمي وأحزاني؟. هل تفكر أن تأخذني معها إلى الفلبين؟ هل تخطـــط للزواج مني؟ أو أن هؤلاء النسوة لا يهمهـــن الـــزواج؟ هـــل معاملتي الكريمة لها قربتها إليَ بالفعل؟ أو أنها مثل غيرها تتظاهر بذلك.

- جوانا تصبحي على خير.

كومة من الجرائد المصرية الحكومية والمستقلة والحزبية يحملها عامل الفندق.. لم أعد شديد التأثر بما يكتب كما كنت في السابق.. كل ما يهمني فيما ينشر عني هو صحة الأخبار المنشورة أو تلفيقها ومحاولة معرفة المصدر الذي سرب مثل هذه الأخبار والأسرار. "عين الصقر" تكتب "فاروق عوض يتقدم بشكوى إلى نقابة الصحفيين". الشكوى التي طلبت من نجيب أن يقدمها باسمي.. التكملة صفحة ستة. صفحة كاملة عليَّ.. لا بأس.. نص الشكوى بالكامل. وتصريح من سكرتير عام نقابة الصحفيين "من حق الأستاذ فاروق عوض مثله مثل غيره من أعضاء الجمعية العمومية بالتقدم إلى النقابة بمذكرة أو شكوى أو خلافه، فله ما لغيره من حقوق وإذا كان في هذه المذكرة يطلب التحقيق وضرورة الالتزام بميثاق الشرف الصحفي فيما نشرته الصحف في حقه، فهذا حقه رغم أنه رفض المثول من قبل أمام لجان تحقيق نقابية في الشكاوي التي قدمت ضده إبّان رئاسته لمجلس إدارة المؤسسة. نحن لا نزر وازرة وزر أخرى.

شكوى الأستاذ فاروق ستعرض على اجتماع مجلس النقابة القادم. فالنقابة في البداية والنهاية هي ملاذ كل الصحفيين، سواء كانوا رؤساء تحرير أو رؤساء مجلس إدارة.. كبيرهم وصغيرهم أمام قانون النقابة سواء".

واطي من ضمن الواطيين.. حاولت بكل الطرق اسقاطه في كل الانتخابات السابقة إلا أنني فشلت وقررت العمل بمثل زوج خالتي الرجل الثقيل "اليد إللي متقدرش تقطعها.. بوسها".. إلا أنه توليفه غريبة.. منوفي.. والمنوفي لا يلوف "وناصري مـــا زال يؤمن أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، وله معي ثأر قديم. في نفس الصفحة قائمة بالشكاوي التي قدمت ضدي وتواريخها. ملف كامل بما اسموه مخالفاتي وفضائحي مسلسل تاريخياً.

منها شكوى البت الواطية الصحفية التي فصلتها ومـــذكرتها التي قدمتها للنقابة تلمح فيها ولا تصرح بأنني تحرشت بها. هذا الملف لم يسلمه للجريدة إلا صاحبنا السكرتير العام.

عين الصقر ليست الجريدة الوحيدة التي تهاجمني، انضم إليها عدد من الصحف الصغيرة. كل منها تحاول أن تجد لها مكانـــاً على الأرصفة عند باعة الجرائد.. الهجوم عليَّ أصبح هو الطريق للوصول إلى القارئ. صحيفة أخرى تتحدث عن جهات رقابية سيادية تجمع الأدلة والمستندات التي تـــدينني ويقـــول بالاســـم "فاروق عوض وأرقام حساباته السرية في سويسرا". لـــيس لي حسابات سرية في أي مكان.. حـــساباتي علنيـــة وفي بنـــوك خليجية.. لن يمسها أحد بسوء ولا يوجد لدي أي جهة كانت

من أدلة أو مستندات تستطيع بها إدانتي. إدانتي تعني إدانة نظـــام بأكمله.. دولة بكل رجالها. لقد أديت واجبي طوال الـــسنوات الماضية على أكمل وجه واذا كان هناك من يريدون تـــصعيدهم وتلميعهم فيجب ألا يكون عليَ حساب رموز الوطن.

جرس التليفون يرن.. نجيب يخبرني أنه قدم المذكرة وأن هنـــاك جرائد أخرى دخلت المعركة وهل يقدم مذكرة أخرى مجمعـــة فيها كل تجاوزات النشر ومخالفة ميثاق الـــشرف الـــصحفي.. نجيب يحدثني عن الشرف الصحفي.. شر البلية ما يضحك.

- لا.. لا.. لا تقدم مذكرات أخرى.. تـــابع فقـــط مجلـــس النقابة.. وعاوز أعرف الأعضاء اللى مـــع الـــشكوى واللـــي ضدها.. عاوز أعرف من معي ومن ضدي.. تابع فقط!.

نجيب يريدها ناراً، ينتعش مع البلاوي والمعارك، يقدم أفضل ما لديه في الساعات الحالكة ليؤكد لي أنه أفضل بكـــثير ممـــن قدمتهم عليه وممن فضلتهم عليه. أنا أعلم قدراتـــه إلا أنـــني لم أستطع ترشيحه رئيساً لتحرير إحدى مطبوعات المؤسسة، أعلم أن الأمن من الممكن أن يرفضه ولذا رشحت الباهت عديم اللون والطعم والموهبة عبده سليم وأصبح رئيساً للتحرير. نعم أوصيت عبده بضرورة ترقية نجيب إلى نائب أول رئيس تحرير ولم يرفض الولد طلبي، إلا أن نجيب مازال يظن أنه لم يأخذ كامل حقـــه.

يريد أن يستعرض مهاراته وقدراته.. لا يفهم أن الأمن لا يجدد ملفاته وأن ملفه السابق في صحيفة معارضة لم ينقل ولن ينقل إلى صفوف ملفات مؤيدي ومحبي ومباركي الحكومة.

الإقامة في جدة غير مجدية.. الأفضل أن أخرج لأداء العمرة.. أغسل بعض همومي وأشحن طاقتي لما يستجد من معارك.. محتاج الواطي مدير مكتبنا.. أتصلت به أكثر من مرة.. غير متواجد في المكتب.. أخبرت من يرد عليَ بأني احتاجه ضرورياً. أرغب في تعديل تذكرة السفر ويجب أن يرد علىَ في أسرع وقت. اتصل بي تليفونياً وبأدب جم مبالغ فيه.

- أنا تحت أمرك.. أستاذ فاروق.

- عاوز أعمل "كونكشن" لتذكرة السفر، بدلاً من القاهرة- جدة- القاهرة، إلى القاهرة- جدة- المدينة المنورة- البحرين- القاهرة.

- أنا تحت أمرك.. سأرسل لك موظفاً فوراً من المكتب لعمل اللازم.

أرسل موظفاً.. لم يأت هو.. الولد عمل اللازم، عدل التذكرة.. من جدة إلى مكة.. سيارة ليموزين قطعت المسافة في خمسة واربعين دقيقة.. سائقو مكة أدري بالفعل بشعابها.. طفت بالبيت.. لم أعلم من أين أتى هذا الكم من الدموع.. لم

يأت على لساني سواء دعاء واحد.. سترك ومغفرتك ورضاك. قضيت اليوم كله في الحرم.. شعرت أنني أطير لا أمشي.. مذاق خاص لعمرة هذه المرة.. ربما لأنها من حر مالي وربما أنني كنت في أشد الحاجة لغسل همومي وطلب العون الإلهي للخروج من محنتي.. عدت في نفس الليلة إلى جدة.. إلى نفس الفندق.. سألت: هل سأل عني أحد؟ لا أحد. في الغد سأذهب إلى المدينة المنورة. التليفون يرن.. التليفون المحمول أصبح في غاية الأهمية وغاية الإزعاج.. مازال الشحن الإيماني يعمل.. والرضا النفسي ينساب بين ضلوعي..

- آلو.. فاروق بك.. أنا شوكت المحامي.. عندي أخبار مش أكيدة.. إلا أنها مزعجة.. أنت فين؟

- أنا في شرم الشيخ.

- قدامك كام يوم؟

- حوالي أسبوع.. إيه هيّه الأخبار؟

- صحفي تقدم ضدك ببلاغ إلى النائب العام.. الآن يتم البحث في جدية البلاغ.. مصادري هناك أكدت ذلك وقد يتم إبلاغك بالمثول أو يحفظ البلاغ.

- المهم.. يا شوكت بك.. إحنا وضعنا القانوني إيه؟

- زي الحديد.. المهم أنت.. يجب ألا تهتز!

شوكت بك صديقي والمحامي الشخصي والذي صاغ لي وللمؤسسة كل العقود القانونية من بيع وشراء وخلافه.. منهم عقد شراء الأرض الذي بنيت عليه ملحق المؤسسة.. هو الذي صاغ العقد الأصلي والمضروب.. عقد يقول أننا دفعنا اثنتا عشرة مليونا من الجنيهات ثمناً للأرض وعقداً يقول أن مادفع سبعة مليون فقط.. هذان العقدان هما اللذان سرقتهما السكرتيرة التي أرسلها لي صديقي محيي ربيعي.. هذه هي الثغرة القانونية الوحيدة أو التهمة الموثقة في حالة ظهور العقد الأصلي.. غير ذلك.. لا أوراق أو مستندات من الممكن أن تضعني في وضع المسائلة القانونية. شوكت يطلب مني الثبات.. الحمد لله بعد زيارة مكة والطواف بالبيت وتقبيل الحجر الأسعد.. أشعر أنني قادر على اختراق الحديد وغداً بعد زيارتي للمدينة سأزيد قوة بإذن الله وثباتاً.

المحامي المتمرس مثل شوكت لو حدثك بالساعات في التليفون وسجل لك الجن الأزرق المكالمة، لا يوجد حرفاً أو كلمة أو جملة يمكن استخدامها في إدانتك.. أوضح أن كل شيء مضبوط وتمام وأوراقنا جاهزة وسليمة وأن كل ما يذكر في الجرائد مجرد فرقعات وشائعات وأن هناك من يدفع مثل هؤلاء الصحفيين الصغار لارتكاب مثل هذه المخالفات وأن من يدفعهم لفعل ذلك يسئ إلى النظام كله ولا يسيء إلى فاروق

بك عوض.. رسائل يرسلها إلى كل الأطراف ويعمد في الإطالة والشرح والتقليل من شأن ما يحدث وتقزيم من يقومون بمثـل هذه الأعمال.. محام محنك من رجالات الحزب الحاكم ويقـدم مشورته القانونية لكافة الأحزاب المعارضة. شوكت من فرقـة المقهى. رجال ملء السمع والبصر وصورهم تحتـل الـصحف بصفة يومية، إلا أهم فرقة يجب أن تعد أصابعك بعد أن تمد إلى أي منهم يدك بالسلام.. لم أعد أثق فيهم على الإطلاق، لـيس بسبب السكرتيرة الحرامية التي أهداها إلىَ محيي ربيعي ولكـن لأمور كثيرة أتضحت فيما بعد. العلاقة بينهم ليـست علاقـة منفعة وحسب، كل العلاقات أصبحت تقاس وتقـيم بمـدى الاستفادة ولكن المشكلة في قلة أصل أفرادها. عنـدما سـجن خليل وقف من يقول وسط الفرقة أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم وعندما خرجت أنا من الخدمة، هربوا جميعاً مني وغيروا موعـد جلساتهم و لم يخبروني بها وعندما شاهدوني في المقهى.. كـل منهم حاول أن يهرب وكأنه شاهد كلباً أجرباً.. شوكت هذا في حد ذاته حدوته. يلعب مع الجن، إلا أنه يحافظ بشكل غريب على مكانته كمحام.. رأسماله سمعته المهنية ولا يفرط فيها ابداً.. لهذا السبب وحده، أتئمنت شوكت على أسراري وعلى رقبتي، جمعت بيننا المنفعة والصداقة. آتي له بكبار المستثمرين العـرب، يصيغ لهم العقود ويحصل منهم على الملايين ويكتم الأسرار.

أصحو وأنام على صوت جوانا.. تسألني عن حال البحر وهل نزلت أو لا وهل هناك من يعمل لي مساج.. مساج إيه وأنا جاي من مكة.. قلت لها أن البحر جميل والمياه دافئة.. كنت أتمنى وجودها معي.. عادت تسألني متى سأعود وأخبرتني بأسماء الذين اتصلوا بي تليفونياً على المترل واشتكت من سيد السائق الذي رفض الاستجابة لأوامرها وتغيير وشراء بعض زجاجات المياه الغازية والمعدنية. أمور في غاية التفاهة. أوعدها بأنني سأحاسبه عندما أعود ولا تشغل بالها كثيراً به وأعدها بأنني سأحضر لها هدية جميلة من شرم الشيخ وأنام على جملتها تصبح على خير.

نزلت اراجع حساب الفندق.. سألني الموظف هل يرسل الفاتورة إلى مكتبنا في جدة. يعلم أنني رئيس مجلس إدارة كبير.. ولكنه فيما يبدو لا يعلم أني الآن أصبحت سابقاً.. دفعت الحساب بالفيزا كارت وسيارة من أمام الفندق إلى المطار ومن جدة إلى المدينة في أقل من ساعة.. لا أعلم كيف يتحمل الحجاج والمعتمرون رحلة السيارة.. المسافة بالسيارة لا تقل عن ست ساعات.. البعض يقول الثواب على قدر المشقة. في المسجد النبوي وجدت نفسي مرة أخرى أبلل وجهي بالدموع.. أطلب الصفح والمغفرة وأطلب الستر والعفو.. اليوم كله قضيته في المسجد النبوي.. قابلت وجهاً كأنني أعرفه وكأنه

يقول لي لا لبيك ولا سعديك.. بت ليلتي بفنـــدق صـــغير في المدينة وفي الصباح كنت في الطائرة المتجهة للبحـــرين.. حـبي وعشقي.. أحس بنشوة غريبة.. لا خوف ولا هلع.. المـــوت لم يعد يخيفني من واجه مثلي الحياة بكل هذه الشجاعة لن يرهبـــه الموت ولكنني أخشى المذلة.. أخاف من المهانة أصاب بالرعب من نظرة تشفي.. من المطار إلى فندق ريجنسي.. بمجرد دخولي الحجرة اتصلت بمدير مكتبنا في البحرين أخـــبره بوجـــودي.. جاءني على الفور. الوحيد غير الواطي الذي أقابله منذ خروجي من الخدمة. أجرى اتصالات تليفونية من حجرتي.. أخبر عـــدداً من المسئولين كبارهم وصغارهم بوصولي إلى المنامة وإقـــامتي في فندق ريجنسي وأعطاني رقم تليفونـــه المحمـــول واســـتأذن في الانصراف. الوحيد الذي عاملني وكأنني مازلت رئيساً لمجلـــس الإدارة.

رعشة بسيطة وارتفاع طفيف في درجة الحـــرارة. مـــشقة الرحلة والتنقل وثقل الهم الذي أشعر أنني تخلصت منـــه حينـــاً وأحسه وقد زحف على أكتافي وصدري مرة أخرى. طلبت من موظف الاستقبال أن يمنع عني الاتصالات التليفونية ووضـــعت الورقة الكرتونية التي تقول "ممنوع الإزعاج" علـــى البـــاب.. أخذت حماماً وأغلقت تليفوني المحمول ونمت.. قمت.. درجـــة الحرارة كما هي، زادت عليها دوخة طفيفة.. أشعر بـــدوار..

اتصلت بالاستقبال.. طلبت منهم أن يرسلوا إلى غرفتي طبيباً.
الطبيب هندي عجوز كأنه من مخلفات الاحتلال الانجليزي في
البحرين. قاس الضغط.. وضع سماعته على صدري وظهري..
طلب أن اكح.. طبيب تقليدي قديم.. سأل ماذا أكلت في
الصباح أو الأمس. كتب روشته.. وقال إرهاق زائد.. الضغط
مرتفع بعض الشيء.. تحتاج بعض الراحة.. لم استجب
لتعليماته.. ارتديت ملابسي ونزلت. باب البحرين الشهير..
دخلت منه إلى شارع التجار وسوق الذهب.. اشتريت انسيالاً
رقيقاً لجوانا.. وضعه البائع في علبة قطيفة زرقاء.. تجولت في
الشوارع التي أعرفها.. وصلت إلى فندق ديلمون. فندق صغير
جميل.. أغلب رواده من الإنجليز.. الكافتيريا والبار في الدور
الأرضي. أنجليز البحرين غير أي انجليز في أي مكان. النساء
والفتيات جميلات.. في بلاد الانجليز ترى عشرات النساء
متوسطات الجمال، أما في البحرين فغير مسموح لدخول غير
فائقات الجمال.. طول فارع وشعر ذهبي حقيقي ووجوه بيضاء
أضفت عليها شمس البحرين رونقاً وحياة.. في الكافتيريا وعلى
المقاعد المواجهة للبار، نساء وفتيات.. كنت أنظر إلى
ظهورهن.. قائمة مستقيمة، لا تدلي منهن أرطال من الشحم
الزائد. طلبت عصير ليمون وطبق مزة فاخر.. الجرسون الفلبيني
كتم دهشته.. المزة مع طلب البيرة أو المشروبات الكحولية. نظر

نظرة تحمل معنى واحد وهو أن الزبون دائماً على حق وجـــاء بالمطلوب. تعودت ألا أشرب في مكان عام وخاصة إن كنت في مصر أو دولة عربية مثل البحرين. شغلت نفـــسي بـــالنظر إلى الإنجليزيات. أردافهن.. سيقانهن.. صدورهن واشتقت لجوانـــا. منذ أن عرفت جوانا أصبحت أكثر ميلاً للجمـــال الأســـيوي. خرجت واستكملت التجوال.. فرصة محروماً منها في القاهرة.. دخلت محل جاشنمال.. جربت كل انواع العطور المعروضـــة لتجربة الزبائن.. اشتريت رابطة عنق لا احتاجها.. وقفت امام محل "الفقيه" واحد من سلسلة محـــلات ملابـــس شـــهيرة في البحرين.. أغلب المعروضات انجليزية مائة في المائة.. في الفاترينة جاكت جذبني، من الألوان التي أفـــضلها.. ليمـــوني فـــاقع. اشتريته.. بعد جدال في سعره والحصول على تخفيض.. فنـــدق ريجنسي ليس ببعيد.. اكملت السير إلى هناك.

في بهو الفندق تجلس مجموعة من الأصدقاء القـــدامى مـــن البحرينيين. رئيس تحرير سابق.. وكيل وزارة إعـــلام ســـابق.. رجل أعمال على علاقة طيبة بكـــل وزراء مـــصر الـــسابقين والحاليين ومدير مكتب مصر للطـــيران. رحبـــوا بقـــدومي.. احتضنني كل واحد منهم.. من عادة أهل البحرين إذا كنـــت عندهم ضيفاً وقاموا بزيارتك في الفندق الـــذي تقـــيم فيـــه، يأخذونك إلى فندق أخر للاحتفال بك.. استاذنتهم في الصعود

إلى غرفتي، أضع المشتريات وأخذ حماماً وأغير ملابسي وأنـــزل معهم. إلى فندق "لافاندوم" أغلب زبائنه من الأسيويين، خاصة الفلبين وبعض السعوديين الذين يأتون لقضاء يـــومي الخمـــيس والجمعة.. كل مضيفات الكافتيريا من الفلبينيات نفس حجـــم جوانا وتكويرة أكتافها. السؤال الوحيد يدور حول الأوضـــاع في مصر. ويسأل مدير مكتب مصر للطيران عن قرب صـــدور حركة التنقلات وأنه يرغب في أن يـــستمر بـــالبحرين مـــدة أخرى.. لم يعد لي معلومات ولم يعد لدي نفوذ لأتوســـط لـــه ليبقى في البحرين.. وكيل الوزارة السابق يـــسأل عـــن نهايـــة الفضائح المثارة في الصحف.. رجل الأعمال البحريني يؤكـــد عزمه على بقائي في البحرين إلى أن تنتهي الموجة الحاليـــة أو أن يطمئن بنفسه من أعلى سلطة في البلد أن لن يمسني أحد.

جو افتقدته منذ خروجي مـــن الـــسلطة، إلا أن بقـــائي في البحرين طويلاً لا أتخيله. فالجو هنا لا يناسبني على الإطـــلاق.. رطوبة طوال العام.. أنا إذا كنت أفكر في الهروب، ففرنسا هي أقرب بلدان أوربا قرباً لقلبي وعلاقاتي بها واسعة، خاصة رجال الأعمال المصريين الذين هربوا من مصر بعد ملاحقتهم بتهمـــة توظيف الأموال. الخليج لا يناسبني علـــى الإطـــلاق.. رجـــل الأعمال البحريني أكد أننا جميعاً على موعد معه غـــداً علـــى العشاء في قصره العامر بمنطقة الرفاع.. منطقة الشيوخ وكبـــار

القوم، مع وعد بأنه سيجري اتصالاته للتأكـد مـن وضـعي القانوني ولن يتركني أغادر البحرين إلا بعدما يتأكد أن "الأمور ستسير تمام". عدت إلى الفندق. نمت ليلة هادئة. تحدثت معـي جوانا طويلاً إلا أن الخط انقطع لنفاذ رصيدها في التليفون.

لم أغادر حجرتي حتى المساء.. كومة من الجرائد المصرية، لم يخل جرنال واحد من مهاجمتي.. ما بين خبر وتحقيق ومقال.. ما يقطع في جسدي أن جرنالي يقود الحملة. كلام يكتبه رئـيس مجلس الإدارة الجديد عن مشاكل الصحف القوميـة واخـتلال ميزانياتها والقيود التي ترهقها بفضل الديون وأعباء الـديون وفي ثنايا مقاله يطلب من المسئولين ضرورة محاسـبة المتـسببين في الأزمة، لا يقصد إلا سواي. ولا يهدف إلا لتدميري.. حدوتـه حماية الصحف القومية والخوف عليها مجرد غطاء يطلق من تحته الرصاص علَ وعلى تاريخي، كأن بيني وبينه ثأر ودم.. عنـدما أعود وتهدأ الأمور سأتعامل معه وبطريقته، بنفس الهدوء وبنفس الرزانة، فلا بلطجة تنفع معه ولا تهديد قد يوقفه عنـد حـده، خاصة وأنه يظن أن هناك من يحميه.. لم يسأل نفسه لحظـة.. أين ذهب من كانوا يوفرون لي الحماية.!

أخبار أخرى عن مذكرات وشكاوي عديدة قدمت ضـدي إلى نقابة الصحفيين، يبدو أنها هجوم مضاد على المذكرة الـتي تقدمت بها والغرض أن يتم سحب مذكرتي مقابل سحب هذه

المذكرات وقد يطلب مني ذلك سكرتير النقابة وقـد يـتحجج بأهمية وضرورة الحفاظ على وحدة الجماعة الصحفية وغيرهـا من الجمل التي يروجها في أحاديثه الصحفية وجعلت منه نجماً.. عندما أنزل مصر وتستقر الأمور وتنتهي الهوجة، سأضع كـل واحد في حجمه الطبيعي. فاسد ومفسد ومبتز صحيفة أخـرى تصدر من تحت بئر سلم تقذف عليَ بكل هذه الصفات السيئة والتهم.. من يمسك بكل الخيوط.. واحد.. شخص واحـد.. اعرفه تماماً وإذا صدرت إليه التعليمات، سيلم ثعابينه وكلابـه وقد يعود كما كان ولياً حميماً !

سيارة أرسلها رجل الأعمال البحريني، جاءت لـتحملني إلى مدينة الرفاع.. نفس المجموعة.. ونفس الأحاديث.. تطرقوا إلى قضايا الفساد واللافتة التي ترفعها الحكومة أن لا تـستر علـى فساد.. رجل الأعمال يفي بما وعد به.. اتصل تليفونياً بالرجل الذي أعرف أنه يلعب بكل الخيوط ويحرك كل العرائس. فهمت من الحوار أنه هو.. يسأله عن أخبار فاروق عوض ومتى ستنتهي الحملة ضده ويؤكد عليه أن كلمة واحدة منه ستنهي الأزمـة وستكف الصحف عن مهاجمته.. يهز رجل الأعمال البحـريني رأسه رضاء بما سمع من المسئول المصري الكبير ويودعه على أمل اللقاء ويخبره بأن طلباته ستصله في أقـرب وقـت واتجـه إلي يخاطبني.

- الموضوع يا فاروق باشا مش هيطول.. الراجل الكبير بتاعكم وعدني.

- البركة فيك.

- وعدني وأقسم بالله العظيم أن لا نية على الإطلاق لتقديمك للمحاكمة وأنك أنت راجلهم.

- عملت كل ما طلب مني وما لم يطلب.. طلبوا مهاجمة الإخوان.. هاجمت.. أمروا بتقطيع الشيوعيين.. قطعت.. دفعوني للاشتباك مع الناصريين.. اشتبكت.. هاجمت أمريكا وبوش.. خونت رجال أمريكا في مصر وشرشحتهم.. أنا عملت عجين الفلاحة وفي النهاية تركوا شوية عيال واطية تقطعني.

- لا.. لا.. اطمئن.. لن يمسك أحد بسوء. الراجل قال أن هناك بلاغات قدمت إلى النائب العام، تركها تسير في مسارها حتى لا يقال أن الحكومة تتستر على فساد.. مرة أخرى.. لو أعلم أن هناك من يضرك لن أتركك تغادر البحرين.. روح واطمئن وزي ما بتقولوا حط في بطنك بطيخة صيفي.

كلامه أثلج صدري، فأنا أعلم أن هذا المسئول لا يستطيع الكذب على هذا الرجل بالذات، فهناك مصالح بينهما بالملايين ولو كذب على الدنيا كلها لا يستطيع أن يكذب على صديقه

هذا والذي كنت أنا السبب في تعرفه عليه وتقديمه إليه واتفقوا على الحصة والمبلغ أمامي مقابل أن يحمي له مصالحه واستثماراته في مصر.. سأغادر غداً.. طائرة الساعة ١١ من البحرين.. تصل مصر عصراً.. أخبرت جوانا أن ترسل إلى سيد السائق إلى المطار الساعة الرابعة.. أمام صالة الوصول الرئيسية وأن يتصل بي تليفونياً بمجرد وصوله إلى المطار وأخبرتها أنني اشتريت لها انسيالاً ذهبياً جميلاً من شرم الشيخ وأن الإنسيال يحتاج حفلاً كبيراً في حجرتها في ليلة تكون زوجتي المصونة عند أحد الأبناء.

رحلة هادئة إلى القاهرة.. قائد طائرة متمكن، لم يشعر المسافرون بمتاعب الإقلاع أو الهبوط.. مقاعد الدرجة الأولى تعطي براحاً، تمد فيه قدميك والخدمة أكثر من ممتازة، لا أعرف سر الهجوم الدائم على مصر للطيران.. هبطت الطائرة ونزلت السلم في انتظار الاتوبيس الذي سينقلني مع غيري إلى صالة الجوازات.. انتهى زمن صالة كبار الزوار وصغارها.. الاتوبيس اكتمل.. سأنتظر عودته.. لمحت مندوب جريدتنا تحت سلم الطائرة ينتظر قادماً ما.. كنت على وشك أن أنادي عليه، إلا أنه أدار وجهه بعيداً.. وابتعد خطوات.. مش مشكلة.. أهو واحد من الواطيين الذين قربتهم مني وعينتهم في المؤسسة. كلما أقابل أمثال هؤلاء الواطيين، أتذكر "واطيين" أخر كان لا يكل من مهاجمتي.. لم ينفع معه خصم من راتب أو محاولات فصل.

كان دائم القول عني بأني "أقرب الأسافل مني كأنني أحن إلى عرق فيَ" أنتظر الأتوبيس.. دقيقتان أو ثلاثة سيلقي بالقادمين إلى الصالة ويعود.. أنظر إلى الواد المندوب الواطي، كان مجرد سائق تاكسي يسكن بجوار منزل حماتي ويعرف أخوات زوجتي.. توسلوا إليَ كي أعينه في الجريدة.. جامعي ولا يجد عملاً.. عينته وعرف الطريق. طريق استقبال القادمين.. يخرج شنطه.. يتوسط لدي لرجال الجمارك لتخفيض القيمة. أصبح يتكسب يومياً ما لا يقل عن خمسمائة جنيها مقابل خدماته وتحول من تسليك الحقائب إلى الهوم ديلفري وتوصيل الطلبات للمنازل، عندما عرفته على صديقي محيي ربيعى.. كان ينتظر النساء الأجنبيات القادمات ويقوم بتوصيلهن إلى الزبائن.. واطين.. وصل الاتوبيس ونزلت إلى صالة الجوازات ووقفت مع الواقفين في الطابور.

الطابور طويل.. يرن جرس التليفون.. نجيب يسأل عن أخباري وموعد عودتي ويخبرني بما حققه حتى الآن في تنظيم الجرنال الجديد واستكمال فريق العمل.

– أنا في المطار وصلت الآن من شرم الشيخ.. موعدنا غداً الساعة الخامسة مساء في التجمع الخامس.

الطابور يتحرك ببطء شديد وضابط الجوازات في حالة من البرود والاسترخاء العجيبة، لأول مرة أقف في طابور

الجوازات.. لا أحد يسبقني ولا أحد يسير خلفي.. ولا حمد الله على السلامة يا باشا.. تحرك الطابور.. قدمت الجواز.. حمد الله على السلامة، قالها الضابط بآلية باردة وكأنه جهاز تسجيل.. قلب في صفحات الجواز.. أعطاه لشخص يجلس خلفه وأمامه كمبيوتر.. طلب مني الانتظار على المقاعد المجاورة لعدة دقائق.. سألته.

- خير يا حضرة الضابط.

- خير.. تشابه أسماء.. دقائق للتأكد.

تشابه أسماء.. كم واحد في مصر يحمل اسمي.. أنا فاروق عوض.. الصحفي المعروف ورئيس مجلس الإدارة السابق.. تشابه أسماء.. يا واطيينن.. ربما تكون خدعة لحملي فيما بعد إلى جهة ما.. من اتصل به الآن؟ الكل تخلى عني.. لن يرد أحد على هاتفي.. دقائق كأنها دهر.. نادى أمين شرطة على اسمي.. فاروق عوض.. دون باشا ودون أستاذ.. الجواز يخفيه وراء ظهره.. أسلوب أعرفه لإلقاء الرعب في قلوب القادمين.. سلمني الجواز.. حمد الله على السلامة. الله لا يسلمك ولا يسلم أمثالك.. طلبت سيد السائق.. أنت فين.. على بوابة الوصول الرئيسية.. لا أحمل حقائب.. حقيبة يد صغيرة.. خرجت.. حملني سيد إلى التجمع الخامس.

* * *

غسيل القلوب

الروتين اليوم.. الحديقة والعصائر والإفطار وسيد السائق وجوانا وتحية الصباح للست المدام قبل مغادرتها للمترل.. جوانا اشتقت إليها.. ثمان أيام قضيتها بعيداً عنها، بين المسجد الحرام والمسجد النبوي والبحرين. صدقت جوانا أنني كنت في شرم الشيخ، واحدة من أهم مميزاتها أن تصدق كل ما يقال لها، فهي منذ عرفتها لا تعرف الكذب. بمجرد أن توارى سيد عن نظري، قدمت لها الهدية والاحتفال فيما بعد.

فكرة إزالة السور الأسمنتي فكرة جيدة.. أستطيع أن أرى الطريق من خلال القضبان الحديدية الجديدة.. الشارع أمامي عرضه أربعين متراً.. كأنني أدخلت الشارع إلى الفيلا أو نقلت الفيلا إلى الشارع.. الاتساع يعطيني فسحة للتأمل والتفكير والتدبير.. يمنحني قوة للتخطيط القادم وكيف سأتعامل مع المشاكل.. في البيت ليس لدي مشكلة. أنا في حالي وزوجتي في حالها. المشكلة داخل المؤسسة التي غادرتها والثعابين التي خرجت من شقوقها. المشكلة في الجرنال الجديد وهل سأستطيع أن حقق نجاحاً مثل الذي فعلته في جرنالي القديم؟ هل سأبسط سيطرتي على الجيل الجديد من الصحفيين المتمردين الذين ظهروا

في سوق الصحافة؟ كل ذلك لا يقارن بمشكلة المسئول الكبير وكيفية استعادة رضاه مرة أخرى.. خضرة الحديقة تهدئ من خاطري بعض الشيء.

نظام الري في حديقتي يعمل بطريقتين.. الري بالرش والري بالتنقيط.. الأشجار على حواف الفيلا تمرتحتها خراطيم الري بالتنقيط والنجيلة تروي بالرش.. أصبحت مدمناً لرذاذ المياه، خاصة في الصباح أثناء فترة تناولي الإفطار في الحديقة.. سواء كان الموسم صيفاً أو شتاء.. المياه بالفعل تغسل الأبدان، إلا أنني لم أعثر حتى الآن على المادة التي تغسل القلوب.. لو أعرف أن لها مكاناً تنتج فيه أو بلد تصدره لذهبت إلى هناك. أحتاج أن أغسل قلبي من الإهانات التي لحقت بي. إهانات وقعت لا محالة.. قد يكون الجرنال الجديد وحبره الساخن هو المادة التي تزيل هذه الإهانات والنظرات واللمزات والغمزات. أول مرة أجلس في الحديقة على مقعد أمد قدمي عل المقعد المقابل. التليفون يرن.

– نجيب.. موعدنا الساعة الخامسة مساء.

– سأحضر معي ماكيت الجرنال وأسماء الطاقم الذي أرشحه لسيادتك للعمل معنا.

– أوكي.. كله الساعة الخامسة.

لا أرغب أن يفسد عليَ نجيب جمال الصباح أو يذكر لي في ثنايا حديثة ما يزعجني ويعكر صفوي.. أمامي يوم كامل من الاستمتاع بالهدوء.. بالنظر إلى الشجر.. بالتطلع إلى جوانا وأن أنظر من خلال السور الحديد إلى الدنيا واتساعها.. التليفون يرن.. المسئول إياه.. هل أرد عليه أو أتركه.. أنا في أشد الحاجة إليه ليتركني في حالي.. إذ كان لا يرغب في منع صبية الصحافة في تحريسي.. فإنه على الأقل يستطيع أن يتركني وشأني ولا يحيك ضدي المؤامرات. نعم سبني بأمي و"قل" أدبه.. وهددني ولكن لا أستطيع أن أرد عليه إهانته.

- صباح الخير يا باشا.. تليفونك لا يرد عليَ منذ زمن.

- صباح الخير وحمد الله على السلامة.. يا راجل رايح تشتكيني في البحرين.

- أنا مقدرش.. دا الكلام جاب بعضه.

- صاحبك اتصل بي من البحرين وأكيد أنت كنت عنده.. أوصاني عليك وأنا ماقدرش أقول له لأ.. مجبتليش هدية معاك من البحرين ولا حتى سبحه من السعودية.

يحاول إبلاغي بأنه يعرف خط سيري بالخطوة والدقيقة.

- ثمانية أيام بره مصر يا قاسي.. إزاي يجيلك قلب تسيب مصر المدة ده كلها.. المهم متكنش دعيت عليَ في السعودية.. ويا عم حليب يا قشطة.. وشوف شغلك الجديد.

- صافي يا لبن.

أغلقت السماعة وأنا بين مكذب ومصدق لهذا الحديث الودي، إلا أن أمثال هؤلاء عندما تحتقن العلاقات لا تعود إلى طبيعتها بسهولة والعلاقة معه لم تحتقن فقط، فأنا أعلم علم اليقين أنه وراء الحملة التي تشن ضدي.. ناهيك عن الإهانة والسباب.. لابد أن تعود العلاقات.. لن تكون مثلما كانت إلا أن استمرارها بأي شكل ضروري بالنسبة لي. ضروري لجرنالي الجديد.. ضروري لعدم تعرضي لمزيد من الإهانات.

سيد يقدم لي فاتورة.. صيانة السيارة الدورية. استغل فترة سفري إلى شرم الشيخ كما قلت له وأرسل السيارة إلى التوكيل.. استبدلوا تيل الفرامل وبعض السيور والمقعد الخلفي.. مقعدي.. استبدله بالكامل لأن السوست أصبحت ضعيفة والمقعد غير مريح.. قيمة الفاتورة ستة وعشرين ألف من الجنيهات.. لم أعلق.. ابتسمت.. سألني عن سر ابتسامتي.. أخبرته أن قيمة الفاتورة مفروض أن أدفعها من جيبي الخاص.. من حر مالي.. أنا رئيس مجلس إدارة سابق وقد انتهت أيام الخطف.. لم أكن في يومٍ من الأيام عبيطاً.. كل من أخذ مليما من المؤسسة وليس جنيهاً كان بعلمي ومزاجي.

- أنت عارف يا سيد موضوع السيارة اللادا بتاعة رئيس التحرير إياه.

- أيوه يا ريس.. عملوا لها ثلاث عمرات موتور في سنة واحدة.

- فاتورة العمرة الواحدة كانت عشرين ألف جنيه.

- حرامية يا ريس.

- لأ.. مش حرامية.. أنت اللي حرامي يا سيد، هم مسرقونيش.. سرقوا المؤسسة بمزاجي وأنت تحاول أن تسرقني يا سيد.

- الفاتورة لم تدفع يا ريس.. هذه صورة منها ومن الممكن أن تتأكد بنفسك يا ريس من التوكيل.

هو الوحيد الذي ما زال يناديني بـ "يا ريس" إلا أن كلمة يا ريس تلك التي مازالت تطربني لا تساوي الستة والعشرين ألف الذي يطلبها التوكيل: لا استطيع أن أفعل معه الآن ما فعلته في الجراج عندما كنت ريس بحق وحقيقي.. عند تقديم فاتورة العمرة الثالثة للسيارة اللادا.. سألتهم لماذا لم يذهبوا بها إلى هضبة المقطم ويسقطوها من هناك ويشترون سيارة لادا جديدة على الزيرو بستة وثلاثين ألف.. كان هذا سعرها في ذلك الحين.. وعندما نظر اللصوص إلى بعضهم البعض.. قلت لهم أنتم الذين تستحقون القذف بكم من فوق المقطم وقمت بتغيير كل قيادات الجراج.

يبدو أن المقعد والسلطة يجعلان صاحبهما فذ وعبقري ولماح وصاحب ومضة وعندما يسحبان من تحتــه يــصبح عبيطــاً، يضحك عليه السائق والخادم والبواب.. التخلص مــن ســيد السائق في هذا التوقيت قد يفتح جبهة جديدة.. قــد يــذهب بنفسه إلى الجرائد المعارضة وقد يقنعه البعض بكتابة مذكراتــه ويختارون له العنوان "كنت سائقاً لفاروق عــوض" ويحكــي ويقول.. الصبر.

– هنمر على التوكيل يا سيد وندفع الفاتورة بالفيزا كارت. عارف ليه؟ عشان الفلوس كلها تروح التوكيل ويبوظ تخطيطك يا سيد.

ضربت سيد مرة واحدة.. ضربته بقسوة.. أخذت أصــفعه وأركله دون عقل.. كنت سكران وخارج من الفنــدق قبــل الفجر مع محيي ربيعي صديقي. دخلت الــسيارة نظــرت إلى التابلوه.. محيي ربيعي اعطاني قبل النزول ثلاثة برشامات علــى شكل قطع الشيكولاته، وضعتهم على تابلوه السيارة قبل نزولي، عندما عدت وجدهما اثنين لا ثلاثة.. سألته عن الثالثة.. أنكر مشاهدتها له أو أنه أكلها.. أخذت أضرب فيه ومحيي ربيعي في حالة ذهول.. أمسك بي ومنعني من الاستمرار ووعدني بإحضار علبة كاملة.

– فاكر يا سيد لما ضربتك عشان الملبس ؟

- أيوه يا ريس.. ما كنتش شيكولاته.. بعد العلقة الساخنة وعندما عدت إلى الجماعة ظللت الليلة كلها أدعو لك!

- يا سيد أنا مش عاوز أضربك تاني!

نوم العصاري.. الشيء الوحيد الذي أدمنته منذ خروجي من الخدمة.. إلا أنه يجعلني بقية اليوم نشيطاً ويقظاً دون الحاجة إلى أدوية محيي ربيعي التي كان يوزعها علينا ويدعي أنها تأتيه من أمريكا خصيصاً.. ما يتم فعله في الصباح يعاد تكراره بعد العصر.. نفس الجلسة والمكان لا يتغير إلا لون السماء أو المشهد كما يقول بتوع السينما.. في الصبح.. المشهد صباحي مشمس.. بعد العصر يتدرج لون النهار إلى أن يصبح غروباً ثم ليلاً.. نجيب سيأتي الساعة الخامسة.. استبدلت جوانا الزجاجات والأكواب، ووضعت طبقاً مليئاً بالفواكه.. تموت جوانا في الأناناس.. تضعه أمامي دائماً.. لا أكله.. تأكله هي في النهاية.. ترى أن الأناناس غذاء وعلاج. عندهم في الفلبين هو والموز من أهم عناصر الحياة.

نجيب لا يتأخر ابداً عن موعده.. له خطوة غريبة أثناء السير وعندما يراني يسرع من خطواته ليجعلها أقرب إلى الهرولة كأنه نوع من الاهتمام والاحترام. أعرفه تماماً منذ أن جاءني للعمل في الجريدة، إلا أنني بعد خروجي من الخدمة اكتشفت أن معرفتي به ناقصة. جاء في موعده.. يحمل أوراقاً وملفات وكتب

وحقيبة. يحملهم بطريقة غير منظمة ليوهم من يراه أنه شخص مسئول ومشغول للغاية.. وضع الأشياء على المنضدة وجلس ليأخذ نفساً عميقاً.

- معايا ماكيت الجرنال الجديد.. وصورة المذكرة التي قدمتها للنقابة بشأن الشكوى وملف فيه كل ما كتب عن سيادتك وكشف فيه أسماء العاملين في الجرنال الجديد.. بعضهم أمضى معي الآن ما يقرب من شهرين و لم تصرف لهم مرتبات.

- أوكي.. هنشوف كل حاجة.

- أنت معاك كشف بأسماء الذين حضروا حفل المركب.

- نعم.. وأسماء الذين دعوهم ورفضوا الدعوة أو لم يحضروا.

أخرج الكشف من جيبه ووضعه أمامي.. أرغب أن أسمع منه رأيه في من لم يحضروا وما السبب وراء غيابهم.. أحيانا يكشف لي بعض ما غمض عني.. أريد أن أعرف سبب قلق الواد عبده سليم الذي كان يطنطن بأنني أستاذه ومربيه وكان على المركب مخطوف اللون زائغ العينين.

- تشرب قهوة يا نجيب.. جوانا إحنا عايزين قهوة.

جوانا تقف طوال الوقت عندما يكون لدي ضيوف تنتظر إشارة من اصبعي.. وعندما أكون وحدي تجلس أمامي..

تحركت جوانا بسرعة وحكى نجيب ما لم أتوقعه. أعرف أنـــه يكره عبده كراهية التحريم وربما تكون كراهيته له زادت بعدما أصبح عبده رئيساً للتحرير، إلا أن نجيب بما لديه من قـــدرات يستطيع أن يخفي مشاعره الحقيقية حتى عن نفـــسه. عبـــده في أزمة.. الكل يحاربه نقطة ضعفه زوجته والتي تحولت إلى حوت إعلانات كبير في الجرنال وتقتسم عمولات الإعلانـــات مـــع الصحفيين الآخرين ومن لا يمتثل لها، عبـــده ينقلـــه إلى وزارة أخرى. عبده وجد نفسه وحده.. لا دعم ولا مساندة.. الفريق المناوئ لي عندما كنت في الخدمة يرى أن عبـــده اســـتمراراً لي ومؤيديي أثناء الخدمة يرون أنه لا يستحق أن يجلس على هـــذا المقعد، بل بعضهم يرى أنه أحق منه ومنهم نجيب بـــالطبع.. في البداية كان يفتعل المشاكل مع رئيس مجلـــس الإدارة الجديـــدة إرضاء لي، إلا أن الهجوم عليه من الفريقين دفعه لإصلاح علاقته به، فهو في أشد الحاجة له لتمكينه من السيطرة على الجرنـــال وتوقيع العقاب على المناوئين أو تحويلهم للشئون القانونية..

اكتشف متأخراً أنني لن أنفعه، إلا أنه جاء الحفـــل مرغمـــاً حتى لا يقال عنه "قليل الأصل" وفي الوقت نفـــسه يخـــشى أن يتسرب خبر حضوره إلى رئيس مجلس الإدارة الجديد، فيتـــرك المناوئين له ينهشون عظامه ويهاجمونه في صحف المعارضـــة.. جاء الحفل خائفاً وغادره مذعوراً.. كلام جميل.. وتحليل جدير

بالاحترام.. أما الاثنان الآخران اللذان رفضا الـدعوة، فلـهما أسباهما في رأي نجيب. استفادا بالفعل أثناء وجودي، إلا أهما لم يستطعا نسيان الإهانات المستمرة.. شيخ منهما جددت لـه عقده أكثر من مرة بعد بلوغه سن المعاش وقبل خروجه صنعت فيه معروفاً بمنحة علاوة ثلاثمائة جنيها مرة واحدة، سـاعدته في الحصول على ما يقرب من أربعين ألف جنيهـا زيـادة مـن صندوق الزمالة، إلا أنني أعرف أنه واطيين.. كان يقسم أنه لا يقرب الخمر، إلا أنه شرب وسكر ذات مرة إكراماً لي! وعرف الويسكي وكان يسأل عن الجوني واكر بالذات وهو أول مـن ترجمه إلى العربية.. أطلق على الجوني واكر اسم "حنا المـشاء". كان يختار لي الآية القرآنية التي أزين بها مقالي والآن يفعل نفس الشيء مع الواد عبده.

الآخر كان له طلب لم ألبّه، كان يرغب في إلحاق ابنه بكلية الشرطة.. لطعته ساعات ينتظرني في الـسكرتارية.. نـسيته.. عندما خرجت.. سألته عما يريد أبلغني بطلبه.. سـألته عـن وظيفته والده.. في الحقيقة أعلم.. أوضح أن والده كان يعمـل في وزارة الداخلية. سخر منه من حولي وتساءلوا.. هل كـان أبوه لواء؟ واستكمل الآخر.. أن أباه كـان خفـيراً وضـحوا بالضحك.. لم يستطع أن ينسى هذه الإهانة.. حـاول ردهـا إلي.. عندما رفض الدعوة التي قدمها له نجيب.. أعرف تماماً أنني

كنت أرؤس مجموعة من الواطيين.. كنت أجيد التعامل معهم.. أعامل كل منهم بما يستحق.. كنت في السلطة.. الآن.. اختلفت الأمور.

حكى لي نجيب عن الصدى الذي أحدثه اجتماع المركب وإعلان البعض لرغبته في التعامل مع جرنالي الجديد والتعامل معي وهجوم البعض الأخر على الجرنال قبل ظهوره وتوقع فشله. اقترح نجيب أن أضم لأسرة الجرنال الجديد بعض من عملوا معي وذكر أسماء، موضحاً أن استقطابهم للعمل معنا، سيمنعهم من الانضمام لمن يهاجموني شخصياً.. اقتراح وجيه. تطرق إلى العاملين الجدد بالجريدة والمرتبات المتوقع دفعها لهم.

– شوف يا نجيب.. أنا مش عاوز حد من حارة أو من الفلاحين يشتغل عندي.. مش عاوز حد من بيئة واطيينة.

اقترحت عليه أن يقدم للصحفيين الجدد استمارة توظيف جيدة. مثل استمارات الشركات الأجنبية. فيها العنوان ووظيفة الأب وعدد الأخوات ونوع التعليم وأسماء المدارس والمرتب المتوقع ومن هذه الاستمارات يمكن استبعاد ما لا نرغب في تشغيله معنا. اقترحت عليه الاستفادة من فريقي السابق في البحث والتحري عن المحررين.

استبعد نجيب هذا الاقتراح بأدب شديد، موضحاً أن هـــذا الفريق قد فشل من قبل. فريقي أثناء الخدمة.. فريق التحدي.. كان مكوناً من ثلاثة من المحررين القدامى.. كانـــت مهمتـــهم معرفة الأصول الاجتماعية والوضع الاقتصادي للمحررين الجدد قبل إصدار قرار تعينهم. يجرون عليهم التحريات ويـــزورهم في منازلهم. يحاولون التقصي إذا كان لهم أقـــارب ذي حيثيـــة أو مقطوعين من شجرة وهناك ثلاثة درجات من التقييم لا اسمـــع غيرها وهي: غلبان أو مستور أو كفران.. لكل واحد من هؤلاء وظيفة ومهمة واستطيع تشغيلهم بما أمامي من معلومات عنهم.. لم يفشل فريقى هذا إلا مرتين. المرة الأولى لم أعلم بفشلهم إلا بعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً.

دب في قلبي الشك من محرر غريب الأطوار، بدءاً من المؤهل الذي يحمله والحاصل عليه من جامعة الإســـكندرية إلى رفـــضه العرض الذي تقدمت إليه به للزواج من سكرتيرتي الأولى هيام.. رفض أن يتزوجها.. فصلته ثم أعدته إلى العمل وقـــدمت إليـــه نفس العرض.. قدمت له الكثير من الإغراءات.. شـــقة مؤثثـــة وتعديل مرتب.. رفض.. أرسلت فريق إلى الإســـكندرية.. إلى الجامعة.. اعادوا وأكدوا لي أنه حاصل على مؤهل من هنـــاك وأنهم تأكدوا بأنفسهم من شئون الطلبة.. بعد سنوات وبمحض الصدفة انكشف المستور لم يكن المحرر الذي يحمل اسم شعبان

هو شعبان، بل انتحل اسم أخيه واستعار شـهادات أخيـه وتم تعيينه في المؤسسة.. خوفاً من الفضيحة طلبـت منـه تقـديم استقالته بهدوء وليذهب إلى حال سبيله. فشلوا أيضاً في التحري عن البت السكرتيرة التي أهداها لي صديقي محيي ربيعي، سرقت حقيبتي ولهفت الدولارات.

- كل ما يهمني ألا يكون للمحـررين الجـدد أي علاقـة بصحف المعارضة وألا تكون لهم انتماءات سياسية.

- مفهوم يا ريس.. لا داعي لفريق التحري.. أنـا عـارف شغلي كويس.

نجيب هذا كان يقود فريقاً أخر من فرقي داخـل المؤسـسة وهو فريق التأكد من الانتماءات السياسية ومـن يحـضر مـن محرري المؤسسة المؤتمرات التي تعقدها الأحزاب أو غيرها.. كان هناك ما لا يستطيع تصنيفه من الصحفيين. سلوكه يبدو معارضاً ولكن لا تعلم إلى من ينتمي.. كانت فكرة نجيـب جهنميـة. اقترح سرقة أجندات تليفوناهم.. فتحوا المكاتـب والأدراج.. وعرف من الأسماء المدونة في الأجندات علاقـات المحـررين.. أسماء مصادرهم.. أسماء أصدقائهم وتليفوناهم.. أسماء أقـاربهم وتحول بعد ذلك من سرق الأجندات إلى سـرقة التليفونـات عندما ظهرت التليفونات المحمولة.. نجيب يرغب العمل علـى مياه بيضاء بلغة المقاهي.. لا يريد أن يعمل معه أحد من لاعـبي الفرق القديمة.

أخرج ملفاته.. منها ملف يحتوي على قصاصات صحف ومجلات بها موضوعات أو تحقيقات هاجمتني. أبلغني أن النقابة ومجلسها لم ينظر في مذكرتي المقدمة. أجل مناقشتها إلى الاجتماع القادم ونقلني فجأة إلى بعض الأسماء التي لم تشارك في حفل المركب. يريد سماع رأي و لم يعد لي رأيي أهمية.. فأنا لم أعد فاروق عوض الذي كان يرهب الصحفيين ورأيي لن يقدم أو يؤخر.. كانت المجموعة التي تنتظرني أمام بوابة المؤسسة أو على مدخل المصعد تلعق وجهي بعيونها.. إذا ابتسمت لشخص ومددت يدي لتحيته.. اقترب منه كل الناس.. إذا كشرت في وجه شخص، حلت عليه لعنتي.. ابتعد عنه كل الناس.. إذا ألقي عليهم بتحية لا يردوها، كنت أنا بوصلة العلاقات داخل المؤسسة.. الآن أصبحت ملطشة "لشوية عيال واطيين".

– لا تهتم بمن جاء ومن رفض المجئ.

– يا ريس.. عيال قليلة الأصل.

كان الكل يخاطبني بما يطربني ويردد مفرداتي إذا قلت على محرر.. "الواد" فلان.. لا يحدثني عنه أحد إلا بكلمة الواد.. ولو قلت "عيل" يصبح لقبه. ذكرني بالواد الذي كان من ضمن مهامه القومية إحضار خراف العيد لي من وزارة الزراعة.. يتسلمهم قبل العيد بعشرة أيام ويأتي بهم إلى منزلي صبيحة

العيد.. سأله ذات مرة صحفي تحت التمرين.. أين يضع هـــذه الخراف الثلاثة وهو يقيم في شقة ضيقة من حجرتين.. أخبره أنه يرسل زوجته إلى البلد وينام هو والخراف علـــى الـــسرير. دى خرفان رئيس مجلس الإدارة يا حمار أصبح الآن من الأثرياء.. لم يعد في حاجة إلي.. يحتاج أكثر لرئيس التحرير الجديد ورئـــيس مجلس الإدارة الجديد.

- العيال الجديدة بتطالب برواتبها يا ريس.

- أطردهم كلهم وأبحث عن محررين جدد بالمواصفات التي قلت عليها.

- هيروحوا يشتكونا في النقابة.

- صدر المشاكل إلى النقابة.. وهي لا بتحل ولا تربط.

أزعجني نجيب بحواره ومطالبه ودخوله موضوع وخروجـــه إلى موضوع أخر.. أنقذني منه رنـــين التليفـــون.. شـــوكت المحامي.. يريدني في أمر هام.. التليفون لا يفيد.. يسال أين أنـــا الآن.. في التجمع الخامس.. صرفت نجيب.. أجلنا الحـــديث في بقية الموضوعات إلى وقت آخر وصرفته.. ناديت على جوانا.. طلبت منها إعداد عشاء ولوازمه.. سيحضر الأستاذ شـــوكت المحامي وسنسهر سوياً.

- انقلي القعدة إلى حجرة مكتبي.

- أوكي.. ماشي.

منذ فترة لم أدخل حجرة المكتب. مكتب كبير وأرفف كثيرة.. عليها من الكتب الأجنبية والعربية ما لم ألمسه أو أحاول معرفة ما فيه.. كتب مجلدة تجليداً فخماً، بعضها بالجلد الطبيعي ومذهبه الحواف.. مجموعة من الكتب الدينية في التفسير والمعاملات.. كتب أدبية وروايات عربي وأفرنجي.. في المكتبة وعلى أرففها بعض الدروع التي حصلت عليها.. وعلى الحوائط شهادات في أطر خشبية كنت قد حصلت عليها من قبل.. جائزة أحسن كتاب للعام.. جائزة جمعية الإرادة والترقي.. الحجرة أشبه بمعرض صغير.. في الركن صالون.. أربع مقاعد صغيرة لويس.. لويس رقم "كام" لا أعرف بالتحديد.. دخلت الحجرة نظرت إليها نظرة شاملة وأخرجت من درج المكتب علبة سيجار كوبي فاخر مغلقة.. سأترك شوكت يفض غطاءها بنفسه.. ترولِّلي صغير حركته إلى جانب الصالون، ستعد عليه جوانا لوازم جلسة الليلة.. بلاك ليبل.. جوني واكر.. اسكوتش ويسكي.. لم أعد اتذكر النوع الذي يفضله شوكت، منذ مدة ولم نسهر معاً ولم نشرب معاً.

عندما يشعر سيد السائق أنني في انتظار ضيف يعلم أنه لن يسهر معي في تلك الليلة وأنه سيغادر مبكراً.. يظل يلف ويدور داخل الفيلا وخارجها إلى أن أصدر له الأمر بالانصراف. الغيرة

تنتاب سيد عندما يصل ضيف.. سيقضي الليل بلا شراب وإذا شرب لن يشرب الماء النظيف الذي يتغزل فيه كل ليلة.. سيمر على أي محل خمور وهو في طريقة عودته ليشتري زجاجة لنفسه.. لن تزيد عن براندي ٨٤ والذي يطلق عليها اسم "خربت بيتي بأيدي".

- عندي ضيف الليلة يا سيد.. من الممكن أن تغادر.. مر على جوانا في المطبخ.. هناك نصف زجاجة ويسكي في انتظارك.

- يعمر بيتك وتزور النبي كمان مرة ويهديلك جوانا.

يتبسط سيد في الحديث أحيانا إلا أن نظرة ثابتة مني تجعله يدرك أنه تجاوز.. يعتذر ثم ينصرف. شوكت لا يأتي في موعده ابداً، يحب أن ينتظره الناس وتتعلق أنظارهم بالباب الذي سيدخل منه.. قالها ذات مرة مؤكداً أنه لم يتأخر طوال حياته أو يتخلف عن جلسه.. ويدخل قبل النطق برقم القضية في الرول بعدة ثوان بعد أن تكون قلوب منتظريه قد سقطت.. أسلوب محامين! يدخل لتتعلق به الأنظار.. لا أعلم أين تتعلق بالضبط وطوله يزيد عن مترين.

جاء مهللاً فرحاً وكأنه حصل لي على البراءة. كنت أنتظره في الحديقة أخذته من يده إلى حجرة المكتب.. تسير أمامنا

جوانا وعيناه مثبتة على ظهرها.. إلى عمودها الفقري.. من أعلى إلى أسفل يبدو أنه يحصى عدد الفقرات ويتخيل أين تنتهي. أول مرة يزورني شوكت في الفيلا.. أبدي إعجابه بها وأثنى على سور الفيلا الذي قال عنه أنه قطعة فنية أنتجه فنان وليس حداد.. مر على السجادة في البهو.. سأل إذا كانت من الحرير الخالص أو من الصوف المخلوط بالأكليرك.. لا يفوته شيئاً. في حجرة المكتب بدأ ينظر إلى المكتب ويسأل عما قرأته منها.. وقف عند كتاب يحمل اسمي كمؤلف.. سألني من ألفه وضحك!.. أشارت له جوانا إلى الجلوس وانصرفت. سألني عن إمكانية أن أعيره جوانا لعدة أيام أو عدة شهور أو عدة سنوات.

- تدفع فيها كام.

- وأنت كنت دفعت.. دي هدية محيي ربيعي!

- دفعت دم قلبي على إيدك.. دفعت الخمسين ألف دولار اللي سرقتهم السكرتيرة إللي كان محيي ربيعي برضه أهداها لي.

يبدو أن شوكت قد بدأ الشرب في مكتبه قبل الحضور إلَي.. مزاجه مرتفع.. عندما يشرب يصبح خفيف الدم والظل وليس شوكت المحامي الذي يعرفه الناس، المتجهم دائماً والذي لا يتحدث إلا بالقانون ونصوصه.. الوضع يختلف عندما يشرب.. يصبح مسخرة .. بدأ الشرب معي. يقول عن نفسه أنه لا يكتب المذكرات القانونية إلا بعد أن يشرب حتى الثمالة وتخرج

المذكرات عال العال وبدون الخمور بأنواعها المختلفة لأغلق مكتبه منذ زمن وهرب منه الزبائن.

يدخل شوكت في الموضوعات مباشرة دون مقدمات. سبب زيارته لي أن ما يريد أن يقوله لا يصلح في التليفونات.. التليفونات كلها مراقبة.. خاصة تليفونات عليه القوم والقضاة وبعض الصحفيين والمشبوهين بالطبع.. ووزير الداخلية أعلنها واضحة وصريحة "اللي يخاف ميتكلمش".. أنا لا أعجبه في إدارة الحملة المشينة ضدي، كما أن معالجتي للأمور تتسم بالصبيانية.

- الكلام إللي قلته على المركب مكنش له لازمة. كل القنوات مفتوحة على بعضها.. يعرف ما قلته بالحرف الواحد ويعاتبني أنني لم استشره، فأنا موكله وصديقه لمدة تزيد عن خمسة وعشرين عاماً وما بين الوكالة والصداقة مصالح مشتركة كثيرة.. لا أعلم أين يدلق شوكت الكؤوس التي يتجرعها.. إلا أن الشرب يزيده تألقاً وأنا في أشد الحاجة للاستماع إليه وإلى مشورته. ناديت على جوانا للجلوس معنا.. سألتها عن المدام.. ستبيت ليلتها في ٦ أكتوبر.. خير يا ريت تقعد هناك لآخر السنة.. يضحك شوكت ويربت على كتف جوانا ويجلسها أمامه. الليلة الخميس.. لا محاكم غداً من الممكن أن يقضي شوكت معي أطول مدة.. أخبرني أنه لم يعد يذهب إلى

المقهى.. المكان أصبح مشبوهاً ومرصوداً والشلة ليست فوق الشبهات.

واحد منهم هرب من كمين في مصر الجديدة.. صاحب محلات ورجل أعمال.. الشرطة تراقبه.. مكافحة المخدرات.. تعلم أنه تاجر كبير.. ليس له ملف عندهم إلا أن البودرة التي أغرقت البلد لا تدخل إلا عن طريقه.. في مصر الجديدة كمنوا له.. لديهم أخبارية بأنه سيقوم بتسليم كمية من البودرة.. يقوم بالتسليم والتسلم وحده.. هذه العملية بالذات لا يساعده فيها أحد.. شعر بالكمين.. هرب.. جرى بسيارته الحديثة.. يعرف الخرائط الأمنية جيداً.. لم تستطع الشرطة أن تطلق رصاصة واحدة على سيارته.. القى بكيسين من البوردة وهرب ورجال الشرطة يتحسرون ويلعنون إدارتهم وأدواتهم.. هم في سيارات خردة والبيه في سيارة حديثة بمحرك ستة عشرة صماماً.

صاحبنا الثاني ألقى عليه القبض في المطار أثناء محاولة تهريبه لأكثر من نصف مليون قرص فياجراً.. كان من المفروض أن يخرج له الحقيبة الواد بتاعي اللي في المطار، إلا أنه تخلى عنه أو خانه أو اختلف حول المبلغ المطلوب دفعه لتسليك البضاعة.. أبلغ عنه.. رفض التصالح مع الجمارك ودفع الضريبة وإعادة تصدير الفياجرا.. أصر على أن الكمية لاستخدامه الشخصي ويشرب شوكت ويضحك قائلاً.

- كلنا عارفين إنه ملهوش في الحريم !

ويرمي بالكأس في جوفه وتصب له جوانا كأساً أخراً.. المقهى أصبح بالفعل مشبوهاً ومجموعة الأصدقاء تلك لابد من البعد عنهم وتوقف شوكت عن الشرب وطلب أن أنصت إليه، فالأمور جد خطيرة والكل مرعوب ولا يعرف مصدر الرعب الحقيقي.

- سفرك إلى البحرين كان له مردوده الإيجابي. سمعت بنفسي الوعد بأن لا يمسك أحد بسوء.

الحملة المثارة ضدي في الصحف سببها الرئيسي في رأي شوكت رأس الأفعى رئيس مجلس إدارة مؤسستي الجديد.. ينام.. ينام ويصحو.. يخبط مقالاً بالأرقام والمستندات باتهامي بالفساد وتسير وراءه بقية الصحف ويشاركونه في الحملة بعض رجالي السابقين الذين اكتشفوا أنني قسمت التركة دون وضعهم في الحسبان.. رقيت البعض وعينت آخرين رؤساء تحرير وخرجوا هم من المولد بل حمص وتحولت الأسرار التي عرفوها من قربهم مني إلى سهام ورصاص يوزعونه بالتساوي على الصحف الخضراء والصفراء لقتلي.

- أنت كان معاك يا فاروق شوية مرتزقة وأخطر شيء أن يترك المرتزق بلا عمل.. يعمل لحساب أي شخص يدفع. عليك بتجميع هؤلاء المرتزقة مرة أخرى في جريدتك الجديدة وأن

تغدق عليهم. نعم.. هناك من قفز من المركب ولحق بسفينة رئيس مجلس الإدارة الجديد.. السفينة التي يرونها أكثر أمناً.. إلا أنهم لا يتمتعون بأية مصداقية في أوساط زملائهم أو حتى لدى رئيس مجلس الإدارة الجديد الذي قد يستخدمهم لبعض الوقت ثم يلقي بهم كأوراق الكلينكس. بعض من انضموا إلى الرجل الجديد يتمتعون باحترام زملائهم وهو يستخدمهم بذكاء شديد. يسرب إليهم الأخبار عن الفساد السابق ويبث بينهم همومه وأنه عندما يحاول إزالة طبقة من الفساد والمفسدين يجد اسفلها طبقات من العفن وأن أمامه عامين على الأكثر، يحاول خلالهما بما يرضي الله أن يضع لبنة قوية ونظيفة داخل المؤسسة. لابد من تنظيم صفوفك يا فاروق وتركيز هجومك على رأس الأفعى.

أفكر في ذلك بالفعل. سأحاول تجميع الذين مازالوا معي وأدفعهم إلى الاحتجاج والتظاهر داخل المؤسسة وخارجها وأن يتقدموا بمذكرات إلى نقابة الصحفيين، حول وعوده التي قطعها على نفسه برفع الظلم الذي لم يرفعه وتعديل المرتبات التي قال عنها ثم تراجع بحجة أن ظروف المؤسسة المالية لا تسمح وليكثر الحديث عن مكافآت أعضاء مجلس الإدارة ومكافآته هو

شخصياً والبدلات التي يحصل عليها وموافقته على رفع مرتبات رؤساء التحرير بينما يقترض الصحفيون الصغار من الأسبوع الأول لاستكمال تكاليف معيشة الشهر.. إشارة مني قد تعيد بعض المرتزقة طبقاً لوصف شوكت.. إشارة مني قد تجذبهم.. خبر صغير يحمله نجيب إلى الجريدة مفاده أن من يعمل معي في الجرنال الجديد سيحصل على مكافأة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة آلاف جنيهاً في الشهر.. أقوم بتشغيلهم شهر أو أكثر.. يقومون خلال هذا الشهر بتنفيذ ما يطلب منهم ثم استغنى عن خدماتهم بسبب الظروف المالية القاسية للجرنال!

جوانا مثل الأوربيات لا ترتدي حماله صدر وتختار ملابسها من الأقمشة الرقيقة. مد شوكت يده إليها وسألها باللغة الإنجليزية إذا كانت لا تشعر بالبرد أو أن لحم الكلاب يمدها بالدفء والحرارة.. ابتسمت.. أبعدت صدرها عن مرمى أنامل شوكت. أما حكاية أكل الكلاب هذه فقد سألت عنها جوانا من قبل ونفت أنها من أكلة لحوم الكلاب رغم شهرتها في الفلبين، إلا أنها أقرت بفائدة لحم الكلاب للرئتين. عندما جاءتني أول مرة شغلني تحذير عمي ربيعي من أن الأسيويين في غاية الشراسة وإلا انخدع في نعومة ملمسهن وشغلتني قضية أكل الكلاب وفكرت في شفتي جوانا وكيف تقطم بهما لحم الكلاب.. كانت ليلة قضيناها كلها في الحديث عن الكلاب

والفلبين وكيف يتم اصطياد الكلاب. ضربة واحدة على رأس الكلب ويخر صريعاً وكيف يتم تجهيزه للشواء والمدة التي يتم نقعه في السفن آب أو في النبيذ قبل أن يحمل على سيخ دوار وتشعل تحته النيران.

ثقافات وشعوب لا يهتم بها شوكت بل يركز نشاطه واهتمامه على الحركات النسائية والإشارات الموحية.. يسألني ماذا أفعل مع جوانا ويضحك.. يؤكد أنني في حاجة أن أنقل الفيلا من التجمع الخامس إلى جوار مصنع فايزر ثم يدخل في الجد. يتحدث عن كيفية تنظيم أو إعادة تنظيم الصفوف، يطلب ألا أستخدم الجرنال الجديد في الهجوم على رئيس مجلس إدارتي الجديد، بل أتركه للعيال. ينصح بألا أهدد في أحاديثي بالهجوم على أحد. ويميل على أذني ويطلب مني أن ابتعد عدة أيام عن جوانا.. عندما يسكر شوكت يصبح مسخرة. وضع الكأس على المنضدة بطريقة مسرحية ووقف رافعاً إبهامه إلى السقف.

- صديقي.. الأيام القادمة سيئة.

أكد لي أن الحملات ضدي لن تنتهي وأن الحكومة قد تضطر تحت الضغوط إلى تقديمي وأمثالي مرة ومرات إلى النائب العام للتحقيق في البلاغات التي تقدم ضدي وعليَ بالهدوء والسكينة وأن تكون إجاباتي بقدر الأسئلة.. واضحة ومحددة..

كل اتهام يثار ضدي أو حتى مخالفة، أجيب عليها بكلمة واحدة "لم يحدث". لا أستخدم في إجاباتي ثلاثة كلمات وهي "أعتقد" و"أظن" و"ربما".. هذه الكلمات الثلاثة القليلة في حروفها تفتح أبواب جهنم.. الناس تدخل النار باعتقاداتها الخاطئة وتلقـــي في الدرك الأسفل بظنونها الآثمة.. أما ربما، فربما تبـــدل جلـــودهم بغيرها ليستمر العذاب.

في التحقيقات يجب أن أكون كما يقول شوكت هادئاً.. إذا كنت اتناول عقاراً للتهدئة والاسترخاء يجب أن يكون معـــي.. والأهم ألا أبدو عدوانياً تجاه المحققين، فهم في البداية والنهايـــة موظفين حكوميين.. أخذ يشرح ويسهب في الـــشرح حـــول المدارس العالمية المختلفة في كيفية الحفاظ على الأسرار وعـــدم البوح بها. قراءات شوكت كثيرة ومتنوعة.. أنا لم أكمل قراءة كتاب في حياتي و لم أجلس أمام فيلم في التليفزيـــون إلى نهايتـــه وطوال السنوات الماضية كنـــت لا أنـــصت علـــى الإطـــلاق لمحدثيني.. أنا كنت المتحدث الوحيد وعلى الباقي الاستماع.

من الممكن أن تكون ظريفاً ومسلياً وممتعاً وتتحدث عـــدة ساعات أو تجيب على عشرات الأسئلة دون أن تنطق بمعلومـــة واحدة تنفع خصمك أو فريق التحقيق.. هذه هـــي المدرســـة الأمريكية.. وهناك مدرسة أخرى مملة وكئيبة ترفع شـــعار لا.. لا أعرف .. لا أعلم أنا لست من هناك.. لم أسمـــع.. وهـــي

المدرسة اليابانية. يحكي شوكت عما قرأه.. هناك عاملان يعملان في مصنع سوني في أمريكا.. أحدهم ياباني والثاني أمريكي.. جلس مع كل منهم وعلى حده موظف من الإدارة أثناء تناولهما طعام الغداء في مطعم الشركة، يحاول أن يعرف مدى التزامهما بتعليمات أمن وسلامة الأفراد والمؤسسات والتي تدرس في دورات تدريبية لكافة العاملين على مختلف المستويات.

الياباني سئل عن عدد التليفزيونات التي ينتجها المصنع سنوياً.. لا يعلم.. سئل عن نوعية التليفزيونات وأحجامها.. قال لا يعرف.. سئل عن النوعية التي يقوم بتجميعها.. قال التليفزيون ١٤ بوصة.. الجلسة معه مملة.. توقف عن الطعام ليجاوب على الأسئلة التافهة بهذه الطريقة البلهاء. الأمريكي في رأي شوكت أجمل وأرقى وأكثر دفئاً في حديثه وتعامله مع محدثه.. لم يتوقف عن الأكل وأجاب نفس إجابات الياباني ولكن بطريقة مختلفة.. عندما سئل عن التليفزيونات التي ينتجها المصنع وهل هي ألوان أو أبيض وأسود. أشار إلى إعجابه بالتليفزيونات القديمة الأبيض والأسود وأنه في حالة شجار دائمة مع زوجته لأنه يفضل التليفزيون الأبيض والأسود.. أما عن عدد التليفزيونات التي ينتجها المصنع سنوياً، تحدث أن لديه في المترل جهازين.. جهازه وجهاز زوجته وعندما سئل عن أحجام التليفزيونات قال أنه يفضل الصغير الحجم الذي يمكن وضعه في

أي مكان و لم يتوقــف عــن الطعــام وتوزيــع الــضحكات والابتسامات على كل من حوله.

فهمت يا شوكت.. تريدني أن أكون مثل الأمريكي أجاوب ولا أجاوب وانتقل شوكت إلى النقطة الأكثر أهميــة والــتي لا أعرف كيف غابت عن ذهني رغم معرفتي بأن كــل القنــوات مفتوحة على بعضها. المحققون يحكــون لــبعض مــصادرهم وأصدقائهم عن الوضع النفسي أثناء التحقيــق ولا تنــسى أن خصومك يرغبون في مشاهدتك فيديو. كيف يتصبب العــرق من جبينك.. كيف ترمش عيناك.. كيف ترتعش يداك.. كلامه مضبوط.

– أنت عندك معلومات يــا شــوكت إن في حاجــة.. في الطريق.؟

– مش معلومات.. تكهنات.. الحكومة مزنوقة.. صــحف تتحدث عن فساد بالمليارات.. مظاهرات في الشوارع.. وقضاة لأول مرة يتظاهرون في تاريخ مصر وأساتذة جامعات يحتجون وعمال يعتصمون.. الحكومة مزنوقة وأنتم يا رؤســاء مجــالس الإدارات السابقين.. الحيطة المايلة.

كلامه صح.. نحن لا يدافع عنا أحد، بل أصبحنا هدفاً ثابتاً كما يقول العسكريون لكل من هب ودب. التحقيق معنا قــد يمتص بعض الغضب الثائر في الشوارع والمصانع والجامعات.

- من بكرة يا فاروق تروح جرنالك الجديد وتبدأ شـــغلك وتسيب لي جوانا.. نهض مترنحاً.. أسند نفسه علـــى جوانـــا.. احتضنني وطبع قبلة على يد جوانا.. ورحل.

* * *

الليالي الصعبة

لم أستطع الصعود إلى غرفتي، نمت ليلتي في حجرة المكتــب ومعي جوانا.. انتابتني حالة من البكاء المستمر أزعجت جوانــا التي لم تفهم ما دار من حديث بيني وبين شــوكت. معرفتــها باللغة العربية لا تمكنها من متابعة مثل هذه الأحاديث.. حاولت قدر استطاعتها أن تخرجني من حالتي تلك.. قالت أنني محمــوم وأنهم في الفلبين يتعاملون مع حالتي ببساطة. طلبت مني خلــع ملابسي كلها.. استجبت لها كطفل.. طلبت أن أنام على بطني أولاً.. ثم ظهري.. أخذت تدلكني بقطعة قطن مبللة بالبراندي.. في بلدتنا عندما كان يصاب طفل بالحمى كانوا يدلكون جسمه ورأسه بالخل والكحول. غطتني بملاءة سرير.. تركتني.. جلست على مقعد منخفض بجانبي.. غفوت ثم صحوت.. أخــذتني إلى الحمام.. دش بارد في عز الشتاء .. تصتك أسناني مــن شــدة البرد. تطلب مني التحمل عدة دقائق أخرى تحت المــاء.. ليلــة صعبة.. تركتني أنام حتى الصباح على الكنبة الكبيرة المواجهــة للمكتب.

شعوب غريبة.. لديها اطعمتــها ومــشروباتها وأســاليب علاجها.. رغم الحمام إلا أنني أشم رائحة البراندي الفواحــة..

استخدمت أنواعاً مختلفة من العطور لعل وعسى تقهر رائحة البراندي.. صعدت إلى حجرتي ولبست ملابسي ونزلت إلى الحديقة.. الطقس العادي اليومي الذي أمارسه.. إلا أن جوانا لم تحضر عصائر أو فطور.. كوب كبير من القهوة.. قالت أنها ستنعشني وبعدها قدمت العصائر والفطور. الوجه الأول كل صباح وجه جوانا.. والوجه الثاني، وجه سيد السائق، معه كومة من الجرائد.. ألقى التحية.. وألقى الجرائد على المنضدة وانصرف. جلست جوانا أمامي تتصفح تقاطيع وجهي.

- إمبارح كنت تعبان.. تبكي.. مريض.. فيه مشاكل روح فلبين.. تخلص مشاكل تيجي مصر.

جوانا لا تفهم تعقيدات الموقف. الهروب لن يحل المشكلة والاستمرار في مصر قد ينتهي بالسجن رغم تأكيدات شوكت المحامي أن ليس هناك دليل إدانة واحد يمكن أن يزج بي إليه. ما لا يفهمه شوكت أو أنه يتغابى، أنهم ليسوا في حاجة إلى أدلة إدانة.. شهود يحضرونهم أمام المحكمة ويقسمون وأجد نفسي في السجن مع خليل. شوكت نفسه قال لي من قبل أن قضية خليل "فشنك".. لا أدلة أو مستندات تدينه.. وشهادات الشهود مجروحة وخليل الذي عاش حياته في سلك القضاء كان

يعلم ذلك تماماً.. إلا أنه أنهار عند النطق بالحكم.. سبع سنوات مع الشغل.

لا أستطيع أن أتخيل أنني أعيش ليوم واحد في زنزانة.. سواء كنت وحدي أو مع سجناء آخرين.. صورة خليل لم تفارقني هذا الصباح.. هذا اليوم رأيت ثلاثة وجوه.. جوانا وسيد وخليل. أتصل بي نجيب وسألني إذا كنت سأحضر اليوم الاجتماع مع فريق العمل أم لا.؟ أخبرته أنني سأكون في الجريدة بعد الثانية ظهراً.. إلى المهندسين.. إلى الجريدة.. مجموعة من الشباب الجدد أراهم لأول مرة ومجموعة منتقاة من جريدتي القديمة جاء بهم نجيب بناء على نصيحتي لمهام خاصة. سألته إن كان قد دقق في انتماءات الشباب الجدد السياسية.. أخبرني أنه تخلص مما ظن أن له انتماءات وأنه وزع استمارات توظيف جديدة كما أمرته.. وأنه سيعيد فحص هذه الاستمارات مرة أخرى.. لن يعمل في جريدة المهندسين من يسكن في حارة أو قادم من ريف.. الاختيار يجب أن يكون على "الفرازة".

طلبت منه البحث عن ثلاثة محررين، ليقوم كل واحد منهم بإجراء حديث مع أهم زعماء الأحزاب الذين يصرون على أنهم مازالوا يمثلون المعارضة.. الوفد والتجمع والناصري، على أن يتم اختيار هؤلاء المحررين بدقة. جاء بثلاثة، أدخلهم حجرتي ووقف وراءهم كما كان يفعل في جرنالي القديم.. كل واحد منهم

يؤكد أن له علاقة وثيقة بالحزب الذي سيجرى مع رئيسه حواراً.. طلبت منهم الانتظار خارج المكتب.. طلبت من نجيب طردهم في الحال من الجريدة.. وبخته على فشله في كشف الانتماءات السياسية وذكرته بضرورة إعادة تدريب كلاب الكشف على المخدرات من وقت لآخر حتى لا تموت لديهم حاسة الشم.. فهم قصدي وأعرب عن أسفه لعدم قدرته على كشف هؤلاء العيال.

صورة خليل والزنزانة و"البرش" لا تغيب عن مخيلتي.. أعرف أن في سجن مزرعة طره عنبر للمستشارين وعنبر للباشاوات، رجال الشرطة الذين يقضون فترة عقوبة لجرائم ارتكبوها أو لم يرتكبوها، إلا أن السجن سجن حتى ولو كان داخل منزلي في التجمع الخامس. أنا لم أطق رؤية السور الأسمنتي المرتفع.. دفعت آلاف الجنيهات لأزيله.. كيف سأطيق السجن؟ الوعد الذي قطعه المسئول الكبير لصديقي البحريني.. هل سيلتزم به أو سيدعي أن القضاء مستقل لا سلطان لأحد عليه؟ أنا لو ظللت في هذه الدائرة سأموت دون سجن ودون تحقيقات ودون محاكمة.

عملي سأمارسه وبنفس القوة.. فاروق عوض لن ينكسر.. عرض عليَّ نجيب الأعداد الزيرو للجريدة.. ترويسه جيدة وتبويب أكثر من ممتاز.. الأعمدة ساخنة.. الخط التحريري كما

قلت خليط من الجرائد الحكومية وجرائد المعارضة.. موضوعات تهم رجل الشارع العادي.. عمود المذيعة وصورها "منور" الصفحة، تتحدث فيه عن الزواج والخيانة.. أريدها أن تكتب في هذا الموضوع دون سواه وليقرأ لها زوجها السابق، المسئول الكبير الحالي.. عمود آخر يهاجم رئيس الوزراء وبعنف، لو تقدم به محرر في جرنالي القديم كنت فصلته لجرأته.. الأعمدة مطلوبة.. الخلط الآن مطلوب.

خبر عن الإخوان المسلمين ومحاكمات قياداتهم أمام المحاكم العسكرية، يطالب محرر الخبر أن يحاكم المواطن العادي أمام قاضيه الطبيعي وخبر آخر عن ضبط منشورات يوزعها شخص ينتمي للجماعة المحظورة. خبر ضد الكنيسة المصرية وتمسكها بثوابتها في قضايا الأحوال الشخصية وخبر أخر عن البابا الجديد الذي يسكن المقطم الذى يزوج المطلقين والمطلقات.. الصحافة الآن تعمل بخلطة كنتاكي السحرية وأنا فاروق عوض، سأكون صاحب الخلطة الجديدة.

تذكرت اليوم الأول عندما صدر قرار تعييني رئيساً للتحرير.. وضعت يدي وراء ظهري ومشيت بخطى ثابتة وئيدة داخل صالة التحرير.. أنا اتمشى الآن داخل صالتي الجديدة.. كل محرر يجلس على مكتبه، أمامه جهاز كمبيوتر.. لم يبخل الممول بشيء في تجهيز المقر وتوفير المعدات والأجهزة. في

الحقيقة هم أكثر من ممول.. واحد فقط ظاهر للعيان والباقون من خلفه، لا يهمه المكسب أو الخسارة.. كل ما يهمه أن ندافع عن مصالحه ونحمي استثماراته ويصبح الجرنال في البداية والنهاية وعاء إعلانياً لشركاته ومنتجاته.. أكثر من جرنال ظهر في الآونة الأخيرة بهذا الشكل.. فكرت أنا في اللحاق بالركب واقتطاع جزء من الكعكة حتى لا أذبل أو أنزوي أو أموت.

أتذكر الليلة التي قضيتها مع نفسي بعد صدور قرار تعييني رئيساً للتحرير، فكرت أن يكون جرنالي جريدة حقيقية تجد لنفسها مكاناً جيداً وسط الصحف.. فكرت في طقم جديد ليعمل معي. لم أفكر في الانتقام كما يقول خصومي الذين تخلصت منهم الواحد تلو الأخر بمجرد جلوسي على مقعد رئيس التحرير. كانت مهمتي الأولى إعادة الضبط والربط في جريدة قديمة لم يعد فيها ضبط أو ربط.. حددت مواعيد عمل، تبدأ من الساعة السابعة صباحاً ومن لا يرغب في الالتزام بهذه المواعيد، عليه البحث عن مطبوعة أخرى داخل المؤسسة للانتقال إليها. طبقت مبدأ الثواب والعقاب.. من يتأخر ولو لمدة خمس دقائق، تعلق له ورقة بالخصم من راتبه على لوحة الإعلانات.. تماديت في الخصومات لأرهب الكل.. كنت أعمل بمثل "اضرب المربوط يخاف السايب".. كان البعض يخصم منه في الشهر ستة أو سبعة أيام. أمتثل البعض وتذلل.. خصمت

يوماً لاثنين من الصحفيين كبار السن لتأخرهما عن الحضور.. كتب لي أحدهما مذكرة.. لا أستطيع نسيانها.. كانت نقطة تحول في علاقاتي مع الصحفيين والمحررين.. "عهدناك كريماً سخياً وأخاطب كرمك أن ترفع يوم الخصم عني وأرجو ألا تكون غاضباً مني، فإن لم يكن بك عليَ غضب، فلا أبالي".. أول يوم استخدم قلمي الحبر الأحمر والذي أصدرت فيما بعد قراراً بألا يستخدم أحد الحبر الأحمر إلا أنا ومن يضبط معه قلم مشابه، فخصم أجر يوم أو أكثر من راتبه.

كتبت على مذكرة الصحفي وبخطي وبحروف كبيرة "سماح هذه المرة.. على ألا يتكرر التأخير.. يرفع الخصم" ووقعت اسمي.. فاروق عوض.. رئيس التحرير وعلقت المذكرة على لوحة الإعلانات.. تجمع الصحفيون لقراءة الورقة المعلقة.. ودخل على مكتبي الواد عبده سليم الذي كنت كلفته بأشياء صغيرة.. أخبرني أن هناك من تذمر لتعليق مثل هذه المذكرة وقدم لي ورقة صغيرة بها أسماء المعترضين.. ثم دخل على صحفي كبير السن يعمل في الجريدة منذ زمن، قالوا عنه إنه مكتشف المواهب.. وجدته على رأسي، بعدما أزاح سكرتيرتي الأولى هيام من طريقة .. لم أكن شاهدته أو تعرفت على هذا الصحفي من قبل.. سألني هل أنا فاروق عوض رئيس التحرير الجديد.. نظرت إليه قبل أن أجيبه.. ضعيف البنية.. أكلته الكتب

والثقافة.. أجبته بنعم.. بصق على وجهي وخرج ولم يعـــد إلـــى الـــدار مرة أخرى.

تذكرت هذا الشخص الآن بعد ما يزيد عن خمسة وعشرين سنة.. تذكرت طريقة دخوله عليَ في المكتب.. بعدها جئـــت بحرس وجيش من السكرتيرات ولم يعد الدخول إليَ سهلاً.. هنا في الجريدة الجديدة يجب أن يكون لي طقم سكرتارية وحرس.. ناديت علي نجيب.. جاءني.

- مطلوب نشر إعلان في الصحيفة التي ننشر فيها إعلاناتنـــا الآن مؤقتاً.. نطلب سكرتيرات على أن تكن مـــن خريجـــات الجامعة الأمريكية وأربعة حراس أدوا الخدمة العسكرية ولديهم رخصة سلاح.

- حاضر يا باشا.. فوراً.

عبد الفتاح.. الأستاذ عبد الفتاح.. تذكرت اسمه حالا.. هو الذي دخل عليَ وبصق على وجهي. الحـــراس والـــسكرتارية ستمنع دخول أمثال عبد الفتاح هذا إلى مكتبي مباشرة.. خاصة وأنني أرى في عيون الصحفيين الجدد عشرات من عبد الفتاح.. تجولت في أقسام الجريدة.. ولم يقف محـــرر واحـــد لي عنـــد مروري.. كنت في جريدتي السابقة عندما أدخل يهب الجميـــع وقوفاً.. كان هناك مايسترو كلفته بهذه المهمة.. عندما أدخـــل

يطلق صيحة وكأنها "سلام سلاح" ويشير بيديـــه الاثنـــتين إلى أعلى ليحث الصحفيين على النهوض. نجيب لـــن يـــستطيع أن يقوم بهذه المهمة مع الصحفيين الجدد.. الأمور اختلفت والسوق أصبح يعج بالجرائد من كل نوع ومن كل اتجاه وهؤلاء العيـــال يقرأون أغلب الصحف ويعرفون أنني مجروح ويقرأون الفضائح التي تنشرها الصحف الصفراء والزرقاء.

اسأل نفسي: هل سأستطيع أن أحقق نجاحاً في هذه الجريدة كما نجحت فيما مضى؟ الأمر يتوقف على عديد من الأشـــياء، منها أن يطلق مجلس إدارة الجريدة يدي ويعطيني مطلق الحريـــة مثلما كنت في جريدتي السابقة.. كنت رئيساً للتحرير ورئيس مجلس إدارة.. أفعل ما أشاء.. أفصل وأعين.. أعطي عـــلاوات استثنائية وغير استثنائية. أرفع وأخفض.. قـــذفت الرعـــب في قلوب كل الصحفيين. منهم من مات ومنهم من خرج للمعاش ومنهم من تقدم بأجازه بدون مرتب ومنهم من سافر للخليج.. أصبحت الجريدة ملعبي ومنزلي.. كنت أقضي كل وقتي فيهـــا ولهذا السبب ألحقت بمكتبي غرفة صغيرة للنوم.

العمل في الجريدة الجديدة على قدم وساق.. سنعلن قريباً عن طرح العدد الأول في السوق.. لابد من إعداد حفل اســـتقبال كبير في فندق ضخم وأدعو كل الناس حتى خصومي، ليعلمـــوا

أن فاروق عوض بسبعة أرواح.. لا يكسر.. يسقط وينهض وقد يموت ويحيا. نجيب يعرض عليَ صفحات العدد الأول من الجريدة. هناك أعمدة ضعيفة وأساليب ركيكه.. لابد من البحث عن صحفيين جيدين ليعملوا في الديسك.. عمود نجيب حول الهجوم على رموز الوطن.. يقصدني أنا بالطبع، يطالب فيه بأن تتطلع نقابة الصحفيين بمسئولياتها وأن يتدخل المجلس الأعلى للصحافة بثقله ويقول إن غياب دور النقابة هو الذي أدى في النهاية إلى رفع عدة قضايا ضد الصحفيين ورؤساء التحرير وأن بدلاً من البكاء على حرية الصحافة بعد إصدار أحكام على أربعة من رؤساء تحرير صحف مستقلة ومعارضة، لابد أن تحكم النقابة سيطرتها على أعضائها وتحاكمهم داخلها، بدلاً من دفع أطراف إلى اللجوء إلى القضاء.

مشكلة نجيب وجيله أهم لم يدركوا أن هناك تغييراً في الخطاب الصحفي ولغته.. ولا يعلمون أن هناك تطويراً في الصياغة ومازالوا متمسكين بطريقتهم التي لم تعد تنفع ولم يعد لها سعر في سوق الصحافة. عموده بلا روح.. كلام مرصوص.. شرشر نط جنب البط.. ليس فيه عمق.. لا يدفع القارئ إلى التعاطف معه أو قبوله أو حتى إثارة خياله.. "شرشر نط جنب البط" .. مدرسة صحفية انتهى عمرها ومن الممكن إعطاؤها قبلة حياة وبعض التحليل إذا أوضح أمثال نجيب لماذا نط شرشر جنب البط.. ولم ينط جنب الوز؟. الصحف المستقلة

والحزبية حتى التي هاجمني أصبح لكل منها طعم ولون واتجـــاه.. أصبحت صحافة محفزة ومحرضة ومشتبكة..أما صحافة "خـــد البزة واسكت.. خد البزة ونام" أصبحت صـــحافة كليـــنكس انتهى عصرها. سأغير كل ما في الجريـــدة أثنـــاء الـــصدور.. سأطورها.. سأبحث عن كتّاب وصحفيين لديهم مصداقية لدى الشارع ويتمتعون بموهبة حقيقية.. الخدم مطلوبون بالفعـــل إلا أن الشغيلة لا يمكن الاستغناء عنهم.. عمود نجيب هذا وبـــنفس أفكاره لو كان كاتبه الواد علي مرجان لكان له طعم أخر.. واد يخلط الدين بالفلكولور بالسياسة.. أمثال علي مرجـــان هـــم المطلوبون حالياً في سوق الصحافة.. نجيب يـــرى انطباعـــات وجهي وأنا أقرأ مقاله.. أوضح أنه لا يرغب أن يهاجم بقـــسوة في هذا الوقت بالذات.. وأنه في مرحلة التسخين.. سألته عـــن علي مرجان.. تغيرت سحنته فهو يعلم أنني كنت أرغب في أن يكون علي مرجان هو مدير تحرير الجريدة الجديدة.. طلبت منه أن يتصل به تليفونياً.. بعد وهلة تذكرت.. طلبت من نجيب أن يصرف نظر عن الاتصال.. تذكرت أن علي مرجان أكد عليَ أن أتصل به مباشرة واستبعد نجيب من دور الوسيط. كلفـــت نجيب بمهمة أخرى.. الاتصال بـــسكرتيري الـــسابق يوســـف النجار، ديك البرابر.. الرجل الوحيد الذي كان يعمل مع طقم سكرتيراتي السبع.

- يوسف يا ريس استقال من المؤسسة بعد خروجك من الخدمة.

- بيعمل إيه دلوقتي؟

- شغال في البورصة.. بيلعب بسبعة مليون جنيه على الأقل.. دى معلومات يا ريس.!

- جابهم من فين.. ابن الإيه ده؟

- من خيرك.. يا ريس.. قاعد على طول في فندق كوزموبولتان في وسط البلد.. خلف شارع قصر النيل.. شارع نصف دائرة تقريباً.. اسمه ابن ثعلب.. اشتري عربية مرسيدس مثل عربية سيادتك وعنده سائق كان شغال في المؤسسة ويقال أنه يحجز حجرة بصفة دائمة في فندق كوزمو وتزوج زواجه جديدة.

- ابن الأيه.. اتصل بيه.. وقُل له يتصل بي دوغري.. عشان حفل استقبال الجرنال.. عايزين نعمله في فندق محترم وندعو كل الناس.

- ماشي يا ريس.. تحت أمرك.

نوم العصاري أصبح إدمان.. لا القهوة ولا الشاي ولا السجاير تستطيع أن تعدل رأسي والأهم فيما يبدو غياب

جوانا.. اتصال تليفوني قد يعيد شحن الدماغ.. سأتناول الغداء خارج المترل. هنا في الجريدة.. الجريدة الجديدة.. قد أتأخر هذه الليلة.. عندما يتصل بي أحد أخبريه أنني في الجرنال الجديد.. أعطيه أرقام التليفونات الموجودة على المنضدة الرئيسية في مدخل المترل وأعطيه العنوان.. أفكر في الحجرة الملاحقة لمكتبي.. من الممكن أن أضمها وأجعلها حجرة نوم.. فعلت ذلك من قبل.. أخذت الحجرة الملاحقة لمكتبي في الجرنال القديم، كان يشغلها أعضاء القسم الخارجي.. ضربت عصفورين بحجر واحد.. اتسع مكتبي.. وأخرجت من في الحجرة إلى صالة التحرير، ليجلسوا مع بقية الأقسام ولأعرف ما يدور بينهم، فهو القسم الوحيد الذي كنت غير ملم بما يحدث فيه و لم تكن عيوني وآذاني التي زرعتها في جميع أرجاء جريدتي القديمة قادرة على اختراقه.. سأفكر فيما بعد في حجرة النوم تلك. واتصلت بعلي مرجان.

- أنت فين يا علي بك.. مسمعتش صوتك من ساعة المركب.

- أهلاً.. أهلاً يا الريس.. أنا في البيت.. هو بيت وغيط في نفس الوقت.. في طريق مصر- اسكندرية الكيلو ٥٨ بعد مزارع وادي فودز.. نفسي تشرفني مرة.. وسيادتك بتعدي

كثير على المكان.. وأنا عارف ان لك قعدة اسبوعية في واحة عمر.

- ده كان زمان.. ولكني والله أنت على بالي وهاعدي عليك.. ولكن أنا عايز أشوفك دلوقتي.. إذا كنت يا علي بك فاضي.

- أفضي نفسي عشانك.. يا باشا.

واد غريب.. مدهنن وناعم.. لا أعرف كيف نسي إساءتي له وطرده من الجرنال عندما كان في مقتبل حياته المهنية.. التسامح يبدو نعمة لا يسبغها الله إلا على من أحب.. الكراهية مثل النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

- أنا في الجرنال الجديد.. يا علي بك.. في المهندسين في شارع جزيرة العرب.. لو قلت جاي.. أبعت لك السواق بسيارتي ويرجع بك في نهاية اليوم.

- ماشي يا ريس.. أنا في انتظاره.. مزرعة السعد اسمها الحقيقي.. يا طالب السعد ولكنها اختصاراً "السعد".. كان فيه واحد شاعر له بيت شهير يقول فيه.. يا طالب السعد من غير وعد...... وكلمة قبيحة مش هقولها يا ريس.

- عارفها.. يا علي بك.

أنظر في الصفحات التي قدمها لي نجيب.. أخبار وتحقيقات وأعمدة ومقالات.. تحقيق قرأته، لا أعرف كيف مر على نجيب ووضعه على الصفحة بهذه الطريقة.. إنها أعداد زيرو.. إلا أننا في النهاية سنأخذ منها العدد الأول باستثناء الأخبار.. التحقيق مهلهل.. وغير مترابط.. ضغطت على الجرس عدة مرات.. جاء الساعي.. قرأت اسم الواد المكتوب على التحقيق.

- ناديلي على الأستاذ صالح من قسم التحقيقات. دخل صالح.. شاب ضارب رأسه جيل ويضع نظاره شمسية سوداء على عينيه.. رفعها على رأسه وأجاب بكلمة "أفندم". سمحت له بالجلوس.. في الزمن القديم لم أسمح لأحد من المحررين بالجلوس أثناء مناقشة الشغل.. كنت لا أفرق بين صحفي صغير وأخر كبير.. كان الكل يقف حتى لو استمرت المناقشة ساعة كاملة.. كان الكل يرتعش.. من أطلبه لدخول مكتبي يحوقل ويبسمل ويقرأ قصار السور قبل دخوله إلى مكتبي.. منهم من كان نصيبه السب واللعن وأنه سيظل حماراً طوال عمره وهناك من كنت من أكتفي بتعليق ورقه له على لوحة الإعلانات بخصم يوم أو يومين من راتبه.. لم يكن أحد يجرؤ على الجدال أو النقاش ومن كنت أعرف عنه المناقشة والجدال كنت لا أدخله إلى مكتبي وحده.. أطلب معه المايسترو ليزجره عندما يحاول أن

يناقش ويأمره بأن يكلم الباشا "عدل". جلس الواد بلا خوف أو وجل.. حدثته أن تحقيقه من الممكن أن يكون أفضل لو أعاد ترتيب فقراته بطريقة منظمة ويبدأ من حيث انتهى.

– أنا شايف أن الطريقة التي كتبت بها تناسب الموضوع تماماً.

شايف.. الواد بيقول شايف.. أنا كنت الوحيد الذي "يشوف".. غيري لم يكن مسموحاً له بالرؤية أو إبداء الرأي.. صرفته وطلبت نجيب.

– يا نجيب.. الواد ده ميخشش الجرنال مرة تانية.

– أوامرك.. يا باشا.. سأطلب منه أن يظل في منزله إلى أن نتصل به تليفونياً.

– لأ.. قول له إنه حمار.. لا ينفع للعمل في جرنال.. الأفضل له أن يبحث عن شغل تاني. أنا.. يا نجيب مش عاجبني الشكل كله.. أنا بعت أجيب علي مرجان.

أصفر وجه نجيب وتلعثم في كلامه.. يتوقع أن أطيح به، فقد عرف عني قديماً أنني أختار بعض الصحفيين وأكلفهم بإعداد ملحق جديد أو العمل على تشكيل فريق جديد لمطبوعة جديدة وعندما ينتهون من أعمالهم وقبل أن يظهر الملحق أو المطبوعة

الجديدة إلى النور.. أطيح بهم.. بعضهم كنت أنتظر عليه بعض الوقت إلى أن يظهر أمامي من يصلح لرئاسة العمل الجديد والبعض الآخر.. كنت أعطيه "السكة" بمجرد الانتهاء من الإعداد الزيرو.

- اللي تشوفه يا ريس.. أنا خدامك في أي موقع.

هذا النوع من الصحفيين لن أجده في الجيل الجديد. كلهم متعجلون وكل منهم يظن نفسه التابعي أو هيكل.. هيكل مين.. والتابعي مين؟.. كل منهم يعتقد في قرارة نفسه انه فاروق عوض.. ولكن فاروق واحد فقط.. لا شريك له ولا مثيل.

الجلسة مع الواد علي مرجان قد تكون مفيدة خاصة إذا عمل معي.. سأقترح عليه ذلك مرة أخرى قد يضيف مذاقاً لاذعاً للجريدة. مثل هذا المذاق مطلوب في السوق الحالي.. مشكلة العيال اللي راحوا الخليج.. عادوا بأفكار جديدة وأساليب عمل جديدة والمطلوب التعامل معهم أيضاً بأساليب جديدة.. الكل عاد وعلى لسانه مشقة الغربة والاغتراب، إلا أنهم يجمعون على احترام قيمة العمل هناك وأن المميز في عمله، يحملونه أصحاب العمل فوق رؤوسهم.. خرج من مؤسستي

العشرات للعمل هناك وعندما عادوا وانتفخت جيوبهم بالدولارات، أجلستهم في الجريدة بلا عمل حقيقي ولعدة سنوات في جريدتي القديمة. بعضهم ظل حتى خروجه إلى المعاش دون أن يكتب حرفاً واحداً .

علي بك مرجان.. وصل.. أخبرني الساعي.. قمت من على مكتبي لاستقباله عند الباب.. رحبت به. أمسكت يده حتى بابي.. المحررون الجدد.. لا يعرفونه.. عيونهم عليه إلى أن دخل مكتبي.. نجيب تجاهل قدومه وانشغل في أوراق على مكتبه، دس فيها أنفه وعينيه.

– مبروك الجرنال الجديد.. المكان شيك.

– الله يبارك فيك.. أنا عاوزك معايا يا علي.

– موقفي من الصحافة حددته منذ عودتي.. الصحافة "لمت".. دخلها كل من هب ودب.. دون موهبة أو ثقافة.. أكثر المحررين شهرة وثراء.. هم بتوع الإعلانات.. بعضهم لا يستطيع كتابة خبر.. وسيادتك سيد العارفين.. مش عاوز أقول إنك المنتج الرئيسي لهذه النوعية من الزبالة.

الواد "هيقل" أدبه.. الكلام معه يجب أن يكون بحساب وأنا بالفعل في حاجة إليه.. أحتاج مدير تحرير حقيقي.. غير نجيب الذي يحاول أن يوهمك بأنه يحمل الجرنال على يديه.. وإذا رفع

يديه سيسقط الجرنال.. نجيب له وظيفة أو عدة وظائف أخرى غير الكتابة والتحرير.. مقاله عن رموز الوطن.. أفضل مثال لخلاصة فكره الصحفي. فهو لا يجمع حوله سوى أمثاله.. الخدم.. والصحافة الآن تحولت إلى شيء أخر وعلي مرجان لديه القدرة على جمع مجموعة متنوعة من الصحفيين من الممكن أن تعطي قوة دفع للجرنال الجديد.

- طيب أنا عاوزك تكتب مقال اسبوعي.

- صعب أوعدك.. أنا هكتب لك مقالاً في ثالث أو رابع عدد.. مقال تحية أو كما يقول الخواجات مقال "كومبولموه".

- بلاش تكتب يا عم أو تشتغل معي.. عاوزك تحط إيدك معايا.. تختار لي بعض الصحفيين من جيلك والجيل الذي يسبقك.. عاوز باقة من الصحفيين.

أرغب في أن يكون جرنالي الجديد شيئاً مختلفاً.. ظللت طوال حياتي المهنية أكتب لشخص واحد وفي النهاية تخلى عني.. وإذا حاولت أن أكتب لكل الناس، سيسخر مني القراء.. أحتاج مجموعة من الكتاب الذين يتمتعون باحترام ومصداقية.. أريد كاتب إخوانجي مشهور وأخر ماركسي "عتويل" وكاتب شيوعي من التائبين وأخر ناصري متهور وصحفي ناصري عقلاني وصحفي ليبرالي فاجر.. أريد باقة تساعدني في الخلطة

التي أتمنى أن أقدمها وعلي مرجان قد يساعدني في ذلك.. وفي الوقت نفسه أبحث عمن يدير عملية اشتباك قوية ومخططة بدقة مع الصحف التي تهاجمني.. علي مرجان هذا قد يفيدني في ذلك. السنوات الست التي قضاها في لندن شهدت معارك صحفية كبرى بين رجل الأعمال المصري الشهير محمد الفايد من جهة ورجل الأعمال البريطاني دوني رونالد وأشرف مروان من جهة أخرى.. تابعها كلها علي مرجان بدقة وأكيد تعلم كيف تدار مثل هذه المعارك.

- الخلطة يا ريس سهلة.. الكل على استعداد أن يجد منفذاً للتعبير بحرية عن أفكاره وإذا كان العائد مجز.. ستجد العشرات يلبون النداء. أما المعارك الصحفية، فالنصيحة التي أقدمها لأستاذي أنه إذا دخلها سيخسر.. وبدلاً من التراشق في الصحف يرد على ذلك كله في كتاب.. يرد فيه على كل الانتقادات ويكشف أسراراً عن نفسه وبصراحة. أسراراً لم يتوصل إليها من قبل الذين يهاجمونك.

كلام الواد معقول.. خاصة وأن هناك من أصدر كتاباً مؤخراً يهاجمني "فاروق عوض.. شوية فوق وشوية تحت". أخشى أن يكون هذا الواطي الذي لا يختلف كثيراً عمن عرفتهم من الواطيين يحاول استدراجي إلى منطقة ملغومة.. ولكن

فكرة.. الكتاب أفضل. فأنا أعترف أنــني لم أنجــح في كــل السنوات الماضية أن أعد كاتباً حقيقياً في جريدتي السابقة، كما أن دائرتي كلها كانت من المستفيدين الواطيين الــذين رشــقوا حرابهم في ظهري بمجرد خروجي من الخدمة. استأذنت علــي مرجان لدخول الحمــام لأشــرب بعــض الجرعــات مــن "الكورفوازية" الذي أحمله بصفة دائمــة في جيــب الجاكــت الداخلي العلوي. بعض الجرعات تمكنني من الاستماع له جيداً وتقييم خططه الذي سيعرضها عليَّ.

استأذنني علي مرجان ليجلس على راحته ويضع ساقاً علــى ساق.. ألقى عليَّ محاضرة طويلة، بدأها باليابان. لا أعلم ســر اليابان تلك معه أو مع شوكت المحامي صديقي.. تحدث عــن أهمية الاعتراف كركن إيماني هام لدى المــسيحيين. المــسيحي المؤمن يذهب إلى الكنيسة ليجلس على كرسي الاعتراف ويقر بذنوبه أمام القس. الغفران لا يمنحه قسيس أو شيخ.. المغفرة من عند الله، إلا أن التوبة النصوحة ألا يعود المــؤمن إلى ارتكــاب المعاصي مرة أخرى ويندم على ما فعل.. ينقلني في حديثه بــين معتقدات النصارى وإيمان المسلمين الــصحيح.. يهــدف إلى إقناعي بأن الاعتراف في حد ذاته يخلص النفس البــشرية مــن الكثير من الآلام وليس الآثام.. ما شي.. يا عم علي مرجــان.. ابراك قالوا عليه زمان انه شيوعي.. إلا أنه يبدو شيوعياً وقبطيــاً

وشيخ طريقه. يقنعني بأن الاعتراف في كتابي سيخلصني من العديد من المشاكل النفسية وكأنه يعلم ماذا يدور بداخلي وحجم ما أعانيه.

قطع حديثنا مكالمة تليفونية من العقيد / مصطفى. الواد الذي طردته هو قريبه. طمأنته.. أنه سيعود إلى عمله وسأطرد من طرده.. دخل عليَ نجيب بخبر من الوكالة يقول أنه تم رفض الاستئناف المقدم من المستشار خليل صديقي.. قرأت الخبر بسرعة وتذكرت وجه خليل الذي لم يفارقني هذا الصباح واستمرت المكالمة.

- أنا عاوز خدمة منك.. عاوز تصريح لزيارة المستشار خليل في سجن مزرعة طرة.

- تحت أمرك.. أعتبر التصريح جاهز.. يمر عليَ في أي وقت نجيب الحاوي لاستلامه.. التصريح مفتوح.. تزور صديقك في أي وقت.

- أحنا معندناش حد باسم الحاوي.

- لأ.. لأ.. نجيب اللي عندك.. الأستاذ نجيب اسمه الرابع.. اسم العائلة.. الحاوي.

هو حاوي بالفعل.. كيف أجهل اسمه وقد عمل معي طوال هذه السنوات.. هو حاوي يلاعب القرود ويعلم لغة الطير

ويحرك الرياح.. ولكن لماذا ذكر لي مصطفى بك الحاوي دون غيره للمرور عليه لاستلام التصريح.. ومع من بالضبط يعمل الحاوي هذا؟. وهل مصطفى بك يريد أن يحرق ورقة كان يعمل بها طوال هذا الوقت.. ضباط أمن الدولة كلامهم بحساب. ربما يريد إبلاغي بأن نجيب الحاوي رجلهم في الجريدة الجديدة.. وربما يكون قد ذكر اسمه ليدفعني إلى التخلص منه.. حاوي.. حاوي.. له مهام أخرى ولي فيه أيضا مآرب أخرى.

دعك من ذلك كله.. الحديث الآن مع علي مرجان أهم.. اقتربت من الاقتناع بوجهة نظره بخصوص الكتاب وأنه أفضل في المعركة من النشر في الجرائد.. الكتاب كما يقول من الأسلحة التقليدية الثقيلة.. استمر يحكي لي عن الياباني الذي حاولت جهة معادية تجنيده للعمل معهم.

- إيه حدوتة اليابان دي.. يا علي.. كل ما أقابل شخص يحكي لي عن اليابان.

- اليابان مازالت سراً مغلقاً يحير العالم واحنا لا نعرف عنهم إلا قصارى القصص والحواديت.

واستمر في حديثه.. الجهة المعادية تعرف كل شيء عن هذا الياباني الهدف.. انتظروا سفره إلى بعثة دراسية خارج اليابان..

هناك ألقوا في طريقه بامرأة شابة قوية وضخمة وجميلة.. اليابانيون يسيل لعابهم على المرأة ذات المواصفات الجيدة والتي ينعكس على تقاطيع جسمها الوفرة دون إفراط.. يترل الياباني من الفندق ينتظر على محطة الأتوبيس.. في اليوم الثالث أو الرابع ظهرت له المرأة في نفس موعد نزوله.. ركبت معه الأتوبيس ونزلت قبله بمحطة أو محطتين نزولها معه قد يثير شكوكه.. في اليوم الخامس أو السادس تبادلا النظرات والتحية عن بعد.. لم تقترب منه.. فهي تعلم أنه قبل سفره حضر في اليابان دورة تدريبية عن كيفية عدم الوقوع في براثن أي جهة أجنبية.. اقترابها منه ربما يخيفه.. تركته هو ليقترب واستمرت تركب نفس الأتوبيس وتترل قبله بمحطة أو اثنتين والله أعلم. حدثها ذات صباح وسألها أين تعمل وأين تترل وطلب منها رقم تليفونها وأخبرها برغبته في أن يتناول معها طعام العشاء.. اتصل بها.. اختارت المطعم.. تناولا العشاء وتكررت المقابلات وانتهت في شقتها بعد ليلة ساخنة واختفت الفتاة ولم يعد يراها بعد ذلك على محطة الأتوبيس. يتصل بتليفونها.. يطلبون منه التأكد من هذا الرقم، فهو غير موجود في الخدمة. أدرك أنه وقع في فخ وقد تكون ليلته الساخنة التي قضاها مع الفتاة تم تسجيلها بالصوت والصورة وأنها ستعاود الاتصال به.. صدق حدسه.. اتصلت به أخبرته أنها في انتظاره في نفس المطعم.. وصل..

قدمت له أحد معارفها.. جلسوا.. قدم له الصديق الجديد مظروفاً به صور له في مختلف الأوضاع.. ابتسم.. أبدى إعجابه الشديد بالصور واللقطات.. طلب من الفتاة أن ترسل له مجموعة أخرى من الصور الجميلة.. ليرسلها إلى زوجته وأصدقائه في اليابان.. الدهشة ألجمت الفتاة وصديقها.. انصرف وطلب منهما تلبية طلبه الأخير. إرسال الصور.. صفعة قوية للمبتزين. فهمت .. ياعلي .. يامرجان .

- يا فاروق بك يا عوض.. هناك كتابان في غاية الأهمية.. كتب سيرة ذاتية.. كتاب أدولف هتلر "كفاحي" وكتاب عثمان أحمد عثمان "حياتي" صفحات من حياتي. يهمنا عثمان.. قال كل شيء في كتابه.. قال كيف جمع المليون جنيه الأولى في حياته ومهما يقول خصومه أو أعداؤه.. فلن يقولوا جديداً.. عليك أن تقول كل شيء في كتابك وإذا هاجمك أحد.. تقول بهدوء وببرود أنك ذكرت ذلك كله وبنفسك في كتابك.

- كلامك كله تمام.. نتفق.

- أنا هعمل لك الكتاب بعد الاتفاق على الخطوط العريضة والمواقف والمعارك التي يحتويها الكتاب.

- أجرك كام؟

- مش هقول لسيادتك حلي.. سأخذ منك عشرين ألف جنيه.. وتتسلم المسودات وكل شيء.. ولن أفضح سيادتك مثل غيري وأقول أني صاحب الكتاب الذي وضعت اسمك عليه.

واطيين.. لكن التعامل مع الواطيين أحياناً يكون أضمن وأسهل من التعامل مع من يتشدقون بالمبادئ والقيم. أخبرني أنه لا يخرج كثيراً من منزله العامر في طريق مصر الإسكندرية وإن كنت أرغب في الشروع في الكتاب عليَ زيارته ودفع نصف القيمة كعربون، على أن يسلمنيَ الكتاب بعد شهرين بالتمام والكمال.. نهض وشد على يدي وأكد لي التزامه بإنه سيرسل إليَ مقالاً بعد ظهور العدد الثالث أو الرابع في السوق.. مقاله سيكون في نهاية الأسبوع لصدور الجريدة.. احتضنته مودعاً وشعرت بالندم لفصلي له، فهو وإن كان مثل الواطيين الذين تعاملت معهم.. إلا أنه واطي مختلف.. صاحب فكر.

بمجرد خروجه، دخل عليَ نجيب.. نجيب الحاوي الذي كنت لا أعرف لقبه.. لم يهدأ.. يرغب في معرفة ما دار بيني وبين علي مرجان.. وهل سيعمل معنا في الجريدة ومتى سيأتي؟ لم يحصل مني على إجابة واحدة.. الحاوي له وظيفة أخرى..

عدة وظائف أخرى.. تنظيم اللعب داخل مؤسستي القديمة مع رئيس مجلس الإدارة الجديد الذي يجمع الكل على أنه رأس الحربة في الهجوم ضدي.

- إيه أخبار المؤسسة يا نجيب.؟

- كل يوم قرارات جديدة.. يحاول بها ارضاء ومداعبة العاملين.. آخر قرار أصدره.. صباح اليوم وعلقه في لوحة الإعلانات بمدخل المؤسسة هو الموافقة على علاج المحالين على المعاش على نفقة المؤسسة.

- رأي الناس إيه؟

- ناس مع القرار وناس ضده.. الناس اللي معاه بتقول أن سيادتك كنت تترك المحالين على المعاش هم وأسرهم يتسولون مصاريف العلاج.. بصراحة يا ريس.. القرار ده عمل له شعبية.

- شعبية إيه يا أهطل.. القرار مش هيكلفه حاجة.. ده تعلب.. عاوز الناس تصفق له، لكن القرارات الحقيقية.. مش هييجي ناحيتها.. فين اللائحة اللي وعد بيها.. فين تعديل الأجور والمرتبات.. فين حركة الإنصاف اللي قال عليها. أنا عايز.. يا نجيب يا حاوي شوية قلق داخل المؤسسة.

منذ أن علمت اسمه الحقيقي وأنا أناديه به لكنني اكتشفت أنه لا يحب هذا الاسم.. لو كنت في موقعي السابق لكلفت فريقاً بالبحث عن سبب التسمية وهل كان جده حاوياً بالفعل.. يلف في الموالد والقرى أو أنه مجرد لقب عادى. لم أعد أطمئن إليه بعد مكالمة العقيد مصطفى، فهو فيما يبدو يلعب لصالح الكل وليس لصالحي فقط.. المهمة الأخيرة التي طلبتها منه ستكشفه.. إذا كان يعمل لصالح الأمن والعقيد مصطفى سيتهرب من تنفيذ المهمة، فالأمن يهمه في المقام الأول استقرار المؤسسات وهدوئها وإذا كان يعمل لصالحي سيعمل على تنفيذ الأمر فوراً ودون الرجوع إلى العقيد مصطفى.

- هتعمل إيه عشان القلق اللي أنا عاوزه.

- سأتصل بكل رجالك في المؤسسة.. أخبرهم بما قلته لكن ليس على لسانك.. بعد غد اجتماع لمجلس الإدارة.. هجمعهم أمام قاعة الاجتماعات لن أكون معهم بطبيعة الحال.. فأنا يا ريس مازلت محسوباً عليك.. هتاف وصراخ وهجوم على أعضاء مجلس الإدارة ويفط سأكتبها الليلة.. تطالب بإعداد اللائحة الجديدة وتعديل المرتبات وسيترل رجالك إلى الشارع.. أمام المؤسسة يستكملون الهتاف.. وكم مصور معنا يلتقط لهم

صوراً.. وكم محطة تليفزيون فضائية.. سأتصل بها.. وهنشوفه هيعمل إيه!

– زي ما رفع مرتبات رؤساء التحرير، يرفع مرتبات الغلابة من الصحفيين والإداريين والعمال.

أرغب في أن ينقل نجيب الحاوي هذا الكلام إلى كل الناس.. أعلم أن هناك حالة من الانفلات داخل المؤسسة منذ أن غادرتها.. هذه الحالة لابد من الاستفادة منها.. ليعلم رأس الحربة هذا أنني من الممكن أن أداعبه وأن أصابعي مازالت مغروسة داخل المؤسسة وأن آثاري ستبقى فيها عقوداً وليس كما يقول بعض السفلة "إن نفاياتي ستظل عالقة بجدران المؤسسة لمدة عشرين سنة على الأقل." الحرب مع هذا الرجل ليست بسيطة أو هينة.. هو رغم مظهره الهادئ وصوته الخفيض ومعرفتي به.. ورئاستي له التي امتدت سنوات.. أعلم أنه ليس بالسهل أو الهين.. دماغه حديد ولابد من تسخين هذا الحديد ليشعر بخطورة وضعه.

جوانا على التليفون.. تسأل عني وإذا كنت سأسهر في الجرنال الجديد إلى وقت متأخر أم لا.

– سيمر عليك سيد السائق.. اجلسي في المقعد الخلفي.. مقعدي.. سيأتي بك إلى هنا في الجرنال وفي نهاية الليلة سنذهب

سوياً إلى الفندق.. الجرنال الجديد وإن كان أخرجني من عزلتي وإحساسي بسجن النفس والانقباض وأعاد إليَ بعض السلطة والنفوذ اللتان افتقدهما، أخذ مني جوانا وأبعدها عني وهي التي كانت الملاذ والملجأ في ساعات القهر والوهن.. ليلتي سأقضيها مع جوانا في الفندق وسأجعل الفندق هو مقري المؤقت لاستفيد قدر استطاعي بالفترة الباقية من قيمة إيجار الحجرة التي دفعتها مؤسستي مقدماً.

يوسف النجار.. سكرتيري.. الرجل الوحيد الذي عمل معي يتصل تليفونياً.

– أنا عايزك يا يوسف.. تمر عليَ في الفندق الليلة.. آه.. في القاهرة.. عشان نتكلم في كيفية تنظيم حفل استقبال ضخم مع ظهور العدد الأول من جريدتي الجديدة "الزمن".

– سأمر على سيادتك غداً صباحاً.. قبل ذهابي إلى البورصة.. فأنا أقيم الآن في وسط البلد.. يوسف لديه أجندة تليفونات كل معارفي وأصدقائي وتليفونات الوزراء الحاليين والسابقين.. وعندما خرجت من الخدمة.. طلبت منه أن يسلمني الأجندة. إلا أنه تحجج بأنها قديمة وممزقة.. وسينقل الأسماء في أجنده جديدة ويسلمها لي.. بالطبع أبر بما وعد إلا أنه لم يكتب أو ينقل كل التليفونات والأسماء متعمداً..

واكتشفت أنا ذلك في حينه عندما قلبت في صفحات الأجندة..
واحد آخر من الواطيين.. لحم أكتافه من خيري.. إلا أنه أمــن
نفسه بكل الطرق قبل وبعد خروجي من الخدمة.. أقل من شهر
وبعدما تم فتح بالوعات الصرف الصحي ضــدي في الجرائــد
إياها.. سوى معاشه وخرج هو أيضاً من الخدمة واختفى تمامــاً
ولم تمسه صحف المعارضة من قريب أو بعيد وأشكك أن بعض
أخباري القديمة وعلاقاتي التي يروها مشينة، يوسف هــذا وراء
تسريبها. عندما اختلى بنفسي يدق رأسي سؤال وهو كيــف
جمعت هؤلاء "الواطيين" حولي.. وهل جاءوا بأنفسهم أم أنــا
قمت بنفسي باختيارهم وهل كلام الواد " الـسواطي " بــأنني
"أقرب الأسافل مني كأنني أحن إلى عرق فيَ " كلام صــحيح..
أو أن الكرسي أو المقعد يجذب هؤلاء الواطيين من كل حــدب
وصوب كالورقة المدهونة عسل التي يتجمع عليهــا الــذباب..
فترة وانتهت.. ويجب عليَ أن أنسى مثل هــذه التفاصــيل..
الاعتراف والكتاب على رأي علي مرجان قد يخلصني من هموم
كثيرة ومنها هؤلاء الأشخاص الذين يجب تعريتهم وفضحهم..
ليس على صفحات الجرائد التي لا تعيش أكثر من يوم واحــد
ولكن في كتاب يعيش عشرات السنين. جاء سيد بجوانــا مــن
التجمع الخامس.. إلى الفندق ذهبت.. اغتسلت وقضيت لــيلتي
أغسل بعض همومي مع جوانا.

نهاية خدمة الغز

الزمن .. جريدة " الزمن " أعادت اليَ اتزاني النفسي وبعضاً من كرامتي .. الزمن وجوانا ، حافظا عليَ ودفعاني للطفو فوق سطح الماء مرة أخرى ومكناني من التنفس . سكرتارية جديدة وحراس اخترقم بنفسي ، اشداء طوال عراض .. اثنان منـــهما يحملان سلاح والثلاثة الباقين عليهم الهيبة .. الجريدة أعادت من قطعني ووصلت من ابتعد عني .. التليفونات لا تهـــدأ .. حـــتى المسئول الكبير عاود الاتصال بي .. مرة كل يومين على الأقل.. يسأل عني وعن اخبار الجريدة ومدى انتشارها وارقام توزيعهـــا ويدعو لي بالنجاح .. نسى انه سبني مرة بـــأمي .. نـــسى أو تناسى انه قال لي " يابن .... " .. مصالح ولابـــد مـــن التعامل معها .. فوق الكرسي وتحت الكرسي .

عندما تكون فوق الكرسي تأمر فتطاع ، تلقي بالأوامر وتجد العشرات يهرولون لتنفيذها وعندما تكون تحت الكرسي تبحث عن ملاذ وتفكر في البحث عن حماية وتفكر أحيانا في الهروب بجلدك حتى لا تسلخ ولا تجرح ولا تقتل باللعنات .. الخـــروج من المنصب يكسب الفرد فضائل جديدة، منها فضيلة الاستماع إلى الرأي الآخر حتى ولو جاء من شخص تراه عـــديم القيمـــة

والأهمية.. عندما جاءني سكرتيري السابق يوسف النجــار إلى الفندق وتحدثت معه في تنظيم حفل استقبال يليــق بالجريــدة الجديدة، نصحني بالتريث.. أشار علي بالانتظار لبعض الوقــت إلى ان تحقق الجريدة بعض الانتشار ويعود كبار القوم يخطبــون ودي كما كانوا يفعلون سابقاً وعند ذلك تقام الافراح والليالي الملاح.. وبدلاً من الحفل الواحــد يــصبح هنــاك عــشرات الاحتفالات.

يوسف هذا لم استمع أبداً لرأي له ، ولم يجرؤ طوال خدمته معي أن يبدي رأياً أو يقدم اقتراحاً.. الان اصبح صــاحب رأي واقتراحات وصاحب ملايين.. جاءني الفندق وفي معصمه ساعة ذهبية ممن كنت اشتريها باموال المؤســسه لتوزيعهــا كهــدايا لأصحاب المقامات الرفيعة والذين اثبت الزمن انهم " واطيين " مثل غيرهم.. كانت الهدايا التي تبلغ الملايــين ســنوياً أنواعــاً وأشكالاً توزع على كبار المسئولين.. بعضهم كــان يطلبــها بلسانه ويحدد النوعية.. منها الساعات والأقــلام والولاعــات الذهبية .. أنواع أخرى من علب القطيفه الحمــراء والخــضراء والزرقاء بها جنيهات ذهبية.. الملك جورج.. تختلــف احجــام العلب المقدمة طبقاً لمكانة المسئول وأهميتة.. بالنسبة للمؤســسة وبالنسبة لي وهل هو من اصحاب القرار في بقائي في منصبي أو أنه مجرد مسئول ديكور .

علب الجنيهات الذهبية كانت خمسة أنواع ، ترقــد فيهــا اعداد مختلفة من جنيهات جورج على شكل هــرم.. فئــات.. علبة بها ستة جنيهات.. وعشر جنيهات وخمسة عشرة جنيهــاً وإحدى وعشرين جنيها والعلبة الكبرى كان بها ثمان وعشرون جنيها. العلبه الاخيرة كانت للصفوة من أمثال المسئول الكــبير الذي سبني بأمي. كانت تصله مع هدايا اخرى بمناســبة رأس السنة. المكلف بتوزيع الهدايا هو يوسف النجار.. يتسلم مــني كشفاً بالأسماء ونوع الهدايا ويقوم بإعدادها وتسليمها.. ظــل سنوات يؤدي هذه المهمة.. إلا إنه خان الأمانة.. كان لــصاً .. اتصل بي المسئول الكبير ذات مرة.. سألني.. هــل المؤســسة افتقرت هذا العام.؟ سألت إذا كانت هديتــه وصــلت أم لا؟ اخبرني أن علبة الجنيهات وصلته بالفعل ولكن بها خمسة عــشر جنيها وليس ثمان وعشرين مثل كل عام !

سألت يوسف.. اعتذر وتأسف وقال إنه سيرسل اليه علــى الفور علبة أخرى بخمسة عشرة جنيهاً ذهبياً.. وبخته وطلبت منه أن يرسل له علبة أخرى من الفئة الكبرى وعلمت أنه لــص.. وها هو يأتي إلى الفندق وفي معصمه ساعة من الذهب الخالص لا تقل قيمتها عن اربعين ألفاً من الجنيهات. وماذا تساوى هذه الساعة فيما يلعب به الآن في البورصة كمــا قــال لي نجيــب الحاوى.. سبعة مليون جنيه.. من المؤسسه.. إن لم يكن سرقهم

هو كانوا دخلوا جيبي أنا. عندما عرضت العمل عليه معي مرة أخرى في الجريدة الجديدة.. رفض بأدب مؤكداً أن العمـــل في البورصة.. بيع وشراء أسهم.. أكثر عائداً من العمل في جريدة . ورغم قلة أدب هذا الواطي، قبلت باقتراحـــه بتأجيـــل حفـــل الجريدة، على أن يقوم هو بتنظيمه في فندق كبير .

أفكر في الذهاب إلى قريتي بالموكب الجديد والحرس على ألا اقابل زوج خالتي الثقيل.. أمنع دخوله إلى المترل وأجعل ســـيد السائق يخبره.. بأنني سأمكث ساعة أو أكثر ثم أعود إلى القاهرة ولا وقت لدي لمقابلة أحد.. أريد أن يعلم الواطي ان فـــاروق عوض عاد.. عاد مرة أخرى وبنفس القوة وليعلم الذين رفعـــوا اسمي من على المدرسة ومن على المجمـــع الطـــبي أي منقلـــب ينقلبون.. أخرجني رنين التليفونات من هذه الفكرة مؤقتاً. هناك من يشيد بالجريدة وجرأتها ويهنئ بصدورها.. بعضهم تأخر في التهنئة ليستكشف الوضع الجديد.. هناك من اثنى على مقـــال على مرجان.. مقاله اليوم لا يستطيع نجيب الحاوي أو الـــشيخ اياه صاحب تعبير حنا المشّاء أن يكتب مثله .

مقال على مرجان بعنوان " الله لا يحب الفساد " يتحـــدث فيه عمن تاجروا بالوطن وباعوه.. عن الذين أخـــذوا مئـــات

الأفدنه بملاليم وباعوها بملايين.. يطعم كتاباته بآيـــات قرآنيـــة وأحاديث شريفة وكلام شيوعيين.. لم احذف كلمه واحدة من مقاله. فالمقال رسالة فحواها إن فاروق عوض لـــيس الفاســـد الأوحد.. هناك المئات لم يمسهم أحد بسوء و لم تهاجمهم الجرائد و لم ينهش لحمهم الصحفيون الذين ظهروا فجأة على الجرائـــد وفي التليفزيونات. أكثر من مسئول سابق وحالي أشادوا بمقـــال على مرجان هذا.. في الزمان الأول، عندما كان يـــشيد أحـــد بمقال أو تحقيق كتبه احد المحـــررين، أنقلـــه علـــى الفـــور إلى الأرشيف أو قسم الاستماع ولا أسمح له مرة أخـــرى بكتابـــة حرف واحد.. الأمر يختلف الآن.. أنا في حاجة إلى أكثر مـــن على مرجان واحد وإذا استطعت استدراجه وإقناعه بكتابة أكثر من مقال في الأسبوع للجريدة سيصبح إضافه لهـــا.. طلبـــت السكرتارية ليطلبوا لي رقم تليفون على مرجان.

– صباح الخير .. يا على بك .. مقالك اليوم عامل شغل.. التليفونات لم تنقطع.. عاوزين اكثر من مقال في الاسبوع.

– رأيي قلته لسيادتك.. وأنا مشغول الان بكتاب حضرتك، طبعا فى إطار الخطوط العريضة التي اتفقنا عليها وانا في انتظارك لتقضي معي يوماً في منزلي لنضع الرتوش النهائية .

- أنا على وعدي.. سأزورك أنا وجوانا وسنقضي معك يوماً كاملاً .. فأنا في حاجة إلى الخروج من ضغط العمل.

- مرحباً بك.. وتحياتي .

تليفون آخر من المسئول الكبير.. لابد أنه قرأ مقال زوجته السابقة.. طليقته التي تتحدث فيه عن نوعية من الرجال.. لا تشبع من المال الحلال أو الحرام وتجري وراء الفتيات الصغيرات رغم الإهانات التي تلحق بهم.. إلا أن الإهانة جزء من اللذة لديهم. أشاد بمقال علي مرجان وحذرني مرة أخرى من الاشتباك مع الصحف الأخرى.

- خليك فيما أنت فيه.. لا تغمز أو تلمز في جريدتك الجديدة.. أنت قلت هتكتب كتاب ترد فيه على كل الناس.. الكتاب أفضل.. يا فاروق.

- أنا الآن أكتب في الكتاب يا باشا وعلى وشك الانتهاء منه.. قررت أن أكتب فيه كل شيء.. أعترف وأعلن التوبة.. وخير الخاطئين التوابون. آه.. يا باشا.. هنعمل حفل استقبال بمناسبة صدور الجريدة والدعوة ستصلك وعاوز سيادتك تشرفنا.

- ماشي يا فاروق.. بس حط الكلام اللي بقول هولك.. حلق في ودنك.. وإلى اللقاء.

نجيب الحاوي غير مطمئن لبزوغ نجم علـــي مرجـــان مـــن جديد.. كانوا شلة في الجريدة القديمة.. إذا وجدوا شخصاً يقرأ له.. تبدأ المؤامرات ضده.. كانوا يشوهون موضوعه بالحذف أو الإضافة في البروفات النهائية للصفحة قبل نزولها إلى المطبعـــة.. نجيب الحاوي الآن وحده.. العصابة تفرقت بها السبل.

– قرأت مقال علي مرجان.. يا نجيب. يا حاوي؟

– طبعاً يا ريس.. بس طويل شوية.. كنت عاوز اختصره.

– لأ.. مقال علي مرجان يأتي لي مباشرة ولا تمد يدك فيه.

– ماشي.. يا ريس.. تصريح زيارة المستشار خليل وصل.. ممكن تزوره في أي وقت.

لم اسأله إذا كان التصريح قد وصله على الجريدة أو ذهـــب بنفسه إلى العقيد مصطفى واستلمه منه.

– العقيد مصطفى.. أرسله وسيادتك كنت مش موجود.

– إيه أخبار المؤسسة؟

– علقوا ورقة الصبح.. بيقولوا أن لجنة ستبحث قضية الأجور وتستمع إلى كل الاقتراحات وستعلن النتائج خلال شهر.

- فلح إن صدق!

- ناس كتير متفائلة وبعض من كانوا ضده أصبحوا معه.. ناس للأسف من رجالتنا.

- عاوزين برضه شوية قلــق في المؤســـسة وفي النقابــة.. الصور.. صور المظاهرة الهزيلة أمام المؤسسة اللي نشرتها الجرايد مش كفاية.. إنت مش هتغلب يا حاوي.

وبدأ يعرض عليَ بعض الموضوعات.. توقف عنـــد مقـــال المذيعة إياها.. قال أن هناك كلاماً خارجاً لا يــصح نـــشره.. نظرت إلى المقال وعلمت عليه بقلمي الأحمـــر √ صـــح.. لم يعلق.. انصرف دون أن يغلق الباب خلفه.. هذا الواد لا أعلـــم مع من يعمل بالضبط ولكن وجوده في الجريدة مطلوب الآن.. كل ما أفكر فيه رحلة زيارة المستشار خليل. الأفضل أن أخرج من التجمع الخامس إلى طره مباشرة عن طريق الأوتوســـتراد ثم أعود إلى الجريدة، إلا أنني لا أســـتطيع تحديـــد اليـــوم الآن.. مقابلات وتكليفات وتليفونات.

أخذتني الأيام.. سعادتي بالجريدة الجديدة والثناء عليها وعلى جرأتها في تناول الموضوعات، أنساني موضوع زيارة المستـــشار خليل التي أشعر أنني في أشد الإحتياج لها من خليـــل نفـــسه..

أحتاج أن أراه.. أرى كيف يتعامل مع أزمته، خاصة بعد رفض الاستئناف وهل ما زال بقوته وجبروته أو أنه ضعف وانكسر.. بعد ثلاثة أو أربعة أيام.. وبعد تناول الإفطار في حديقتي كما أفعل.. توجهت إلى السيارة.. أمرت سيد السائق أن يتجه إلى طره.. سجن طره. الباب الرئيسي وليس باب الزيارات.. أقابل مأمور السجن ويطلب لي المستشار خليل في مكتبه.. أجلس معه بعض الوقت ثم أعود إلى الجريدة في المهندسين.

الطريق من التجمع الخامس حتى طره، على جانبيه أراض شاسعة. بلدوزرات ثقيلة تسوي الأرض وأخرى تقوم بالحفر.. عشرات الكيلو مترات.. عليها أسماء شركات تعمير.. وبعضها يحمل لافتات بأسماء أشخاص.. كل هذه الأراضي من أخذها.. وكم دفع فيها.. مدن ستقام هنا وملايين ستحصد وأنا يتهمني البعض باستغلال السلطة وحصولي على ألف فدان في طريق مصر الإسكندرية. لو كنت شاهدت هذا الطريق من قبل لكنت فكرت في الحصول على قطعة أرض على أحد جوانبه.. هنا أقرب من طريق مصر الإسكندرية والمتر سيكون سعره مرتفعاً. الطريق به الكثير من المنحنيات والحفر والمطبات.. قالوا إن مسئولي الشركة المشرفة على تنفيذ هذا الطريق وكبار المقاولين

تم التحقيق معهم.. وانتهى التحقيق لعدم وجود شبهة إهدار أو اختلاس المال العام.. كل شبر في الطريق يؤكد وجود إهـــدار ووجود اختلاسات، إلا أن المتهم الرئيسي يبدو أنـــه راضـــي الكل.. تختلس وحدك.. تذهب السجن غير مأســوف عليــك ويطبق عليك وحدك شعار "لا تستر على فساد".. تراضى مـــن فوقك ومن حولك تصبح في أمان إلى حين!

اقتربنا من السجن.. سور وأبراج عليها حراسة. المنظر العام مقبض.. أشعر بضلوع صدري تضيق عليَ. لا أعلـــم كيـــف سيكون اللقاء مع المستشار خليل.. وهل ســـيأتي لمقـــابلتي في حجرة المأمور أو سيرفض المجيء.. العديد من السجناء أمثـــال المستشار خليل يرفضون زيارات الأصدقاء. لا يرغبون أن يراهم الغرباء في وضع انكسار، يكفي منظرهم أمام الأسرة والأبناء.. أظهر سيد السائق التصريح لجنود الحراسة.. دخلنا بالسيارة من بوابة السجن.. حتى باب مكتب المأمور. أبدى المأمور إعجابـــه بالجريدة الجديدة وسأل عن سر التحول.. وهل أصبحت مـــن المعارضة.. فمنذ العدد الأول للجريدة وأنا أهاجم الحكومـــة.. وهل جئت لزيارة صديقي المستشار خليل؟ أم أن الهدف تفقـــد السجن والمعاملة فيه.. ضابط ظريف.. الرتب العليا في الشرطة

يسهل التعامل معهم وتتبدل وجوه أصحابها ويصبحون أكثر بشاشة وأقل توتراً.

جاء المستشار خليل.. يرتدي ملابس رياضية بيضاء.. تركنا المأمور، موضحاً أن اللقاء لا تزيد مدته عن نصف ساعة.. ارتمى خليل في حضني.. يمسك دموعه إلا أنه لم يستطع التحكم في انتفاض كل عضلات جسمه، أشعر به.. لا يبكي ولكن صوت النهنهة ارتفع.. ربت بكلتا يدي على ظهره وأبعدته عني قليلاً وقبلته.. لم يستطع أن يمسك نفسه.. انفجر في البكاء.

- أنت أول صديق يأتي لزيارتي.. الكل اختفى.. الكل تبخر.. لم يسأل عني أحد.. ولم يسألوا حتى على زوجتي وأبنائي.

- الظروف صعبة!

- الوحيد الذي سأل عني نعيم مطر.. مديرك المالي والإداري السابق.. ارسل شيكاً لزوجتي من أمريكا بعشرة آلاف دولار.. وله ابن أخ هنا.. ضابط في السجن.. أوصاه عليّ والباقي ظهرت "قلة أصله".. عارف شوكت المحامي.. صاحبنا.. أخذ من زوجتي سبعين ألف جنيه للترافع عني.

- معلش.. أزمة وهتعـــدي.. وإذا كـــان الاســـتئناف لم ينصفك.. فستحصل على البراءة بإذن الله أمام النقض.

كلام خليل يمزقني إلا أنني حاولت التماسك قدر المستطاع.. حتى شوكت صديقنا.. لم يرحمه.. ولم يرحم أسرته وهو الذي قال لي إن خليل ليس ضده دليل إدانة واحد.

- أنا مش عارف أنا عملت إيه يا فاروق عشان ده كلـــه.. دنا كنت خدام ومطيع.. ياما حبست ناس بالتليفون.. بالأمر.. ما قلتش لأ لحد فيهم أبداً.. دول يا فاروق ناس مالهمش أمان. مالهمش أمان!

أخذ يبكي بمرارة واضعاً وجهه بين كفيه.. لم أكن أعلم أن له علاقة بنعيم مطر وأن هذه العلاقة تبدو أنها أسرية لدرجة أن نعيم مطر المعروف ببخله الشديد، يرسل لزوجته عـــشرة آلاف دولار.. يبدو أن الكل يعرف بعضه.. شبكة.. الظاهر منها أقل من المختفي.. وعدته بزيارة أخرى عندما دخل المـــأمور قبـــل انتهاء النصف ساعة التي منحني إياهـــا.. خرجـــت.. ركبـــت السيارة.. أردد بيني وبين نفسي جملته الأخـــيرة.. دول نـــاس مالهمش أمان.. مالهمش أمان.. لم أجلس في الجريدة أكثر مـــن نصف ساعة، طلبت من نجيب الحاوي أن يدير العمـــل أثنـــاء غيابي، ربما أذهب إلى الغردقة أو شرم الشيخ لمدة ثلاثة أيام.

لا غردقة ولا شرم.. ظللت الأيام الثلاثة في مترلي.. جوانـــا ترى أنني في حاجة إلى أجازة وحتى ســـيد الـــسائق يقـــول أن الجريدة الجديدة أخذت كل وقتي و لم تعـــد تـــسمح لي حـــتى بالسهر إلى وقت متأخر كما كنت أفعل قبل صدور الجريـــدة.. الأجازة مطلوبة وطلبات جوانا يجب الاستجابة لهـــا.. بـــدأت أعود لعادتي القديمة وهي قراءة الجرائد قبـــل النـــوم.. لم تعـــد تشغلني جرائد المعارضة.. فكل هذا سيرد عليه في الكتاب الذي يعده علي مرجان.. تذكرت علي مرجان والوعد الذي قطعتـــه على نفسي بقضاء يوم كامل في مترله وتذكرت موقف نجيـــب الحاوي منه ومن مقالاته.. اتصلت بالحاوي طلبـــت منـــه ألا يحذف كلمة أو جملة من مقال علي مرجان، يرسله إلى المطبعـــة مباشرة ولا يقترب من بعيد أو قريب من عمود المذيعة.. أعدت جوانا لوازم السهرة وذهب سيد السائق لإحضار الصحف.

أنظر في صحيفتي السابقة أولاً.. ثم جريدة واحدة مستقلة.. جريدتي القديمة تنشر خبراً على أربعة أعمدة في الصفحة الأولى بعنوان "موافقة مجلس الإدارة على تعديل الأجور في المؤسسة.. أعلى نسبة زيادة منذ أربعين سنة" وتحته "اللجنة النقابية تـــشكر رئيس مجلس الإدارة وتعاهده باسم العاملين على بذل المزيد من الجهد" وخبر آخر في نفس الصفحة "مجلس نقابـــة الـــصحفيين

يستدعي فاروق عوض للسماع إلى شكواه".. لن أذهب إليهم.. في كتابي سأرد على كل ألاعيبهم.. الصفحة الأخيرة من الجريدة المستقلة.. صورة على ستة أعمدة بها سرير وكمودينو ومنضدة صغيرة.. عليها أباجورة "حجرة نوم فاروق عوض الملحقة بمكتبه" تدعي الصحيفة أن دخولها الحجرة وتصوير محتوياتها سبق صحفي.. ضحك على الدقون.. من وضع الخبرين في الصفحة الأولى في جريدتي القديمة.. هو نفسه الذي مكن مصور الصحيفة من دخول حجرتي وتصويرها.. الزمن هو اللي هيخلصلي تاري.. الكتاب سيكشفهم جميعاً.. من لعبوا معي ومن لعبوا ضدي ومن فضلوا الوقوف على الخط بعدما تربحوا وتكسبوا وأصبحوا من أصحاب الملايين.

جلس معي سيد ليشرب ويسألني إذا كانت الزيادة التي قدرها رئيس مجلس الإدارة الجديد سيستفيد هو منها أم لا؟ خاصة وأنه في أجازة بدون مرتب والزيادة كبيرة.. تقترب بالنسبة له من مائتي جنيه.. تظاهرت بعدم سماعه وألقيت بما في الكوب في جوفي المتأجج ناراً.. عاد ليسأل من أين سيدبر رئيس مجلس الإدارة الجديد ميزانية هذه الزيادة وهو يكتب باستمرار أن المؤسسة مدينة للبنوك بمبالغ طائلة. تركته يتحدث.. عمال

الصحف وإداريوها أكثر خبثاً من الصحفيين.. يعلمون كل كبيرة وصغيرة داخل مؤسساتهم ويستعبطون، حتى هذا السائق الواطي لا يريد تركي في حالي.

- الزيادة.. يا سيد ممكن تأخذها لو قطعت الأجازة وعدت للعمل في الجراج مرة أخرى.

- أرجع تاني الجراج يا ريس.. للعربيات الخربانة والصحفيين الصغيرين المغرورين.

- غير كده لن تحصل على الزيادة.

- مش ممكن سيادتك تعوضني؟

- أنا باعوضك شرب كل ليلة بأكثر من الميتين جنيه في الشهر.

- بعدين نبقى نتكلم يا ريس.

- لأ.. كفاية عليك الليلة.. وروح!

من حجرة مكتبي إلى حجرة جوانا.. أستكمل السهرة وأقضي ليلتي دون إزعاج.

الشهور التي قضيتها بلا عمل.. أنتقل فيها من الحديقة إلى غرفة مكتبي.. إلى غرفة نومي.. إلى غرفة جوانا أصابتني بالبلادة

والاسترخاء.. لم أعد قادراً على التركيز فترة طويلة، كمـــا أن نوم العصاري ووجبات جوانا الدسمة ساعدت في زيـــادة وزني بطريقة ملحوظة.. لا أستطيع العودة إلى لياقتي السابقة، بالفعـــل أنا في حاجة إلى أجازة طويلة.

الجرنال وقف على رجله.. نجيب الحاوي يـــديره بطريقـــة معقولة.. الشباب يبذلون قصارى جهدهم.. وكتّاب الأعمـــدة والمقالات يرسلون إنتاجهم بالفاكس أو النـــت.. ولكـــن إذا فكرت في أجازة حقيقية أين أقضيها؟ هل أسافر خارج مصر أو أظل فيها؟. شرم الشيخ والغردقة والساحل الشمالي لم يعد فيها ما يثيرني.. فنادق.. ونوم وأكل وأشـــرب.. قـــريتي كرهـــت ناسها.. أقاربي منذ زمن اكرههم.. ماذا لو فكرت في قضاء يوم فيما يسمى بالريف الجديد.. أذهب إلى علي مرجان.. أقـــضي معه يوماً كاملاً أو أبيت عنده ليلة أو أكثر أنا وجوانا. أراجـــع معه فصول الكتاب الذي قال أنه على وشك الانتـــهاء منـــه.. وأضع الرتوش الأخيرة بالحذف أو الإضـــافة ونختـــار عنوانـــاً للكتاب.

– جوانا.. سنسافر إلى صديق في قرية حديثة نقضي هنـــاك يوماً.

- أوكي.. متى؟

- سأجري عدة اتصالات تليفونية.. اطمئن أن كل شيء على ما يرام.. ونسافر غداً.

اتصلت بنجيب الحاوي أولاً، حاول أن يدخلني في أمور لم تعد تهمني.. تحدث عن المؤسسة والقرارات الجديدة التي أصدرها رئيس مجلس الإدارة.. يقترح عليَ أن اسمح له بتنظيم اعتصام داخل النقابة للاعتراض على أداء المجلس الذي رفض أن يتخذ إجراءات ضد الصحف التي تهاجمني ويطالبني بالحضور أمام لجنة للاستماع لأقوالي.

- كل ذلك لم يعد يهمني.. الراجل الجديد خلاص ثبت أقدامه وقدر يلم الدور.. ما يهمني الجرنال يا نجيب.. الشغل يا نجيب.

- كله تمام يا ريس.. الجرنال ماشي زي الساعة لا تشغل بالك.

- إذا ظهرت أي مشكلة.. اتصل بي في التليفون وشوف يوسف النجار عمل إيه في حكاية حفل الاستقبال.. عدد الضيوف لن يقل عن ثلثمائة.

أحب السفر صباحاً قبل الشروق أو بعد العصر وقبل الغروب سواء صيفاً أو شتاء.. الطرق في مصر وخاصة طريق

مصر الإسكندرية يكون فيه الضغط المروري أقل.. واستطيع أن استمتع بالطريق.. اتصلت بعلي مرجان أخبره أننا سنزوره غداً وربما نقضي معه يوماً وليلة أو أكثر.. رحب بالزيارة وجاملني بطريقة الفلاحين.. معرباً عن رغبته في فرش الطريق بالرمل والزهور.. لا أستطيع أن أقول عنه هذه المرة "واطيين" ولكنه "أونطجي".. اعتدت أن أخبر سيد بالجهة التي أرغب الذهاب إليها بعد دخولي السيارة.. إلى الإسكندرية يا سيد.

- السرعة لا تزيد عن ثمانين.. تسعين كيلو عاوزين نستمتع بالطريق.. يا سيد. سأجلس أنا بجانبك.. وجوانا في المقعد الخلفي.

حددت له خط السير.. من التجمع الخامس حتى الهرم ومنه إلى أول الطريق الصحراوي.. سيارتي هذه بدون ستائر وأنا لا أعرف سبب الهوجة في تركيب الستائر بالسيارات.. يبدو أنها تضيف أبهة على راكبيها، أو أنها عدوى انتقلت من مسئول إلى آخر ثم نزلت إلى أدنى الأشخاص الذي يظنون أنفسهم من أصحاب المسؤليات. الستائر تبدو رغبة في العزلة والانعزال. المسئولون لا يرغبون في رؤية الناس ولا يرغب الناس رؤيتهم، كأنهم ابتليوا فأستتروا.. المقعد الأمامي يتيح مجالاً أفضل للرؤية

ويعطي رحابة للتأمل والتفكير.. لم يكن في أول الطريق الصحراوي سوى فندق واحد.. كيمولاند.. الفنادق انتشرت على جانبي الطريق.. كان هناك تجمع سكني واحد، له سور وبوابات وحراسة.. أول تجمع.. اطلقوا عليه المسمى الانجليزي "كمبوند"".. كان "كمبوند جرانه" هو الوحيد.. عشرات المجمعات الآن بأسماء مختلفة.

الطريق لم يعد صحراوياً كما كان.. اختفت الرمال من على الجانبين.. حلت محلها أشجار.. ومزارع.. سيد يقول إن بعض الزراعات امتدت إلى عشرة وخمسة عشر كيلو متر على جانبي الطريق وهناك مناطق تدخل فيها إلى ما هو أبعد عن أربعين كيلو.. كبار المسئولين اقتسموا الأراضي فيما بينهم.. ثم باعوها للناس.. أما أراضي مستصلحة أو أراضي بناء.. هنا بالفعل أنا أخذت ألف فدان.. قطعة واحدة.. قسمتها وبعتها. كلفت محرراً بتلك المهمة، ابتداء من تسجيل الأراضي حتى تسليمها للمشترين.. حصته كانت ثمان وثمانين فداناً.. طباخ السم لابد أن يتذوقه وتحول من غلبان إلى ثري.. ثم تحول إلى ثري واطيين وابتعد عني بعد خروجي وكأنني لست أنا ولي نعمته وصاحب الفضل عليه.

كل ما هو غير قانوني أو شرعي في هذه البلد ينمو بسرعة شديدة ويتطور بسرعة أكثر.. المشروعات حتى ولو كانت رصف طريق أو بناء كوبري تستغرق سنوات وسنوات والحجج جاهزة.. محاولة تدبير ميزانية.. والطريق كله.. تحول إلى مزارع ومجمعات سكنية في شهور.. جرافات عملاقة تعمل على تسوية الأراضي التي لم تستصلح بعد.. هذه المعدات ملك أفراد أو شركات خاصة.. الميزانية لديهم جاهزة.. والأموال تتدفق وبمجرد رفع لافتة عن بيع أراضي يظهر بدل المشتري عشرة.. يدفعون مبالغ طائلة.. وتدور الدائرة وينتقلون إلى أراضي جديدة في أماكن بعيدة. لست أنا الوحيد الذي حصلت على مثل هذه الأرض.. ألف فدان ليسوا بالمساحة الكبيرة في المليون كيلو متر المربع.. مساحه مصر.

- سيد.. سنلف شمال بعد " وادي فودز" ثم ندخل يميناً.. إلى منزل أو مزرعة علي بك مرجان.

- شايف إن الطريق عاجب سيادتك.. نمشي فيه شوية ثم نعود.

- عشرين.. ثلاثين كيلو كفايه.

- ماشي يا ريس.

جوانا مبهورة بالطريق.. أول مرة تسير فيه نهاراً.. الخضرة والزراعات وحركة بعض السيارات النصف نقل المحملة

بالفاكهة والخضروات.. تجبرها على السؤال عن سبب استيراد مصر لكميات كبيرة من احتياجاها من الخارج.. سؤالها ليس له إجابة وإن كان الناس في مصر لا يطبخون الموز أو التفاح أو الفراولة.. الناس تريد خبزاً والخبز من القمح والقمح فيما يبدو محصول غير عاطفي بالنسبة للمسئولين والحكومة وحتى الفلاحين وملاك الأراضي الجدد. الناس تعلمت من الحكومة.. تعلمت البحث عن المكاسب.. هل يعقل أن في مصر زراعات البرسيم تلتهم أجود الأراضي الزراعية وأقرها إلى مناطق العمران.. غذاء الحيوان أهم من غذاء الإنسان.. الفلاحون لا يفكرون في حيوان أو إنسان.. كلهم مثل زوج خالتي.. الرجل الثقيل الجشع.. يزرعون البرسيم لأهم يحصلون قيمته على رأس الغيط.. البرسيم محصول نقدي. إدفع.. شيل!

انحرف سيد يساراً.. ثم دخل إلى اليمين.. طريق طويل توقف وسأل عن مزرعة السعد.. ثلاثة أربعة كيلو جوه.. محدثه سأله.. إذا كان يريد مزرعة الحاج علي مرجان، فهناك عدة لافتات في الطريق تشير إلى اتجاه مزرعة الحاج.. وصلنا.. إلى البوابة استقبلنا الحاج مرجان.. انبهرت جوانا من مدخل المزرعة.. قالت "رانش".. مثل مزرعة الرئيس الأمريكي بوش.. على بعد عشرات من الأمتار.. مترل صغير بقباب مصمم على

طريقة المهندس المعماري المعروف حسن فتحي.. عدة أبراج للحمام.. بعض الماعز الأبيض.. لم أره من قبل.. استقبلنا على مرجان بجفاوة شديدة.. سألنا.. نجلس داخل المنزل أو خارجه.. جرت جوانا إلى معزة بيضاء لتمرر كفها على ظهرها.. هذا ماعز سويسري.. أوضح لنا علي مرجان.. فضلنا أن نجلس خارج المنزل.. ترابيزة وعدة كراسي من جريد النخل.. ظهرت زوجته وأولاده.. رحبوا بنا ثم اختفوا.

المنزل في مقدمة المزرعة.. أراضي مزروعة فيما يبدو نبات عباد الشمس بأقراصه الذهبية وأوراقه الخضراء وسيقانه الطويلة.. اقترح علي مرجان أن تدخل جوانا البيت، لتغير ملابسها.. ترتدي جلباباً واصر أيضاً أن أغير ملابسي لنجلس على راحتنا.. الجلسة ستطول والكتاب طويل.. والنقاش قد يمتد وقد نبيت ليلتنا هنا.. ابتسم علي مرجان قائلاً.

- لن أسألك عن البطاقة الشخصية أو قسيمة الزواج كما تفعل الفنادق.

دخلت جوانا المنزل.. خرجت ترتدي جلباباً وتضع على رأسها منديلاً مزركشاً وتحمل صينية عليها براد شاي كبير وثلاثة أكواب.. جلسنا، دخل علي مرجان في الشغل مباشرة.. أمامه ملف ورقي ضخم.. وفتح لاب توب.

- الكتاب تقريباً جاهز ومناقشة فصوله مش هتستغرق وقت.. أظن أننا هنتكلم ساعات عشان اختيار العنوان.

تحدث بعض الشيء عن منزله ومزرعته.. أكد أن كل طوبه فيه حلال.. غربة سنوات.. سبعة أفدنة لا غير. جاء بناس بلدياته.. يعملون لديه بالأجر.. منزله ومزرعته تشعرك بالطمأنينة والراحة.. فيلتي في التجمع الخامس تفتقد مثل هذا الشعور.. والأهم.. هو نفسه.. مرتاح البال والضمير.. لا يشغله شيء كما يقول سوى الحفاظ على ما جمعه من حلال والعمل على تنميته.. لا أعلم لماذا يصر على كلمه الحلال هذه.. دخل في الشغل.

- يا ريس أنت قعدت عشرين سنة رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير.. في مؤسستك سبعة وعشرون شركة ولديك عدة آلاف من المستخدمين.. لو ظلمت أو عذبت كل سنة اثنين في هذه الشركات.. هذا لن يضيرك، فهناك حكام يظلمون ملايين من شعوبهم.

تحدث عن الكتاب الذي قسمه إلى فصول.. فصول تحمل أسماء معارك فاروق عوض وخطايا فاروق عوض ومراجعات فاروق عوض. الكتاب فيه كل شيء ويرد على كل شيء. فصلي للمحررين والعمال والإداريين وأسباب الفصل.. الأموال

التي أغدقتها على البعض ودوافع ذلك.. القروض الحسنة الـــتي منحتها للبعض بالملايين وخاصة النساء منهن كما تشيع صحف المعارضة.. كل شيء فنده.

- موضوع القروض الحسنة هذه كتبت فيها كثيراً، خاصـــة وأن بعضها ذكرت في قرارك أنها تسدد على عـــشرين عامـــاً وواحدة من الحاصلات على هذه القروض أمامها عامان وتخرج للمعاش.. امرأة في الستين من عمرها منحتها قرضاً لظـــروف إنسانية.. لا تبغي منها شيئاً.. فهي من قواعد النساء الـــلاتي لا يبغين نكاحاً.

عفريت.. كلامه منطقي ودخلنا على اختيار عنوان الكتاب. اقترحت عليه أكثر من عنوان.. رفضهم جميعاً.. أخذ يحكي عن العناوين الجديدة والهدف من العنوان والجهة التي يخاطبها العنوان والتأثير المرجو من العنوان.. ليس لدي القدرة على سماع مثـــل هذا الكلام وكأنني في محاضرة أو في فصل دراسي ممل. إقتـــرح هو عنوان واحد واصر عليه.. " أهل الظلم" مثل أهـــل الجنـــة وأهل النار، من يقرأ العنوان يربط بينه وبين اسم مؤلفه فـــاروق عوض الذي يتهمه خصومه بالظلم وعندما يقرأون الكتـــاب أو بعض فصوله، يرون أن فاروق عوض ظُلم و لم يَظلم. يوم كامل أمضيناه تخلله غداء وعشاء ووعد بأن يرسل الكتاب كله علـــى

الإيميل وأن أنشره وقتما أشاء على ألا أنسى أن أرسل له بقية المبلغ.. عندما حل المساء طلب أن تنام جوانا ليلتها مع زوجته وبناته.

لم يغمض لي جفن طوال الليل.. أنظر في سقف المضيفة التي قضينا ليلتنا فيها.. أربعة أسرة.. نام سيد السائق بمجرد أن وضع دماغه على الوسادة.. ونام على مرجان وظللت أنا والسرير الفارغ ننظر إلى السقف.. كيف جمع على مرجان كل هذه الأوراق والمستندات.. ذكرني بأشياء قد نسيتها.. قرارات اتخذتها.. علق عليها في الكتاب وبرر ظروف إصدارها.. من القرارات ما هو مضحك.. ترقية صحفي إلى نائب رئيس التحرير لشئون الصيانة والإنشاءات. قرار بتحويل مبلغ يساوي سبعة ملايين جنيه لتسوية قضية تحرش جنسي تورط فيها أحد مديري مكاتبنا في الخارج.. قضية بيع الأرض التابعة للمؤسسة بثمن يقل عن سعرها بأربعين مليون جنيه.. كيف وصلته تلك الأوراق والمستندات.. في ثنايا كلامه أوضح لي أنه بعد أن فصلته وسافر للخليج، لم تغب عن تفكيره المؤسسة للحظة واحدة.. كانت اتصالاته بالزملاء مستمرة.. يرسلون له بالفاكس صوراً للقرارات وحتى الأوراق والمذكرات التي كنت أعلقها على لوحة الإعلانات.

يبدو أن هذا الكتاب قد أعده من قبل.. أعـــده لإدانـــتي.. لفضحي وعندما اتفقت معه ودفعت له العربون أدخـــل عليـــه بعض التعديلات لتبرئتي.. علي مرجان يعرف قيمـــة الكتابـــة والكتب.. في جلسة معه، أوضح لي أن السلطان يزول والنفوذ يندثر ودول تختفي ويبقى الكتاب.. شرح لي العلاقة بين كافور الأخشيدي الذي حكم مصر و المتنبي.. الشاعر أبـــو الطيـــب المتنبي.. سألني أين كافور.. راح في داهية وبقى المتنبي وذكـــر بعض أبيات المتنبي في هجاء كافور :

وتعجبني رجلاك في النعل أنني

رأيتك ذا نعل وقد كنت حافيـــاً

ومثلك يأتي من بلاد بعيـــــــدة

ليضحك ربات الخدور البواكيا

المتنبي صور كافور قبل ظهور الكاميرا.. عرفنا أنـــه عبـــد أسود.. حاف.. مثل القرد.. مهرج يرقص أمام النساء.. كافور راح في داهية وبقى المتنبي.. الواد علي مرجان يريد أن يقول لي أين أنت الآن وأين أنا الذي فصلتني؟.. هو المتنبي وأنا كـــافور. لم أنم و لم يغمض لي جفن.. ثلاثين ملزمة من القطع المتوســـط، ٤٨٠ صفحة.. كم واحد مثل علي مرجان.. أعـــد لي كتبـــاً وينتظر التوقيت المناسب للنشر! الزمن هو اللي هيخلصلي تاري

والعمل سيثبت للجميع أن فاروق عوض موهبة لا يجود الـــدهر بمثلها كثيراً..

الجريدة الجديدة أعادت لي الحياة أو أعادتني للحياة بالفعل.. التليفونات عادت ترن من جديد.. المسئول الكبير إياه نسى أنه سبني بأمي ويتصل بي كل يوم أو كل يومين.. يشيد بمقال نشر أو تحقيق كتبه صحفي شاب.. يوسف النجار حجز قاعـــة في فندق كبير وطلب إعداد الدعوات لحفل الاستقبال.. الخمـــيس المقبل سيكون يوماً فاصلاً جديداً. العمل يأخـــذني، إلا أنـــني استجبت لنصيحة جوانا.. يوم أذهب إلى الجريدة صباحاً حـــتى الرابعة ويوم أخر ابدأ من الرابعة حتى الحادية عشر. من الرابعـــة حتى نهاية اليوم ملكي وحدي وملك جوانا.. أنام عصراً لمـــدة ساعة أو أطول قليلاً وأقوم لأجلس في الحديقة. جوانا أعـــدت منضدة صغيرة ووضعت عليها جهاز تليفزيون لأتابع كما كنت فيما مضى البرامج التليفزيونية المختلفة. التليفون يرن.

– أيوه يا نجيب.. عند يوسف قائمـــة بأسمـــاء المـــسئولين والأصدقاء السابقين.. اكتبوا الدعوات وأرســـلوها.. ثلثمائـــة مدعو لا يزيدون.

– ماشي.. يا ريس. الجرنال كله مجند لإنجاز هذه المهمة.

فجأة.. بوابة الفيلا الالكترونية تفتح.. نظرت إلى جوانـــا.. ليس هناك من هو خارج المترل.. من فتح البوابـــة.. قبـــل أن

تجيب.. ثلاثة سيارات تدخل وراء بعضها.. يترل مجموعة من الرجال يرتدون ملابس كاملة.. بدل وربطات عنق. يعتذر كبيرهم عن الحضور في مثل هذا الوقت ويطلبون تفتيش الفيلا.. لا ينفع معهم أن أطلب منهم إطلاعي على إذن التفتيش أو غيره. نهضت جوانا وهرعت إلى داخل المترل.

- تفضلوا.
- سنفتش فقط حجرة نومك وحجرة مكتبك.
- بكل سرور.

أحاول أن أتماسك.. دخلوا.. فتشوا.. في حجرة نومي.. لا توجد اية أوراق أو مستندات. الموجود أدوية وفيتامينات ومقويات.. نزلوا إلى حجرة المكتب فتحوا الأدراج.. فتشوا.. أخذوا بعض الأوراق.. وضعوها في صندوق كرتوني يحمله أحدهم.. ابتسمت بيني وبين نفسي.. الأوراق التي أخذوها كان شوكت المحامي أوصاني بأن أحتفظ بها داخل مكتبي.. كلها صور وليست المستندات الأصلية. صور إيصالات إيداع لكبار المسئولين بأسمائهم أو أسماء زوجاقم في حساباقم بالخارج.. كان يقوم بالمهمة مديرو مكاتب المؤسسة في باريس وبرلين وبرن وجنيف وغيرها. أوراق سيارات استوردقما المؤسسة وقدمتها هدايا إلى كبار القوم.. أشياء كثيرة تدينهم هم.. لا تدينني. انتهوا من المهمة وطلبوا ذهابي معهم.

إلى مدينة نصر.. دخلت معهم المبنى.. الدور الحادي عشر.. نفس الدور الذي اقتادوا إليه صديقي المستشار خليل في البداية. نفس الدور الذي حجزوا فيه رجل الصناعة المعروف وفاوضوه أن يحضر عدة ملايين من الأموال التي هربها إلى سويسرا مقابـــل الإفراج عنه دون توجيه اتهام جنائي.. وافق.. وبعدما حـــصلوا على الفلوس أرسلوه إلى النيابة ومنها إلى المحكمـــة ومنـــها إلى السجن ليقيم الآن مع المستشار خليل .

ادخلوني حجرة واسعة بها مكتب ومقعدان أمامه وأريكـــه جلدية كبيرة.. الحجرة بها ثلاثة أبواب قادوني باحترام إلى هذه الحجرة..

- تفضل.. إنتظر ولو سمحت تليفونك المحمول!

قدمت التليفون للشاب الذي طلبه وسألته هل الاتـــصالات ممنوعة.

- لا.. التليفون فقط لعدة دقائق.. ننقل منه أرقام اتصالاتك الأخيرة.. ثم أسلمه لك.

أقل من نصف ساعة أعاد التليفون لي ونصحني بعدم إجـــراء أية اتصالات، من الممكن أن أرد فقط وإذا سألني أحـــد عـــن مكاني، أخبره أنني في مدينة نصر فقط.. كلام الشاب محـــدد، بعد كل تعليمه يؤكد أنها "فقط". المشكلة إلى متى سأظل هنا..

قد يطول الوضع.. وموعد الحفل والضيوف والدعوات والجرنال.. وهل هي "شدة ودن" أو ترحيلة بعيدة مثل المستشار خليل.. وماذا عن الوعد الذي قطعه لي رجل الأعمال البحريني صديقي، بأن لن سيمسني أحد بسوء. دخل شاب يرتدي أيضاً ملابس كاملة، إلا أنه يبدو جرسونا.. يرتدي في يديه قفازاً أبيض.. سألني عما أرغب في شربه.. طلبت ماء فقط.. خرج من الباب الثاني للحجرة.. علمت أن هناك باب للدخول وأخر للخروج ولا أعرف وظيفة الباب الثالث.. عاد بزجاجة مياه معدنية مثلجة وكوب.. أخرجت شريط الفاليوم.. ابتلعت قرصين.. لابد أن هناك تحقيقاً.. هم جاءوا بي إلى هنا لهذا السبب. دخل رجل محترم كبير السن شعره أبيض وشاربه بين الأبيض والأسود.. رمادي.. سألته.. لماذا جاءوا بي إلى هنا؟

- اهدأ.. يا أستاذ فاروق؟

- هل سيجري معي تحقيق؟

- نحن لسنا جهة تحقيق.. نحن فقط نجمع الأدلة والمعلومات والمستندات ونقدمها إلى الجهات الذي يخولها القانون سلطة التحقيق.

- أنا هقعد هنا قد إيه؟

- أنا لا أعلم على وجه التحديد.

- أنا عاوز أقابل مسئول كبير.

- أنا المسئول في حالتك هذه وليس هناك مسئول بعدي.

يجب أن أهدأ بالفعل واستمع إلى النهاية.. وأرى ماذا سيحدث. سألني عن أملاكي وثرواتي.. قدم لي ورقة بيضاء لأكتب ما أمتلك.. لا أكتب فيها إلا ما تزيد قيمته عن ثلثمائة ألف من الجنيهات. الكرسي الذي أجلس عليه، المواجه للمكتب له مسند مثل كراسي محاضرات الجامعة.. كتبت فيلا التجمع الخامس.. فيلا أبو تلات.. شاليه العين السخنة.. السيارة المرسيدس التي اشتريتها بعد خروجي من الخدمة.. قدمت اليه ما كتبته.. قرأه بصوت عال، معلقاً.

- بس.. فين اليخت اللي في الغردقة وفيلا الربوة في ٦ أكتوبر؟

قدم لي ورقة أخرى لكتابة ما نسيت.. طلب مني أن أكتب كل شيء تزيد قيمته عن المبلغ الذي ذكره.. قدمت له الورقة.. عاد ليسألني.

- بس.. فين الشقق؟

وقدم لي ورقة أخرى.. كتبت.. شقتين في الإسكندرية واحدة في كفر عبده والأخرى في جليم.. شقة في بور فؤاد.. شقتان بالقاهرة.. واحدة في مدينة نصر والأخرى في مصر

الجديدة وعوامة على النيل بالقرب من الزمالك. قـدمت لـه الورقة.. نظر إليها.. سألني لماذا لم أذكر شقة شيراتون المطار.

– هذه ليست ملكي.. إنها ملك المؤسسة.. كانت استراحة للصحفيين المسافرين إلى الخارج.

– عاوزك تكتب ورقة أنها ليست ملكك ولكنـها ملـك المؤسسة وأن المؤسسة اشترتها من مالها.

قدم لي ورقة.. كتبت له ما طلب. سألني عن شاليه لـسان الوزراء في الاسماعيلية وشالية مراقيا نهض ليخرج مـن البـاب الثاني.. سألته إلى متى سأظل هنا.. وهل سأقضي الليل بملابسى هذه إذا كانوا مخططين لاستضافتي فترة أطول.؟

– لا تقلق.. كل شيء معمول حسابه.

خرج من الباب الثاني بالفعل.. بعد دقائق.. طرقات خفيفة على الباب الأول.. دخل شاب أخر يحمل في يـده حقيبـة.. وضعها أمامي.

فيها ترينج سويت.. وفوطة وشبشب وأشـار إلى البـاب الثالث، موضحاً أنه حمام.

لابد لهم من بعض الوقت لفحص صور المـستندات الـتي أخذوها من منزلي قبل البت في أمري.. ربما أبيت ليلتي هنا على

الأقل.. التليفون يرن.. شوكت المحامي.. يسألني أين أنا.. جوانا اتصلت به وأخبرته.. لن استطيع أن أخبره بأكثر مما طلب مني..

- أنا في مدينة نصر والحقني.. اتصل بصديقي في البحرين.. وجودك هنا قد لا يفيد.

- تماسك.. لا شيء يدينك.. ستخرج أقوى مما دخلت.

ربما يكون قد قال مثل هذا الهراء إلى المستشار خليل حتى سلمه بنفسه إلى السجن وربما يكون صادقاً. دخل الشاب ذو القفازات البيضاء.. طلب مني أن أغير ملابسي وأطلب ما أشاء للعشاء.. ابتسمت.

- كل ما تطلبه موجوداً.. نحن لدينا مطعم فاخر وشيف ممتاز في الدور الرابع عشر.

قبل العشاء.. دخل المسئول الكبير وسألني عن أصول المستندات التي كانت في حوزتي والتي حصلوا عليها من منزلي.. أصولها في الخارج.. لدى مكاتب الجريدة في الخارج.. سألني عن حساباتي في البنوك وأرقامها. لي حساب واحد في بنك خليجي وأخر هنا في بنك مصري وقدم لي ورقة لأكتب فيها أسماء البنوك وأرقام الحسابات.. قدمتها له.. تركني وخرج من الباب الأخر ودخل الجرسون يحمل صينية عليها العشاء..

ميكس جريل.. وكوب عصير.. وعلبه زبادي وسلطة خضراء.. نحيتهم جانباً.. غيرت ملابسي وارتديت الترينج سويت ونمت على الأريكة الجلدية.. كل ما أفكر فيه كيف سيتم ترحيلي إلى النيابة بعد ذلك؟. وكيف سينشر الخبر في الجرائد.. وكيف سيكتبه سيد فانلة في "عين الصقر"؟

في الصباح.. إفطار كونتننتال.. بيض ومربى وقطعة جبن وعسل نحل وخبز.. ومجموعة من جرائد الصباح.. سألت الجرسون.. إلى متى سأظل هنا؟ لم أجد غير الجرسون لأسأله. أجابني بعدم معرفته، إلا أنه أشار إلى جهاز تليفزيون معلق في الحائط.. وجاءني بالريموت كنترول.. وأشار إلى جرس بالقرب من المكتب. إذا رغبت في أي شيء.. استخدمه.. يوم كامل لم يسأل عني أحد.. الغداء دخل في موعده.. والعشاء في وقته والجرائد كلها قرأتها.. لم ينشر خبر واحد عني وعن التحقيق معي.. حرية صحافة وصحفيون أحرار.. أمروهم بالطبع ألا ينشروا كلمة.. ليلة أخرى على الأريكة الجلدية وبعد إفطار اليوم التالي.. دخل شخص أكثر تجهماً من الذي جلس معي أول مرة.. يصحبه أخر أصغر سناً.. جلسا.. وفتحا تحقيقاً فيما يبدو رسمياً.. سين وجيم.. نفس أسئلة أول أمس، إلا أن السكرتير الذي معه يسجل كتابة كل ما أقوله سؤال عن

الأملاك والشقق.. أعدت عليه ما قلته.. سألني عن اسم البنك الذي اودعت فيه قيمة العمولة- ١٥ مليون جنيه- مقابل أرض المؤسسة التي بعتها لشركة مقاولات.. تذكرت نصائح شوكت.

- لم يحدث أن تلقيت عموله وأودعتها في البنك.

- رئيس تحرير سابق ومجموعة من المحررين تقدموا ضدك ببلاغ بخصوص هذا الموضوع.

- تم التحقيق فيه وحفظ البلاغ.

- قيمة الألف فدان التي حصلت عليها وتم بيعها.. أين أودعت الأموال؟

- في البنك المصري.

- ما قولك في انك سحبت اقرارات ذمتك المالية قبل خروجك من الخدمة بعدة ايام؟

- لم يحدث.

- أذكر كل أملاكك.. حتى الشقق الصغيرة التي حصلت عليها سواء من وزارة الأوقاف أو في المحافظات المختلفة.

ذكرت كل شيء وبالتفصيل، فأنا أعلم بالتفصيل أيضاً ما حدث هنا لرجل الصناعة الشهير الذي حاول أن يراوغ في بداية

التحقيق معه. أخبروه أن لم ينطق، سيلقي به من الدور الحادي عشر وسيتم نشر خبر صغير في الجرائد عن انتحاره.. لم يتـــرك المحقق كبيرة أو صغيرة إلا وسألني عنها.. ســـألني عـــن قـــصة اغتصاب شقة وطرد الساكنه العجوز وابنتها بمعاونة ثلاثة مـــن المحررين وذكر اسماءهم وتهديد مأمور القسم إذا حاول أن يتلقى بلاغاً أو يفتح محضراً حول هذا الموضوع.. أجابتي محـــددة: لم يحدث.. عمولات شراء الماكينات وشركائي.. لم يحـــدث.. لم يحدث.. سألني عن شقة لندن ومتى اشتريتها وثمنها.. إنها شـــقة ابني ويقيم هناك، سألني عن شقة الشانزلزيه بباريس.. إنها ملك زوجتي.. سألني عن حساب دويتش بنك.. فتحته عندما كنت أعالج هناك.. وغادر المحقق وسكرتير الحجرة.

ليلة ثانية قضيتها في ضيافتهم.. في صباح اليوم التالي، دخل عليَ المحقق الأول.. أخبرني بأنه يمكنني أن أذهـــب إلى مـــنزلي ومكتبي معززاً مكرماً.. لم ينس أن يبلغني أن في انتظاري سيارة ليموزين، ستحملني إلى المكان الذي أريده.. والأجرة مدفوعة.. شكرته.. حملتني السيارة إلى التجمع الخامس.. كل ما أخـــشاه أن يكون سيد السائق قد علم بالحادث وما يشغلني هو كيفيـــة توصل جوانا إلى تليفون شوكت ومكالمتها لـــه.. أخـــبرتني أن شوكت أعطى لها رقم تليفونه خلسة عندما سهر معنا ذات ليلة

في الفيلا.. سأنتظر يوماً أو أكثر.. سأحاول أن أتحقق بطـــريقتي إذا كان هناك من يعرف خبر استضافتي في مدينـــة نـــصر.. لم تكتب جريدة خبراً ولم يعرف أحد به. تليفون مـــن شـــوكت يؤكد لي أن صديقي البحريني كان على وعده وهو الذي عجل بخروجي.

الاستعداد لحفل الجريدة يتم على قدم وساق. تأكـــدت أن الدعوات وصلت إلى الجميع، خاصة دعوة رئيس مجلـــس إدارة مؤسستي.. والذي لم يعد جديداً.. كل شيء يسير علـــى مـــا يرام.. الذهاب للجريدة صباحاً.. أو عصراً وبقية اليوم أقضيه في منزلي وقلق جوانا علـــيّ أصـــبح واضـــحاً.. إذا تـــأخرت في الوصول.. لا تنقطع عن طلبي في التليفون.. وإذا قلت لها أنني في الطريق.. تتصل بمعدل كل خمس دقائق.. لا تهدأ إلا بعد دخولي المنزل.. طلبت منها الاستعداد لحضور حفل الاستقبال.. تخلت عن وقارها وقفزت عليّ وقبلـــتني. وأخـــبرتني أن الـــسهرة في حجرتها الليلة.. ليلة لن تنسى.. زوجتي في ٦ أكتوبر.

المانشيت الرئيسي في جريدتي "الزمن" عن الحفـــل الـــذي سيجرى الليلة وكبار المسئولين الذين سيحـــضرون والفنـــانين والفنانات.. احتفالاً بصدور العدد رقم مائة. تفكـــير يوســـف

النجار جدير بالاحترام.. لابد من خلق مناسبة للاحتفال.. من التجمع الخامس.. إلى الفندق.. على كورنيش النيل.. بجـوار جوانا في السيارة وسيارة الحرس أمامي. المرور مزدحم بعـض الشيء.. استغرقنا أكثر من عشرة دقائق لنخرج من النفق المـار تحت كوبري قصر النيل. هنا.. بعد النفق بعدة أمتار لقى رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق حتفه.. أطلقـوا عليـه الرصاص أثناء مروره. الدكتور رفعت المحجوب صاحب التعبير الشهير "القطط السمان".. لم يكن تعبيره.. بل اسـتعارة مـن الفرنسيين كما عرفت فيما بعد.. الـدكتور رفعـت هـاجم القطط، ومات فطيس.. فماذا يكـون مـصير مـن يهـاجم الديناصور ـات؟!

تصفيق حاد عند دخولي قاعة الاحتفال أنا وجوانا. منذ مدة وأنا لا أرى مثل هذا الحشد و لم أسمع مثل هذا التصفيق.. وجوه كانت اختفت. عادت للظهور.. تهنئ وتبارك بإصدار العـدد المائة من جريدتي "الزمن".. الزمن عاد للوراء مرة أخرى.. يـا فاروق.. يا عوض وما حدث مجرد خدوش.. نتوءات ستختفي بمرور الزمن.. نجيـب الحـاوي مثـل أم العروسـة "فاضـي ومشغول".. يتحرك في القاعة يرحب بالـضيوف ويخـرج إلى البوابة.. ثم يعود يهمس في اذني بوصول ضيف مـا.. كنـت

أتحرك إلى خارج القاعة لأستقبل بعض الضيوف الذين أرى أن لهم أهمية خاصة بي أو بالجريدة.. آخرون كنت أتركهم لنجيب الحاوي أو يوسف أو لطقم السكرتارية يستقبلونهم.. جاء نجيب الحاوي يهمس في أذني بأن المذيعة وصلت ومعها طقم تـصوير لتسجيل الحفل وبثه فيما بعد في برنامجها الأسبوعي.. أوصيته أن يحسن استقبالها.. جاءني مرة أخرى يخبرني بأن المسئول الكـبير وصل.. الكبير الذي سبني من قبل بأمي.. أشرت إليه بأن يتركه يأتي وحده إلى وسط القاعة.

جاء بنفسه ليرى.. لم ينتظر وصول التقارير إليـه. حـضر ليتأكد بنفسه إن فاروق عوض قـد انكـسر.. إن لم تكـن الألاعيب السابقة والتحريض ضدي جاءت بنتائج، فإن زيارتي الأخيرة لمدينة نصر وحجزي هناك ليلتين والتحقيق معي سيكون له مردوده على وجهي.. مد يده بالسلام ولسان حاله يسألني.. هل يكفي ما فعله معي أو أنني مصر على مناطحته إلى النهاية.. بادرته بالقبول.

– تمام يا باشا.

– مش تمام قوي!

يبدو أن الواطي يعد لي جولة جديدة. شوكت أكد لي أن ما تم معي هو نهاية المطاف.. وصلوا آخر الخط.. ولن يمسني أحد بسوء.. أخذ المسئون الكبير خطوة إلى الوراء يوزع الابتسامات على الضيوف الكبار والصغار.. وجملة المستشار خليل ترن في أذني: ناس ملهمش آمان.. ملهمش آمان.. يا فاروق.. يا عوض!

الأصدقاء القدامى، لم يحضر منهم سوى محيي ربيع وشوكت ومن العاملين بالجريدة القديمة مجموعة ممن يحتلون مناصب لا يستحقونها، كنت أصدرت قرارات بترقيتهم في وقت الريبة، قبل خروجي مباشرة من الخدمة. بعضهم جاء يبحث عن فرصة عمل إضافية في جريدة "الزمن" بعدما سمعوا عن المرتبات الخيالية التي يحصل عليها العاملون فيها.. البعض الآخر جاء ليؤكد أنه مازال على العهد والولاء.. شيخنا صاحب تعبير "حنا المشّاء".. يتقدم نحوي ليبارك وينظر حوله خشية أن يكون هناك عيون لرئيس مجلس الإدارة الجديد.. منظره يدعو للخجل.. عيناه تبحثان عن الطعام.. والشراب.. قبل أن يصل إليَ ويمد يده بالسلام، أعطيته ظهري.. هذا ما يستحقه.

نجيب الحاوي يهرول.. يهمس في أذني أن رئيس مجلس الإدارة الجديد وصل وأنه أرسل إليه دعوة بناء على تعليماتي. خرجت إلى باب القاعة لأكون في استقباله.. المعركة معه انتهت

بالتعادل السلبي.. هو أحكم سيطرته على المؤسسة ورجالي أو ممن كنت أعتبرهم رجالي.. "باعوني".. نصيحة زوج خالتي الثقيل "اليد اللي متعرفش تقطعها.. بوسها" مددت له يدي بالسلام والتحية.. مد يده بتثاقل غريب، لم يشجعني على احتضانه وتقبيله، فهو نوع من الرجال غير الميالين لمثل هذه المظاهر الاجتماعية.. هنأ وبارك وتركته يتحرك براحته في القاعة.. هرول إليه بعض العاملين في المؤسسة.. عيونهم تبحث عني خشية أن أكون رأيتهم.. تظاهرت بالانشغال مع المذيعة.. والتي تعمل معي الآن في الجريدة.. لا تريد أن تتركني.. تتحدث في أشياء ليست ذات أهمية، وتلتفت يميناً ويساراً عسى أن يكون مطلقها المسئول الكبير يراها معي.

تورته كبيرة على منضدة في منتصف القاعة، إجتمع الضيوف حولها.. أفسح الضيوف الطريق للمسئول الكبير.. جاء ليقف بجانبي.. المذيعة تأمر طاقم التصوير بالبدء في العمل.. ناولني الجرسون سكيناً طويلاً لم أر مثله في حياتي.. أحتاج لمثل هذا السكين لقطع كل الرقاب .. مسك مقبضه معي.. وضغطنا سوياً على جزء من حافة التورتة المستطيلة وصفق الحاضرون.. إنتحى بي المسئول الكبير جانباً.. أشاد بالجريدة وذكرني بما سبق أن قاله لي وألا أستخدم الجريدة للرد على من يهاجمني في الجرائد الأخرى.. أخبرته بالتزامي بالتعليمات وأنني أعددت كتاباً للرد على كل ما أثير وما قد يثار مستقبلاً وأن الكتاب

جاهز لدخول المطبعة.. إعتذر عن البقاء معي وقتاً أطول.. لديه ارتباطات ومواعيد وهمس في أذني.. مؤكداً أن ما سيقوله أمر، هو مجرد ناقل له ليس أكثر.

- الكتاب.. يا فاروق.. غير مسموح بنشره!

انتهت بحمد الله

٢٠٠٨/٤/٣٠

الروايـــــة

محمد غزلان

- صحفي في جريدة المساء - دار التحرير للصحافة (الجمهورية)

- عمل في التدريس والترجمة والتصوير الضوئي والأفلام التسجيلية

* صدر للمؤلف :

- لغز ماكسويل امبراطور الصحافة البريطانية
على نفقة المؤلف – عام ١٩٩١

- الخروج من بغداد (رواية)
طبعة أولى – على نفقة المؤلف – ديسمبر ٢٠٠٤
طبعة ثانية – الهيئة العامة للكتاب ابريل ٢٠٠٨

- أول القصيدة بسيطة (رواية) ٢٠٠٨
دار اكتب للنشر والتوزيع

للمؤلف تحت الطبع :

- مذكرات عبده ريال (رواية)

- افتكرني (رواية)

ghozlanmisr@yahoo.com